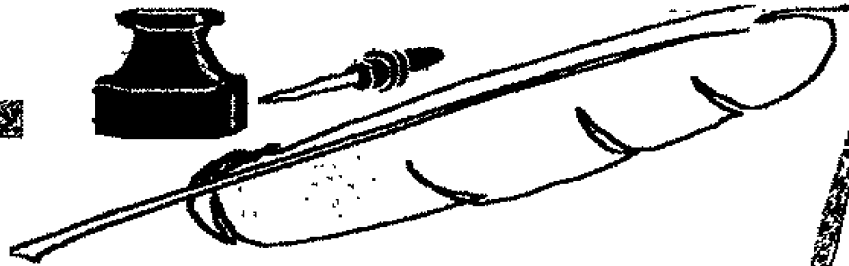


الدكتور
محمد فريد محمود عزت

المقالات والتقارير الصحفية

أصول إعدادها وكتابتها



١٩٩٨

اهداءات ٢٠٠٢

الدكتور / محمد فريد عزت

المقالات والتقارير الصحفية

أصول إعدادها وكتابتها

تأليف

الدكتور محمد فريد محمود عزت

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

(حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للمؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة



يغطي مسار هذا الكتاب ، حسب خطته الموضوعية ، فنين اثنين فقط ، من فنون المادة الصحفية وهما : فن المقال وأهم أنواعه .. وفن التقرير الصحفي وأهم أنواعه ... وذلك تلبية لاحتياجات ، ومفردات المنهج الدراسي في مادة التحرير الصحفي ، للسنة الرابعة بقسم الإعلام التربوي ، في كليات التربية النوعية ، والذي أقوم حالياً بتدريسه في بعض تلك الكليات

وقد راعيت تناول هذين الفنين بطريقة ميسرة ، تتفق مع مستوى طلاب هذا التخصص ، وتكفي لسد احتياجاتهم الدراسية في هذا المجال ... وكان الاعتماد بصفة خاصة على عدد من المراجع الأساسية ، وفي مقدمتها:

كتاب (المدخل في فن التحرير الصحفي) للأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة . وكتاب (دراسات في الفن الصحفي) للأستاذ الدكتور إبراهيم امام . وكتاب (فن الكتابة الصحفية) للأستاذ الدكتور فاروق أبو زيد ، بالإضافة الى عدد آخر من المراجع الثانوية ... كما تم دعم فصول الكتاب المختلفة بالتماذج التطبيقية المناسبة ، من كتابات بعض كبار الكتاب والصحفيين القدامى والجدد ، نقلًا من الجرائد والمجلات ، وبعض الكتب التي جمعت فيها كتابات بعضهم ..

وحسب الخطة الموضوعية اشتمل الكتاب على بابين رئيسيين : الباب الأول بعنوان (فن المقال وأهم أنواعه) ، وتضمن خمسة فصول : الفصل الأول بعنوان (تمهيد حول المقال وأقسامه) ... والفصل الثاني بعنوان (المقال الألبس وأنواعه) ، والفصل الثالث بعنوان (المقال العلمي وأنواعه)

و الفصل الرابع بعنوان (المقال الصحفي وأنواعه) والفصل الخامس بعنوان (الإسمية واللا إسمية في الصحافة) ..
وكان الباب الثاني بعنوان (فن التقرير الصحفي وأهم أنواعه) ، واشتمل على أربعة فصول : الفصل السادس بعنوان (مفهوم التقرير الصحفي وكتابته) .. والفصل السابع بعنوان (التقرير الاخبارى) والفصل الثامن بعنوان (التقرير الحى) . والفصل التاسع : بعنوان (تقرير عرض الشخصيات) .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق هذا الكتاب الغرض منه ، ويستفيد منه الطلاب الموضوع من أجلهم ... والله تعالى من وراء القصد

مدينة نصر : الخميس : ٣ رمضان ١٤١٨ هـ

أول يناير ١٩٩٨ م

د/محمد فريد محمود هزيت

الباب الأول

فن المقال وأهم أنواعه

- الفصل الأول : تمهيد حول المقال وأقسامه .
- الفصل الثاني : المقال الأدبي وأنواعه .
- الفصل الثالث : المقال العلمي وأنواعه .
- الفصل الرابع : المقال الصحفي وأنواعه .
- الفصل الخامس : التسمية والبالا أسميه فن الصحافه .

الفصل الأول

تمهيد حول المقال وأقسامه

يطلق الانجليز على المقال إسم (محاولة - Essay) أى أنها شىء غير مكتمل يشبه المذكرات الخاصة ، والخواطر المتناثرة ، وعلى القارئ تكميل ما بالمقال من نقص .. ويقول معجم لاروس : " المقال اسم يطلق على الكتابات التى لا يدعى أصحابها التعمق فى بحثها ، أو الاحاطة التامة فى معالجتها . ذلك أن كلمة (مقال - Essay) ذاتها تعنى (محاولة - Epreuve) أو خبرة (Experience) أو (تطبيقاً مبدئياً - Premiere application) أو (تجربة أولية - Premiere tentative) " وعرفه قاموس أكسفورد فقال : " المقال هو انشاء كتابى معتدل الطول فى موضوع ما ، وهو دائما يعوزه الصقل ومن هنا يبدو أحيانا أنه غير مفهوم ، ولا منظم " (١) ويعرف الدكتور صمويل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) المقالة بأنها : " نزوة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام وهى قطعة لاتجرى على نسق معلوم ، ولم يتم وضعها فى نفس كاتبها . وليس الانشاء المنظم من المقالة الأدبية فى شىء " .

وقال البعض إن المقال فكرة ينقلها الكاتب من البيئة المحيطة به ، ويتأثر بها ، ويعبر عنها بطريقة ما ، حظها من النظام قليل ، وحاجتها إلى الترتيب والتحيص والتدقيق أقل . ذلك أن الكاتب لا يقصد إلى التعبير بالمنطق الشكلى

(١) نقلا عن كتاب عبد اللطيف حمزة / المدخل فى فن التحرير الصحفى (القاهرة - دار الفكر العربى - الطبعة الرابعة ١٩٦٨) ص ٢٢٦ و ٢٢٧ وكذلك كتاب ابراهيم امام / دراسات فى الفن الصحفى (القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢) ص ١٧٩

الجامد ، وانما بالمنطق النفسى الانسانى . فالمقال يعرض فيه الكاتب على قرائه فكرة ، أو اتجاهها . كما يعرض لموضوع من الموضوعات التى يزجى بها وقت الفراغ مع بعض الجلساء^(١) .

هذه التعريفات السابقة وأمثالها ، إن صدقت على المقال فى طوره الأول ، فهى لاتصدق عليه اليوم ، بعد أن تفوق كتابه فى احكام نسجه ، واتقان تأليفه كما أن المقال بمرور الأيام واختلاف الكتاب ، أصبح عملاً منظماً ، يتطلب مزيداً من إحكام الصنعة ، وضبط التصميم ، والاتزان ، والنضج ، والهدوء ، وعدم الاسراف فى عرض العواطف عرضاً مثيراً ، إلا أن المقال مع هذا لا يبلغ مبلغ البحث المتعمق .

أقسام المقال الثلاثة:

وبعض الذين كتبوا عن المقال ، نظروا إليه من زاوية الأسلوب ، أو الصيغة قبل غيرها . ويذهبون إلى تقسيم المقال إلى ثلاثة أقسام رئيسية على ضوء المستويات الثلاثة التى تستخدم فى الكتابة وهى^(٢) :

المقال الأدبى والمقال العلمى والمقال الصحفى

فالمقال الأدبى : هو الذى يقف فيه الأديباء للتعبير عن عواطفهم ، ومشاعرهم الوجدانية ، وتجاربهم الذاتية الانسانية بوجه عام تجاه مواقف خاصة ، أو مواقف عامه ، ولهم فى هذا التعبير طرائق شتى تختلف باختلاف الأشخاص ، واختلاف العصور ، واختلاف البيئات .

وينقسم المقال الأدبى إلى عدة أنواع ، منها على سبيل المثال : المقال الوصفى أو العرضى ، والمقال النقدى ، والمقال النزالى ، والمقال

(١) المرجع الثانى السابق ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) المقال لمؤلف / التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٢٢ - ٢٢٤ وكذلك كتاب فاروق أبو زيد / فن الكتابة الصحفية (القاهرة - دار المأمون للطباعة والنشر ١٩٨١) ص ١٨٠ و ١٨١ .

الكاريكاتورى ، والمقال القصصى ، والمقال الذى على شكل مذكرات أو اعترافات ، والمقال الذى على شكل رسائل بين الكاتب وقراءة ، والمقال الذى على شكل خواطر وتأملات .

والمقال العلمى ، هو الذى يقف فيه العلماء ليعبروا عن الحقائق العلمية ، من خلال منهج علمى يقوم على الموضوعية المطلقة ، سواء كان ذلك فى العلوم الكونية أو التاريخية ، أو الأدبية . وهم فى هذا التعبير يلتزمون لغة تمتاز بالوضوح ، واستخدام الألفاظ التى تكون على قدر المعانى ، واصطناع المصطلحات التى اتفق عليها أهل كل علم من هذه العلوم .

والمقال العلمى كذلك أنواع تختلف باختلاف المادة العلمية التى يخوض فيها الكاتب : فمقال فى مادة التاريخ ، وآخر فى مادة الطب ، وثالث فى مادة الفلسفة ، ورابع فى مادة الأدب من الناحية الوصفية وليس الانشائية وهكذا ، غير أنه يشترط فى المقال العلمى إذا أريد نشره فى صحيفة ، أن يبذل المحرر جهداً فى تبسيطه للقارئ ، ويغير هذا لتكون للصحيفة حاجة إلى نشره .

أما المقال الصحفى : فهو وسط بين المقال الأدبى ، والمقال العلمى ففيه شيء من ذاتية الكاتب الأدبى ، وفيه شيء من موضوعية العالم .. وهو أيضاً على المستوى العلمى ، الذى يقف فيه الصحفى ليفسر للقراء أخبار البيئة التى يعيشون فيها ، والبيئات التى يتصلون بها أثناء نقلها ، وبعد نقلها والتعليق عليها ، والصحفى فى سبيل هذه الغاية يستخدم لغة يفهمها القراء ، ولا يشترط فيها ما يشترط فى لغة الأدب من خيال أو جمال ، أو ما يشترط فى لغة العلم من دقة بالغة فى تحديد معانى الألفاظ .

والمقال الصحفى هو الآخر أنواع مختلفة ، أخذت تتطور حتى صار كل منها يشكل فناً صحفياً مستقلاً بذاته ، ومنها : المقال الافتتاحى ، والعمود

الصحفى ، واليوميات ، والمقال التحليلى ، والمقال النقدى .
إلا أنه بالرغم من ذلك ، ليس فى الاستطاعة الفصل فصلاً تاماً بين هذه
الأقسام الرئيسية الثلاثة التى هى : المقال الأدبى ، والمقال العلمى ، والمقال
الصحفى ، والسبب فى ذلك أنها تتلاقى فى كثير من الأحيان ، وتدع الباحث
المدقق فى حيرة .. خذ لذلك مثلاً مقال النقد ، فإنه يعتبر ذاتياً وموضوعياً فى
وقت معاً ، أو بعبارة أخرى يعتبر فناً وعلماً فى آن واحد ، له من الفن
ذاتيته ، وله من العلم موضوعيته .

فالنقد علم بمعنى أن له أصولاً وقواعد تنبغى مراعاتها ، ولايستطيع الناقد
أن يتجاهلها بحال من الأحوال . والنقد فن بمعنى أن صاحبه فى استطاعته أن
يبينى نقده على ذوقه الخاص ، وشعوره الخاص نحو القطعة الأدبية أو الفنية
التي يتعرض لها بالنقد ، ويزنسها بعيزانه ويطبق عليها أصوله فماذا
نسمى المقال النقدى إذن ؟ هل نسميه مقالاً أدبياً صرفاً ؟ أم نسميه مقالاً علمياً
بحتاً ؟ أم ننظر اليه على أنه مزاج من المقالين ؟ ...

ويمثل هذه الطريقة فى الواقع تتلاقى فنون المقال على اختلافها ،
ويتداخل بعضها فى بعض ، إلى الحد الذى تصعب معه التفرقة بينها تفرقة
لاتقبل الشك (١)

وفى مجال المقال الأدبى النقدى ، ظهرت فصول كثيرة فى الصحف ،
جمعت فيما بعد فى كتب . ومنها على سبيل المثال : حصاد الهشيم
لإبراهيم عبد القادر المازنى .. وساعات بين الكتب ، ومطالعات فى
الكتب والحياة ، وشعراء مصر فى الجيل الماضى لعباس محمود العقاد ..
وحديث الأرياء وحافظ وشوقي للدكتور طه حسين ... وثورة الادب

(١) الرجوع الأول السابق ص ٢٢٤ .

للككتور محمد حسين هيكل .. والمتأمل في هذه الفصول التي اشتملت عليها تلك الكتب ، يمكنه اعتبارها من المقال الأدبي ، ويمكنه اعتبارها كذلك من المقال النقدي وهو على صواب في كلتا الحالتين^(١) .

كيف يكتب المقال ؟

والمقال يكتب على هيئة الهرم المعتدل .. ويتألف من ثلاثة أجزاء هي : المقدمة ، والصلب ، والخاتمة .. وقبل هذه الأجزاء الثلاثة يأتي عنوان المقال وذلك على النحو التالي :

(١) المقدمة ، تشتمل على مدخل أو زاوية يعهد بها الكاتب لموضوع المقال ، بهدف تهيئة ذهن القارئ ، وتذكيره بالقضية أو المشكلة موضوع المقال .. وهذه المقدمة لها أهمية بالغة ، فهي التي تجذب القارئ فيمضي في القراءة إذا كانت جيدة ومشوقة ، وهي كذلك التي تصده فيقف عن القراءة إذا كانت رديئة وغير جيدة .

(٢) وصلب المقال ، وهو الجزء الذي يحتوى على المادة الجوهرية في المقال ، وتفاصيل الحدث أو القضية التي يطرحها الكاتب ، والأدلة والشواهد والحجج ، والبراهين المنطقية التي تؤيد وجهة نظر الكاتب وتقنع القارئ وتشبع رغبته ..

(٣) خاتمة المقال ، وينبغي ألا تقل عن أهمية المقدمة ، باعتبارها آخر ما يبقى منطقياً في ذهن القارئ بعد الانتهاء من القراءة ، ولا بد أن تكون قوية محكمة واضحة غير مسرفة في الطول حتى لا ينعدم تأثيرها . وأخيراً فإن الخاتمة يتوقف عليها مدى اقتناع القارئ أو عدم اقتناعه بموضوع المقال .

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٢٨ .

(٤) وقبل كل تلك الأجزاء الثلاثة السابقة يأتى عنوان المقال ، ويجب العناية به ، وأن يكون زاخراً بالحياة ، قادراً على التصوير ، مليئاً بالتعبير ، غنياً بعنصر الجذب والتشويق ، مناسباً لجو موضوع المقال ، وبذلك يضمن الكاتب كسب اهتمام القارئ واقناعه بأهمية المقال من اللحظة الأولى ونكتفى بهذا القدر من التمهيد حول المقال لننتقل بعد ذلك الى الحديث بالتفصيل عن كل من هذه الأقسام الثلاثة الرئيسية وهى : المقال الأدبى .. والمقال العلمى .. والمقال الصحفى ، وذلك فى الفصول الثلاثة التالية بمباحثها المختطفة .

* * * * *

* * *

* *

الفصل الثانى

المقال الأدبى وأنواعه

ازدهر المقال الأدبى بأنواعه المختلفة فى الصحافة المصرية ازدهاراً كبيراً فى وقت النهضة الفكرية التى سادت مصر فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ أى على وجه التقريب فى فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية وفى تلك الفترة نعمت مصر بشئ من الاستقرار المادى ، والاستقرار الاجتماعى ، أتاحا للشعب المصرى ، أو الطبقة المستنيرة منه ، أن تقرأ وتتذوق وتستمتع بألوان فكرية أدبية شتى . وفى تلك الفترة أيضاً أنجبت مصر خير أدبائها فى الواقع ، ومنهم على سبيل المثال : أمين الرافعى ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وعبد القادر حمزه ، وتوفيق دياب ، وعباس محمود العقاد ، والدكتور طه حسين ، والدكتور محمد حسين هيكل ، وإبراهيم عبد القادر المازنى ، وزكى مبارك ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد أمين ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وعبد العزيز البششى ، وفكرى أباطه ، وأحمد زكى ، ومحمد فريد أبو حديد ... وغيرهم^(١) . ولقد كتب هؤلاء الفصول الأدبية الممتعة فى الصحف المصرية .. وقدموا للقراء خلاصة طيبة للفكر الأدبى المصرى ، وتوزعت على أنواع عديدة من المقالات الأدبية ، منها : المقال القصصى ... ومقال الاعترافات ... ومقال الخواطر والتأملات ... والمقال الكاريكاتورى ... والمقال النزالى وتتناول كل نوع من هذه الأنواع فى مبحث مستقل من المباحث الخمسة التالية :

(١) المثل فى فن التحرير الصحفى ، مرجع سابق ص ٢٢٨

المبحث الأول المقال القصصى

يعتبر الأديب الصحفى المعروف ابراهيم عبد القادر المازنى (*) ، من أقدر كتاب مصر فى هذا اللون من ألوان المقال الأدبى .. وهو كاتب جم التواضع ، خفيف الروح فى الكتابة ، ضاحك من كل شىء حتى من نفسه .. وكان يتغلب على كآبته الأصلية بالضحك ، وأسلوبه طراز فريد ، يتميز بدقة تعبيره وواقعيته .. وقد ظهر تواضعه الجم فى اللغة التى كان يكتب بها المقال ، وفى طريقة عرضه على القراء .. وتم جمع مقالاته فى عدة مجموعات منــــــــــــها : (حصاد الهشيم ١٩٢٤) و (صندوق الدنيا ١٩٢٩) و (ابراهيم الكاتب ١٩٣١) و (خيوط العنكبوت ١٩٣٥) و (فى الطريق ١٩٣٦) و (قبض الريح) و (من النافذة) و (ع الماشى) ... الخ .

وقد اشتهر المازنى بكتابة الأقصوصة ، وهى ما يطلق عليها اسم (المقال القصصى) والتى امتلأت بها الصحف المصرية فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ أى فى فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية على وجه التقريب حيث سعدت مصر حينئذ بالوان فكرية وأدبية شتى ، وازدهر الأدب خلالها ازدهاراً عظيماً .. وبالرغم من أن المازنى قد سبقه فى كتابة الأقصوصة ، وجرى معه فى ميدانها كثيرون من أمثال : محمود تيمور ، وجبران خليل جبران ، واسماعيل أدهم ، وغيرهم ، إلا أن أحداً من هؤلاء لم يرزق موهبة المازنى فى عذوية الكلام ، وحنونة الفكاهة ، وشعبية العبارة ،

(*) وهو أديب صحفى ولد بالقاهرة عام ١٨٨٩ ومات بها عام ١٩٤٩ وتخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، وأقبل على قراءة كتب الأدب العربى القديم ، وأتقن الانجليزية وقرأ كثيراً فى آدابها . واشتغل بالتعليم زمناً ، وأقبل فى مطلع حياته الأدبية على نظم الشعر فاصدر جزأين من ديوانه (١٩١٤ - ١٩١٧) ولم يلبث أن انصرف عن الشعر والتعليم واتجه الى الكتابة فى الصحف فوجد أداته الأدبية الحقة فى المقال (راجع الموسوعة العربية الميسرة - القاهرة - دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - الطبعة الثانية ١٩٧٢ ص ١٦٢١) .

مع المحافظة التامة في الوقت نفسه على عربييتها ، وإن ظل إنتاجه القصصى يحمل طابع الحديث الشخصى الذى تتميز به مقالاته (١) ومع أن ابراهيم عبد القادر المازنى كان من أكثر الكتاب المتحدثين عن نفسه وعن بيئته ، وعن صلته بأهله وبالناس ، إلا أن توفيق الحكيم يقول عنه :

"الويل كل الويل لمن يؤدخ للمازني ، فإن الكذب هبة من هباته .. ذلك أن قدرة المازني في الخيال والاختراع واختلاط حقه بباطله ، قد أسدلت حجاباً كثيفاً على وجهه الحقيقي" (١)

ورد المازنى على مقال توفيق الحكيم مفسراً هذا الكذب بأنـــــــــــــــه
 (الصدق الفنى) حيث قال : " وليس الصدق عندى - وأحسب الأستاذ توفيق
 الحكيم مثلى - أن يروى الكاتب قصة وقعت كلها بجملتها وتفصيلها بلا نقص
 ولازيادة ، فما لهذا قيمة ، ولاحو من الأدب الجدير بهذا الاسم ، وانما المعول
 الصدق والكذب على طريقة العرض وأسلوب التناول والاختلاص فى التعبير
 والتصوير . ولا وزن لكون القصة مما وقع للكاتب ، أو لسواه أو مما تخيل ،
 وقد يأخذ الكاتب بعض الوقائع فيضيف إليه ، أو ينقص منه ، ويبين قصته
 مما جرب وعرف وتخيّل أيضاً ، ولأمر من هذا المزج بين الحقيقة والخيال .

(١) اللغز في فن التحرير الصحفي / مرجع سابق ص ٢٢٨ و ٢٢٤ وكذلك الموسوعة العربية الميسرة مرجع سابق ص ١٦٢١ .

(٢) نغمات أحمد فؤاد / أدب المازني من ٤٤ نقلا عن مجلة الثقافة بتاريخ ١١ / ٤ / ١٩٣٩ .

وسنة الحياة واحدة فى خلق الحيوان ، وخلق الفكرة أو الاحساس ، أو الخيال ، وهذه السنة هى التوليد * (١) ومعنى ذلك باختصار - كما يقول عبد اللطيف حمزه (٢) - أن الواقعية عند الفنان هى الحياة التى حوله مضافة إليها شخصية هذا الفنان نفسه ، أو هى الحياة كما تعكسها مرآة هذا الفنان بالشكل الذى يراه . فلا ينبغي أن ننتظر من الكاتب الواقعى أن يجعل نفسه آلة لاتحس ولاتشعر ، أو أن يصور لنا الحياة تصويراً فوتوغرافياً ، كما لاينبغى لنا أن ننتظر منه ألا يقص علينا غير ماوقع بالفعل ، فليس هذا هو المقصود بالواقعية فى الأدب ، وحسبنا منه إذن أن يقنعنا بأن هذه الحوادث التى قصها علينا ممكنة الوقوع ، وأن هذه الشخصيات التى تحدث عنها من الجائز أن توجد فى الحياة .

نموذج مقال قصصى :

وفيما يلى تقدم مثالا لمقال قصصى بقلم ابراهيم عبد القادر المازنى من بين المقالات القصصية التى جمعها فى كتابه (صندوق الدنيا) وعنوانه " حلاق القرية " (٣) وفيه يقول " :

وقعت لى هذه الحادثة فى الريف منذ سنوات عديدة قبل أن تنفلغل المدينة إلى أقصى قراه ، وكنت أنا الجانى على نفس فيها ، فقد عرض مضيفى أن أستعمل موساه قابيت ، وقلت مادام أن للقرية حلاقاً فعلى به ، فحطرنى مضيفى وأذلرنى ، ووعظنى .. ولكنى ركبت رأسى ، وأصررت أن يجرى الحلاق . فجاء بعد بضع ساعات يحمل ماظنته فى أول الأمر " مخللة شعير " وسلم وقعد ، وشرع يحيينى ويحادثنى حتى شككت فى أمره ، واعتقدت أن الحلاق شخص آخر ، وأن هذا الجالس أمامى ليس

(١) مجلة الثقافة بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٣٩ .

(٢) الدخلى فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٣٥ و ٢٣٦ .

(٣) صندوق الدنيا (القاهرة - دار الترقى للطبع والنشر ١٩٢٩) ص ٧١ .

أم لابد أن يضرب الرمل والحصى أولاً ؟ وبحسب الطالع قيل أن يباشر العمل ؟ فلم يفهم ما أقول ،
وأولاني صدغاً كث الشعر وقال " هيه " فظننته أصم ، وصحت به " ا - ريد ، أن ا - ح - ل - ق " فسرته
صياحي جداً ، وضحك كثيراً ، وأقبل علي " مخلاته " فأخرج منها مقصاً كبيراً ، فدنوت من أذنه وسألته
: هل في القرية قيل ؟ فقال : قيل . لماذا ؟ فإشرت إلى المقص ، فضحك وقال : هذا مقص حمير ولا مؤاخذه
، فقلت : ولماذا تجيئني بمقص حمير ؟ أحماراً تراني ؟ .

ويظهر أن معاشره الحمير بلدت إحساسه ، فانه لم يعترض لي ، ولأعيا بسؤالي شيئاً ، ثم أخرج
" موسى " من طراز المقص ، و" مكنة " من هذا القليل أيضاً ، فعجبت له : لماذا يجيء إلي بكل أدوات
الحمير ؟ وسألته عن ذلك فقال : إن الله مع الصابرين . وبعد أن أفرغ مخلاته كلها انتقى أصغر الأدوات
جميعاً وأصغرها هو أكبر ما رأيته في حياتي . ثم أقبل علي وقال : تفضل . قلت : ماذا تعني ؟ قال :
أجلس على الأرض . قلت : ولماذا بالله ؟ قال : ألا تريد أن تحلق ؟ قلت : ألا يمكن أن أحلق وأنا قاعد على
الكرسي ؟ قال : وأنا ؟ قلت في سري : وأنت تذهب إلى جنهم ويثس المصير !! .

وهبطت إلى الأرض كما أمر ، ففتح موسى كالبرد ، فقلت : إن وجهي ليس حديداً يا هذا . قال
لاتخف أن شاء الله ولكي خفت بالإن الله ولا سيما حين شرع يقول : بسم الله . الله لكبر .. كأنما كنت
خروفاً ، ويصق في كفه ، ثم شحذ موسى على بطن راحته ، ثم جذب رأسي ، فذعرت ، ونفرت ،
ووليت هارباً إلى أقصى الغرفة : فقال لي : ماذا ؟ قلت : ماذا ؟ أتريد أن تحلق لي بمبرد ، ومن غير
صابون ؟ قال : ماذا يخيفك ؟ قلت : يخيفني ؟ لقد دعوتك لتحلق لي لعميتي ، لا لترد لي شعرها . قال :
يا أفندي لاتخف ، ثم قرأ من الكتاب الكريم : " فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى " إلى آخر
الآية الشريفة وأظنه أراد أن يرقيني بها . فبأ لها من حلاقة لا تكون إلا بركة !!

وأسلمت أمري لله ، وعدت ففعدت أمامه ، فتهض على ركبتيه ، وتناول رأسي بين كفيه ، وأمال صدغي إليه
، ثم وضع ركبته على فخذي ، ولف ذراعه حول عنقي ، فصار فسي مدفوناً في صدره ، فصحت - أو على
الأصح - جاهدت أريد الصياح لعل أحداً يسمعنني فينجدني ، غير أن طيات ثوبه كانت في فمي ، أما رائحة
الثوب فبحسب القاريء أن يعلم أنها أفقتتني الوعى .

ولأطيل على القاريء ، فقد أهوى الرجل بموساه على وجهي ، فسلخ قطعة من جلدي ، فرفنى الألم إلى
الحياة ، وأتاني القوة الكافية للصراخ على الرغم من الكمامة ، ووثبت أريد الباب ، ولكنه كان على كبر سنه
أسرع مني ، وما يدريني لعله كان يتوقع ذلك ، وعسى أن تكون المراته قد علمته أن يكون يقطاً لأمثال هذه

المحاولات ، فردنى بقوة ساعده ، فتشهدت ، وتكررت قول المتنبي :
(واذا لم يكن من الموت بد . . فمن العجز أن تموت جيانا) .. كلا ! سأسدل الستار على هذا
المنظر الذى يقف له جلدى ، على الرغم من كر السنين الطويلة ، ثم جاء هذا السفاح يطشت يفرق فيه كيش ،
ووضعه تحت ذقنى ، وصب ماء على وجهى ، وفى صدرى ، وعلى ظهرى ، ليفسل الدم الزكى الذى أراقه
- وأخرج من " مخلاته " منشقة " هى " بمسحة " الأرض اشبه ، فاعتذرت وأخرجت منديلى ، وسبقته إلى
وجهى . فهى معركة لايزال بجلدى منها ندوب وآثار . " انتهى المقال .

خصائص المقال القصصى :

ومن دراسة فن المقال القصصى عند المازنى ، يمكن استخلاص عدة
خصائص ونسمات يعتمد عليها ومنها مايلى .^(١)

أولا : الاتساع فى الخيال ، وهو ماأسماء توفيق الحكيم (الكذب الحقيقى)
ومأسماء المازنى (الصديق الفنى) ، فليس من الضرورى أن تكون
الصورة كاملة الأجزاء فى الواقع الملموس من الحياة ، لأن الكاتب المبدع
يستطيع يفنه وأبداعه ، وتصوره وخياله ، أن يكمل ما بهذه الصورة من
نقص ، أو يحذف ما بها من زيادة ، على حد قول المازنى .

ثانيا : انتزاع الفكاهة من الوقائع التى يروىها الكاتب ، ولو كانت من
الوقائع التافهة فى ذاتها ، وهكذا يستطيع المازنى أن يستهويننا دائما
بقدرته على التصوير ، وبراعته فى انتزاع الفكاهة من الحياة بجميع
صورها وأشكالها ، وبما فى هذه الحياة من جد وهزل ، ومافيه من
أشياء قيمة وأخرى مهمة .

ثالثا : استعمال اللغة التى تصور الواقع ، أو التى تشتق منه فى أغلب
الأحيان ، مادامت هذه الأقاصيص ، أو المقالات القصصية قطعة من
الحياة الواقعية ، كما أراد لها الكاتب أن تكون كذلك . . . من أجل هذا
حرص إبراهيم عبد القادر المازنى على أن يختزن فى ذهنه مئات
الذكريات ، وألا يترك واحدة منها فى الماضى أو الحاضر تفلت من
ذاكرته . ذلك أنه مطالب على الدوام بأن يمد هذه الصحيفة أو تلك

(١) للدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٣٩ - ٢٤١

بالمقال القصصى الذى تعود منه القراء وفى ذلك يقول المازنى أيضا " وان كتبت فى الأسبوع مقالين ، فجملة ذلك فى العام يبلغ المائة ، وكل مائه مقال تملأ ثلاثة كتب ، فسيكون لى أذن بعد عشرة أعوام - اذا ظلت هكذا - ثلاثون كتابا ، خلاف ما أخرجت قبل ذلك . والبلاء والداء العياء أن تكتب مرة مقالة فكاهية ، والطامة الكبرى أن تكون المقالة جيدة وأن تكون الفكاهة فيها بارعة ، فلا راحة لك بعد هذا أبدا ، لأن الناس يظنون ينتظرون منك بعد ذلك أن تطرفهم بالفكاهات فى كل مقال آخر ، فإن أخطأوا عندك ما يطلبون من الفكاهة فالويل لك ، وأنت عندهم ضعيف لا تحسن أن تكتب ، أو غير موفق فيما تحاول حتى ولو كنت تكتب ، والناس معذورون ، فإن وطأة الحياة ثقيلة ، ومادمت قد عودتهم أن تسليهم وتضحكهم ، أو أطعمتهم وأنشأت فى نفوسهم الأمل فى هذا فماذا تريد أن تتوقع ؟ .

رابعا : التهويل فى وصف الأشياء ، وهو نوع من الكذب الذى ذكره توفيق الحكيم ، ومعناه عند البلاغيين كمعنى الذى يقول : أعذب الشعر أكذبه ، أى أمعنه فى التخييل . فحقيقة الحلاق (مخللة شعير) ومقصسه (مقص حمير) وموساه (مبرد) وحلاقتة نفسها لا تكون إلا برقية من الرقى . وهكذا .. فالمبالغة إذن أساس من الأسس التى يبنى عليها أقصوصه دائما .. ومقالاته القصصية كانت فى حقيقة أمرها خير ما يصور البيئة المصرية ، والدعابة المصرية ، والشخصية المصرية ، ومبنية على الشكوى وعلى الشك فى الحياة وعلى عدم الثقة فيها والاستخفاف بها وغير ذلك من السمات العامة .

نموذج آخر :

قدمنا فيما سبق نموذجا كاملا من المقال القصصى للمازنى الذى كتب مئات المقالات المشابهة وتم جمعها فى كتب عديدة سبق ذكرها .. ومنه يتضح أن آتفه الحوادث فى نظر الناس يصلح أن يكون مادة أدبية رائعة تروق لجميع الناس ، متى تناولها كاتب قدير يحيلها الى مادة جذيرة بالنشر فى صحيفة .. وفيما يلى نقدم نموذجا آخر لكاتب حديث من الكتاب الساخرين وهو (يوسف عوف) يعرض فيه بعض هموم الشباب ومشكلاتهم فى عدم وجود وظائف لهم ، لذلك يسافرون الى الخارج ، وهناك يقابلون المشكلات والصعاب ، يعرضها الكاتب (يوسف عوف) فى أسلوب ساخر ، وخيال واسع وينتزع الفكاهة من الوقائع التى يرويها ، كما يستعمل فيه اللغة الى تصور الواقع وتشتق منه باعتبارها قطعة من الحياة الواقعية . وهذا النموذج من مجلة الشباب بعنوان (و .. هوبا .. على أوريا)^(١) وقد جاء فيه : حسنين : مالها الشغلة دى يا عادل ؟ موش احسن ماأنت قاعد عاطل كده ؟؟ عادل : جرى إيه يا حسنين ؟؟ هو انا كنت ياخذ بكالوريوس تجارة عشان أجى عا الآخر واشتغل كاتب حسابات عند المعلم شفتورة الجزائر ؟؟

- وفيها إيه ؟؟ موش شغلة شريفة ؟؟

- بس موش أد القام

- وإذا كانت هى دى اللى موجودة حاليا

- ماتلزمينش

- طيب ماأنا زيك بكالوريوس تجارة برضه ، وباشتغل بياح فى بوتيك مدام وزه III

- انت شىء وأنا شىء

- بكرة تقدم يا عادل

أحمد : هو مفيش أى شغلة عاجبك يا عادل يا ابنى ؟؟

عادل : معقول يا بابا . على آخر الزمن اشتغل ضابط أمن فى شركة ؟؟

مهديّة : وماله يا ابنى بس بيهينوك ضابط أمن برتبة كبيرة .. لــــواء عا الأقل

أحمد : لواء إيه يا مهديّة ضباط الأمن كلهم رتبة واحدة يا وليّة ..

عادل : من غير ولا دبورة يا ماما .. مهديّة " تشهق " وتهزأ بنفسك ليه ؟؟ بلاش منها الشغلة دى

خالص ..

أحمد : يعنى عاجبك قعدتك جنبك فى البيت .

مهديّة : يعنى هى لقمته اللى حاتزود ؟؟

(١) مجلة الشباب العدد (٢١٤) بتاريخ مايو ١٩٩٥ ص ٤١ .

سحر : (تدخل من باب الشقة حامله خطابا فى يدها) عادل جواب باسمك لقيته فى صندوق اليوسته .
عادل : (يقضى الخطاب بسرعة ويتصفحة فيشرق وجهه) ده من حسن فوقى فى المانيا .
سحر: صحيح ١٩ كاتب لك ايه ١٩ عادل يقول لى انه لقي لى شغلة حلوة اوى فى دوسلدورف ..
أحمد : يظهر حسن فوقى صاحبك ده له حيثية كبيرة هناك .
عادل : امال ايه .. ده بيشتغل من زمان فى الأمن الغذائى بتاع المانيا
سحر : مبروك يا عادل ... مهدية - تزغرد .

* * * * *

** يسافر عادل الى المانيا وقد امتلأ قلبه بالأمل ويستقبله صديقة حسن ويدعوه للأقامة عنده مؤقتا فى
حجرته الضيقة لحين استلامه العمل .. ويكتشف عادل أن الحجرة مشتركة بين ثلاثة من الشباب المصرى
المهاجر ثم يكتشف أن صديقه حسن خبير الأمن الغذائى فى المانيا ، يعمل مرمطونا فى مطبخ احد
المطاعم حيث يقوم بفصل المواعين والأطباق ومساعدة الشيف والطباخين فيساله وهو يضع يده على قلبه :-
ويا ترى ايه هى الوظيفة اللى انت حاجزها لى يا حسن ١٩
- شغلته زى الفل
- أهوكده بليت ريقى .
- بالليل بعد ما الناس ما تنام .. حاتكنس الشوارع وتفسلها بالميه والصابون لحاد ماتبقى زى الفل

* لايجد عادل مجالا للرفض ويشطر لقبول هذا العمل حتى لا يضطر للعودة الى مصر وقفاه يقمر
عيش ويشمت فيه الكثيرون ..
سحر تفنى الخطاب الذى وصل من المانيا بسرعة وتتصفحه بينما الأب والأم " أحمد ومهدية " ينتظران
فى لهفة :

مهدية : هيه ١٩ ... هو كويس ١٩ ؟
سحر : أيوه ياماما ... واستلم شغلته اول ماوصل .
أحمد : اشتغل ايه هناك .
سحر : موش عارفة .. لكن باين عليها شغلة مهمة اوى .
أحمد : ايه هى ؟

سحر : كاتب انه بيقوم بتنظيف أوريا كلها من الأوحال اللى غرقانة فيها لكى يعود اليها وجهها
الناصح مرة أخرى .
أحمد : يهتف " ريتا يحميك يابنى .. أهوكده وريهم اخنا مين .. زغرتى
ياولية ...
مهدية " تزغرد " .

* * * * *

* * عائد مهنة الكناس تكفى بالكاد طعام وإقامة عادل .. ولكن قبل أن يمر عليه فيها شهران ، تقوم فى ألمانيا حركة تنادى بالتخلص من العمالة الأجنبية خاصة الجنس الأصفر والأتراك والعرب والأفريكان وتعتدى الجماعات النازية الجديدة على حياتهم ويطاردونهم حتى الحدود .

* يهرب عادل مع أفواج الهاربين ويتجه الى هولندا حيث يلتحق بأحد الأوتيلات فى وظيفة عامل مصعد .. فى مصر تقرأ سحر خطاب عادل على والديها :

سحر تقرأ " ولست فى حل من الإفصاح عن طبيعة عملى الجديد حاليا ... ولكن يكفى أن تعرفوا أنى أساعد الناس فى الصعود الى الطبقات العليا وأنه لولاى لظلوا فى أماكنهم بأسفل " .

أحمد : " يهتف " الله اكبر ... تحيا مصر .

مهدية تزغرد .

* * * * *

* * تمتد حركة طرد العمالة الأجنبية الى امستردام أيضا فيهرب عادل مع الهاربين الى باريس .

سحر : تقرأ خطاب عادل من باريس

سحر : بابا ماما .. عارفين عادل بيشتغل ايه دلوقتى !!

مهدية : ايه ؟

سحر : فى الصحافة .

أحمد : الواد فى بحر كام شهر بس حط أوروبا كلها فى جيبه ...

مهدية : طيب مايشخسج جيبه ده ويبعث لنا حاجة .. ده مفيش ولا حتى هدية صغيرة بعثها لاخته

سحر

أحمد : هدية ايه ياولية ... كفاية إنه عرفهم احنا مين .. فراعنة بصحيح .. فى اعجاب " يابن الإيه

بقى الصحافة مرة واحدة !!

* فى باريس نجد عادل ينتقل بين محطات مترو الأنفاق حيث يبيع الصحف !!

* * * * *

* * تشتد حركة شرب وقتل وطرد العمالة الأجنبية من كل أوروبا وإحلال عمالة بديلة لها من دول أوروبا الشرقية بعد تحريرها وانتشار البطالة بها .. وتستمر مطاردة الشرطة والأهالى للعمال الأجانب من دولة الى دولة حتى يخلون أوروبا منهم تماما ..

* يصل عادل الى مصر فجأة فيقابل بالأحضان والفرح والحب ويحدثهم - وهو رافع الرأس - عن سبب حضوره المفاجئ الى مصر فيقول .

عادل - آخر حاجة بقى عملتها هناك ... مثلت فيلم أكشن ... حركة ... كله مطاردات ... البوليس والأهالى كانوا يطاردونى جوه الفيلم والمعجبين والمعجبات بقوا يطاردونى فى الشوارع بره الفيلم ... وفضلوا دول ودول يطاردونى لحاد مصر .

سحر - فى إعجاب " يا حبيبى يا أبة

أحمد : " يهتف " رفعت رأس مصر .

مهدية : "تزغرد"

عادل - ينفجر فجأة بالبكاء ..

أحمد يتعيط ليه ١٩

عادل - صعبان على حسنين وبقية الشلة .. ياريتهم كانوا معايا هناك - ياترى عاملين ايه دلوقتى -

سحر - خدوا قرض من صندوق التنمية الاجتماعى وعاملين مشروع صغير للتغليف والتعليب -

عادل - غلايه ... بس لازم اشتغل معاهم عشان أساعدهم -

أحمد - وتسيب أوروبا -

سحر - حاجتنا سوا هناك من غيرك - عادل : خليه يترى شوية -

أحمد هو ده ابنى .. هى لى مصر -

مهدية "تزغرد"

* * * * *

وبعد ذلك تنتقل الى الحديث عن نوع آخر من أنواع المقال الألبى وهو المقال الخاص بالاعترافات - وذلك فى المبحث التالى

* * * * *
* * *
* *
*

المبحث الثانى مقال الاعترافات

بالنسبة للمقال الذى على شكل مذكرات أو اعترفات ، يوجد على سبيل المثال كتاب (الأيام) للدكتور طه حسين ، وكتاب (حياتى) لأحمد أمين ، وكتاب (عالم القيود والسدود) لعباس العقاد ، وكذلك (مذكرات مدمن على الحشيش) لطبيب اسمه (الجريدنى) نشرها على هيئة مقالات فى مجلة الهلال بدون توقيع وفى الحقيقة لم يبلغ أحد من هؤلاء الكتاب الأفذاذ فى هذا الفن من فنون المقال الأدبى ، بعض مابلغه الدكتور طه حسين (*) فى كتابه المعروف (الأيام) الذى جاء صورة نابضة بالحياة ، زاخرة بالمعانى ، رسمها كاتب قدير عرف بغزارة العاطفة ، وجمال التصوير ، وعذوبة العبارة .

وكتاب (الأيام) فضلا عن كونه جاء صورة للقربة المصرية بما فيها ومن عليها ، فانه جاء كذلك فى الوقت نفسه صورة رائعة لكفاح شاب فقد البصر منذ الصغر ، ولكنه ناضل فى حياته حتى أصبح ملء السمع ، وملء البصر وأصل هذا الكتاب كان عبارة عن عدد من المقالات نشرت تباعا على هيئة فصول فى مجلة الهلال عام ١٩٣٦ فاقبل القراء على قراءتها بشغف شديد ، وحين انتهى طه حسين من وصف طفولته ، وصدر من شبابه ، أشاروا عليه بأن يجمع هذه الفصول فى كتاب ، فجمعها باسم (الأيام) الذى تم ترجمته فيما بعد الى عدد غير قليل من اللغات الأجنبية ، ووجد أصحاب هذه اللغات فى قراءته أضعاف اللذة التى وجدها أصحاب العربية . ويمتاز كتاب (الأيام) بأمور شتى يمكن تلخيصها فى عبارة واحدة ، وهى أنه واقعى فى تصويره ، وإن لم يكن واقعى فى طريقة تعبيره

(*) طه حسين كاتب وباحث أدبى ، لقب بمعيد الأدب العربى ، وقد ولد عام ١٨٨٩ فى إحدى قرى مركز مغاغة بصعيد مصر . وفقد بصره طفلا فوجه الى الكتاب ثم الأزهر ثم اتصل بأحمد لطفى السيد . وانتظم فى الجامعة الأهلية ، ثم سافر فى بعثة إلى فرنسا ، وبعد عودته حاضر فى الجامعة الأهلية ، ولما أنشئت الجامعة المصرية عام ١٩٢٥ عين أستاذا بها ثم أصبح عميدا لكلية الآداب . وكتب فى المجلات الأدبية ونشر مقالات سياسية فى صحف الوفد فى أثناء حكم اسماعيل صدقى ، وتولى منصب مدير جامعة الاسكندرية ، فوزير للمعارف ورئيس اللجنة الثقافية للجامعات العربية . وانتاجه الأدبى ضخم متنوع يشمل دراسات أدبية منها : (ذكرى أبى العلاء) نال به الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة عام ١٩١٤ و (ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية) نال به الدكتوراه من السوربون (الترجمة العربية ١٩٢٥) و (حديث الأريعاء) و (فى الأدب الماهلى) و (حافظ وشوقي) و (مع المتنبي) و (خصام ونقد) . . . الخ ودراسات فى التاريخ السياسى والاجتماعى لعصر الاسلام : (الفتنة الكبرى) وأخرى فى أصول الحضارة الغربية وتيارات الأدب الغربى المعاصر . كما يشمل قصصا فنيا مستمدا من كتب السيرة : (على هامش السيرة) وقصصا حداثيا يدور معظمه فى بيئة الصعيد : (دعاء الكروان) و (شجرة البؤس) وقد صاغ انتاجه القصصى صياغة فنية تجمع بين البساطة والفخامة والوضوح (الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٦٤)

فالكتاب واقعى فى تصويره ، بمعنى أن الدكتور طه حسين وصف به حياته فى الريف المصرى أصدق مايكون الوصف ، وصور الحياة فى هذا الريف المصرى أدق مايكون التصوير ، فلا تكلف فى تزويق الحديث ، ولاجنوح الى اختراع الحوادث ، ولا رغبة فى اخفاء الحقائق عن عين القارئ .. غير أن الكتاب ليس واقعياً من حيث الأسلوب الكتابى أو طريقة التعبير.. ذلك أن طه حسين يابى على شخصياته القصصية فى (الأيام) إلا أن تنطق اللغة العربية الفصيحة .. ومع ذلك لا يحس القارئ بأن فى اللغة الفصيحة التى يجربها الكاتب على السنة أشخاصه شيئاً من الغضاضة أو التكلف الذى يقلل تقليلاً واضحاً من صفة الواقعية ، وليس كل كاتب من الكتاب قادراً على ذلك فى الواقع ، إذ أن طواعية اللغة لا تيسر عادة إلا للعارفين بها والقادرين عليها .^(١)

نموذج من كتاب الأيام :

وفيما يلى نقدم نموذجاً يشتمل على بعض صفحات من كتاب (الأيام) التى كان قد نشرها طه حسين على هيئة مقالات فى مجلة الهلال كما سبق ايضاحه ... يقول طه حسين :

" .. على أن صبيانا لم يلبث أن أضاف إلى هذه الألوان من العلم لونا آخر جديداً هو (علم السحر والطلاسم) ، فقد كان باعة الكتب يتنقلون فى القرى والمدن يخليطون الأسفار ، لعله أصدق مثل لعقيدة الريف فى ذلك العهد . كانوا يحملون فى حقائبهم : مناقب الصالحين ، وأخبار الفتوح والغزوات ، وقصه القط والفار ، وحوار السلك والوابور ، وشمس المعارف الكبرى فى السحر ، وكتاباً آخر لست أدرى كيف يسمى . ولكنه كان يعرف بكتاب (الديريى) ثم أوراداً مختلفة ، ثم قصص المولد النبوى ، ثم مجموعات من الشعر الصوفى ، ثم كتباً فى الوعظ والارشاد ، وأخرى فى المحاضرات ومجائب الأخبار ، ثم قصص الأبطال من الهالبيين والزناتيين وعنتره والظاهر بيبرس ، وسيف بن ذي يزن ، ثم القرآن الكريم مع هذا كله . وكان الناس يشترون هذه الكتب كلها ، ويلتهمون ما فيها التهاماً . وكانت عقليتهم تتكون من خلاصتها كما تتكون أجسامهم من خلاصه مايكلون ويشربون .

" وكان من القصص التى تكثر فى أيدي الصبيان ، يحملها إليهم باعة الكتب ، قصة اقتطعت من ألف ليلة وتعرف بقصة (حسن البصرى) وفى هذه القصة أخبار ذلك المجوسى الذى كان يحول النحاس ذهباً ، وأخبار ذلك القصر الذى كان يقوم من وراء الجبل على أعمدة شاهقة فى الهواء ، وتقيم فيه بنات سبع من بنات الجن ، والذي أرى إليه حسن البصرى ، ثم أخبار حسن هذا ، وما كان من رحلته الطويلة

(١) المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

لشاقة إلى دور الجن .

" وبين هذه الأخبار خبر ملا الصبي إعجاباً ، وهو أن قضيباً أهدى إلى حسن البصري في بعض رحلاته ، وكان من خواص هذا القضيب أن تضرب به الأرض فتشقق ويخرج منها تسعة نفر ياترون بأمر صاحب القضيب - وهم بالطبع من الجن - أقوياء ، خفاف ، يطبرون أو يعدون ، ويحملون الأثقال ، ويأتون من عجيب الأمر ما لاحد له .

" فنق الصبي بهذه العصا ، ورغب في أن يطفر بها رغبة شديدة قوية ، أرقت ليله ، ونقصت يومه ، فآخذ يقرأ كتب السحر والتصوف ، يتلمس عند السحرة والمتصوفين وسيلة تمكنه من هذه العصا .

" وكان له قريب صبي مثله يرافقه إلى الكتاب ، فكان أشد منه كلفاً بهذه العصا ، وماهى إلا أن جد الصبيان في البحث ، حتى انتهى إلى وسيلة يسيرة تمكنهما مما يريدان ، وجداها في كتاب (اليربى) .

وهي أن يخلو الفتى إلى نفسه - وقد تطهر - ووضع بين يديه ناراً ومقداراً من الطيب ، ثم يأخذ الفتى في ترديد هذا الاسم من أسماء الله (يا لطيف ، يا لطيف) ملقياً في النار شيئاً من الطيب من حين إلى حين . ويمضي في ترديد هذه الكلمة ، وتحريق الطيب حتى تكور به الأرض ، وينشق أمامه خادم من الجن موكل بهذا الاسم من أسماء الله فيطلب إليه ما يريد ، والحاجة مقضية من غير شك .

" ظفر الصبيان بهذه الوسيلة ، فاعتزما أن يستخدمها ، وماهى إلا أن اشتريا ضرورياً من الطيب ، وخلا صبينا إلى نفسه في (المنطرة) فاعلق بابها من دونه ، ووضع بين يديه قطعاً من النار ، وأخذ يلقي فيها الطيب ، ويردد (يا لطيف ، يا لطيف) وطال به هذا ، وهو ينتظر أن تكور به الأرض ، وتتشق له الحائط ، ويمثل الخادم بين يديه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن .

" وهنا تحول صبينا الساحر للتصوف إلى نصاب II

" خرج من (المنطرة) مضطرباً ، ويمسك رأسه بيديه ، ولا يكاد لسانه يتطق بحرف واحد . فلتقاه صاحبه الصبي يسأله : هل لقي الخادم ؟ وهل طلب إليه العصا ؟ وصاحبنا لا يجيب إلا مضطرباً : " مرتجفاً تصبطك أسنانه اصطكاكاً حتى روع رفيقه الصبي . وبعد لأي أخذ صاحبنا يهدأ ، ويجيب في الفاظ متقطعة ، ويصوت متهدج : " لقد دارت بي الأرض ، وكنت أسقط ، وانشقت الحائط ، وسمعت صوتاً ملا الحجرة من جميع نواحيها ، ثم أقمى على ، ثم أفقت وخرجت مسرعاً " .

" سمع الصبي هذا قائلاً فرحاً وأعجاباً بصاحبه وقال له : هون عليك ، فقد أصابك الرعب ، وملك عليك الخوف أمرك ، فلنبحث في الكتاب عن شيء يؤمنك ، ويشجعك على أن تثبت للخادم ، وتطلب منه ماتشاء II .

" واستأنفا البحث في الكتاب ، وانتهى بهما البحث إلى أن صاحب الخلوة يجب أن يصلى ركعتين قبل أن يجلس إلى النار ، ويأخذ في ترديد هذا الاسم ، وكذلك فعل الصبي من غده ، وأخذ يلقي الطيب في النار ويردد دعاء (اللطيف) ينتظر أن تكور به الأرض ، وينشق له الحائط ، ويمثل الخادم بين يديه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن . وخرج الصبي إلى صاحبه هادئاً مطمئناً ، فأخبره أن قد دارت الأرض ، وانشق الحائط ، ومثل الخادم بين يديه ، وسمع منه حاجته ، ولكنه لم يشأ أن يجيبه إليها حتى يمرن على هذه الخلوة ، ويكثر من الصلاة وإطلاق البخور ، ولكر اسم الله ، وضرب له موعداً لقضاء هذه الحاجة شهراً كاملاً يأتي فيه هذا الأمر في نظام ، فان فسد هذا النظام فلا بد من استئناف الأمر شهراً كاملاً آخر .

"وصدق الصبي صاحبة ، وأخذ يلح عليه في كل يوم أن يخلو إلى النار ويردد الدعاء وأخذ الصبي يستغل من صاحبه هذا الضعف ، ويكلفه ما شاء من مشقة وعناء . فان أبى أو أظهر الالباء ، أعلن إليه صاحبه أنه لن يخلو إلى النار ، ولن يدعو (اللطيف) ولن يلصق العصا ، فيذعن انزعاجاً سريعاً " انتهى النموذج .

على هذا النحو أخذ (طه حسين) يقص تاريخ حياته ، ويكتبه فصولاً على شكل مقالات يبعث بها الى مجلة الهلال .. وكان أسلوب هذه المقالات التي على شكل اعتراف متأثرة بالمدرسة الجاحظية في الكتابة ، وهي مدرسة ذات خصائص فنية معروفة من أهمها : الإسهاب ، والاستطراد ، واتساع العبارة ، وجذب القارئ وسحبه بلطف ومهارة .. ثم هي مدرسة تعنى كذلك بالمقابلات بين الألفاظ بعضها ببعض من جهة ، وبين المعاني بعضها ببعض كذلك من جهة أخرى . ولعل أهم ما تمتاز به المدرسة الجاحظية فوق هذا كله أمران : أولهما قدرة هذه المدرسة على أن تؤدي أفخم المعاني بأيسر الألفاظ .. وثانيهما عنايتها الظاهرة بجرس اللفظ ، وموسيقى العبارة ، وتقطيع الكلام قطعاً متوازنة ، تستطيع أن تقف عند كل واحدة منها وتستشعر الراحة في هذا الوقوف .

ويظهر أن السبب في شيوع هذه الصفة الأخيرة في أسلوب طه حسين - بوجه خاص - هو تعلمه منذ نعومة أظفاره تجويد القرآن الكريم ، ثم اعتماده منذ ريعان شبابه وحتى آخر حياته في تحرير مقالاته على الاملاء ..

كما يتميز أسلوب طه حسين بصفات جعلت منه صحفياً ناجحاً إلى جانب أنه عالم وأديب ... ومن الصفات التي أعانته على النجاح في ميدان الصحافة ، صفة السهولة في التعبير ، والأسلوب الموسيقي العذب المتموج ، والواقعية في التصوير والأيناس خلال الحديث ، حتى يشعر القارئ لمقال من مقالات الاعتراف لطفه حسين أنه أنما يجلس الى صديق ، ويستمتع الى بعض إخوانه يدور معه حيث يدور ، ويدخل معه في شجون من الحديث لا يحب أن يصل الى نهايتها (١)

* * * * *

(١) للدخل في فن التحرير الصحفي / مرجع سابق من ٢٤٤ و ٢٤٥ .

نموذج آخر حديث :

ان كتابة مقال الاعترافات لايتطلب من كاتبه - فى الواقع - اكثر من الهدوء النفسى فترة ما ، وإستيحاء الماضى البعيد أو القريب ، وتصوير ما يوحى به هذا الماضى تصويراً يعين على تفهم النفس البشرية من حيث هى ، ويعكس فى الوقت ذاته صورة للمجتمع الذى أحاط بالصحفى أو الأديب فى فترة من فترات الحياة البعيدة أو القريبة ... ونقدم فيما يلى نموذجاً آخر لمقال الاعتراف بقلم الكاتب

الصحفى صلاح منتصر بعنوان (عشت وشفت وحكايات عمر / فى طريق الوهم) (١)
حيث يستوحى فيه الكاتب من ماضيه بعض وقائع من حياته كان هو طرفاً فيها . وكان شاهد عيان اشترك فى الحدث بنفسه ، فكان وحده القادر على أن يعد القراء بهذه الحقائق التى تثير الاهتمام ، وتوجههم وترشدهم .

من سوء الاشياء ان يصاب الإنسان بمرض لايجد الطب علاجاً له .. ومع مرور الوقت تتدهور حالة المريض بينما الذين حوله من محبيه لايعرفون ماذا يفعلون . ورغم آلاف الأدوية التى تملاً أرفف الصيدليات والابحاث والدراسات العديدة جداً وملايين الأطباء فى كل العالم ، إلا أن هناك أمراضاً يقف الطب أمامها عاجزاً . وأهم هذه الأمراض وأكثرها شيوعاً تلك المتعلقة بالأعصاب والنخ .. وهؤلاء بعد أن يدوخوا على الأطباء المتخصصين ويعجزوا ، يبدأون جولة أخرى مع تجار الوهم وباعة الأمل الكاذب ..

مازالت الذاكرة جيداً هذه الأيام التى عشتها عندما اكتشفت تعثر العلم أمام مرض زوجتى الأولى رحمها الله .. ورغم كل دراساتي وقراءاتي ومدرسة العلم التى انتصت إليها ، إلا أنني مثل أى ريفى جاهل ساذج وجدت نفسى مستسلماً للتجول فى شارع العلاج بالأرواح والمفناطيس والأحجبة ، والأطباء المكتوبة بالألوان نضعها على حافة النافذة عند الفجر لتستقبل قطرات الندى فتشربها ! وفى هذا الطريق الطويل الذى سرت فيه لكشفت أنني لست وحيدى وأن هناك كثيرين جداً من كل جنسيات العالم سبقونى إلى السير فيه .

وشعار هذا الطريق هو ما الذى سوف تخسره ؟ وألا يجوز أن تجد فيه الشفاء ؟ .

كانت أول تجربة لنا فى القلعة فى أحد البيوت الفقيرة التى استقبلنا صاحبها بعد أن تركنا ننتظر أكثر من ساعة ثم بعد أن قام بفحص المريضة زوجتى استراحت ملامح وجهه ، فماذا تكون هذه الحالة أمام حالات أشد وأقسى جلست مكانها وقد شفيت وأصبحت تسابق جياد السباق فى الحركة والقفز !

كلام جميل وكلام مطمئن وكل ما علينا أن نحضر له بعد ثلاثة أيام ٢١ طبقاً لتركيبتها له ثم نعود بعد يومين لناخذها بعد أن يكون قد نقشها بالرسوم الملونة وعليها مساء كل يوم أن نخرج الطبق من النافذة ونتركه فى مكان يستقبل فيه قطرات الفجر ثم بعد ساعة من الفجر وقبل الشروق نأخذ الطبق بما عليه من ضباب ونقطر فيه بضع قطرات تمسح بها اللون الذى فى الطبق ثم تتناوله زوجتى ٢١ يوماً ونحن نصحوا مبكرين

(١) مجلة الشباب العدد (٢٢٤) بتاريخ مارس ١٩٩٦ ص ٢١ .

نلحق بأطباق الفجر وتتجرع زوجتى الماء الملون وبالطبع بلا فائدة . وجاءنا عميد الأطباء الروحانيين أو هكذا كان يسمى نفسه .. شخصية غريبة من أحد الأقطار العربية وكانت إعلاناته منتشرة فى المجلات ويسبب على الصحفي فإنه قرر أن يكرمنى ويوفدنى إلى مندوبه فى القاهرة . وهى سيدة اكتشفت أنها زوجة استاذ شهير فى كلية الاقتصاد توفاه الله ... ونخبنا ورقدت زوجتى على ظهرها فى منتصف الحجرة وجلست أنا فى جانب منها واستأففتنا صاحبة البيت السيدة الشابة أن تطفىء الاتوار لأن الروح لاتأتى إلا فى الظلام .. وبدأت تقرأ وتقول كلاما بعضه غير مفهوم .. وسمعنا طرقا فقالت : تفضلنى .. ولأن الحجرة التى جلسنا فيها كان لها باب واحد اجلس أنا خلفه فقد كان المقصود ان نعرف ان الروح لم تدخل من الباب وإنما من أى جدار (1) .

كان الظلام شديدا وكان صوت الدكتور فاطمة رفيقا وهى تكرر للروح أن تتفضل بالدخول .. وفوجئت بأصابع تطرق على كتفى ... وكدت أتجمد من الخوف ولكننى تماسكت حتى لا أفرع زوجتى .. وسمعت صوت الدكتورة فاطمة وهى تقول : بعد أنك مش دى المريضة ده جوزها .. والمريضة نائمة فى وسط الحجرة .. لو سمحتى تكشفى عليها وتقولى لنا العلاج .. وقالت لى زوجتى فيما بعد إنها شعرت بيد تلعبها وتمسك بجبينها .. وبعد دقيقتين أو أكثر قليلا .. انسحبت الروح ..

ولم أتمن فى حياتى أن أقوم بمغامرة كما تمنيت فى هذه اللحظات .. فقد كنت على وشك أن أمد يدى إلى مفتاح النور وأضىء الحجرة وأكشف عملية النصب التى بدأت أشعر بها .. ولكننى تحملت ، بل وأكثر من ذلك صدقت أن هناك روحا دخلت من الحائط وأخطأت طريقها إلى المريضة ثم بعد أن تم تنبيهها استدركت خطأها .. وكانت وصفا أخرى من عدة خلطات من الأعشاب .. وتحملتها زوجتى بصبر ويهدوء واستمسكت أنا بالصمت وماقلته كان يدخل فى مجال محاولة الإحياء إلى زوجتى بأن كل ماحدث كان حقيقة ، فالهم هو المريض .. ومن يدى ربما كان الإحياء هو العلاج ؟ .. هكذا قلت لنفسى .. ولهذا كان مهما رغم عدم إيمانى بما يحدث أن أحاول الظهور فى صورة المقتنع المؤمن به وأن أنقل اقتناعى وإيمانى إلى الطرف الآخر ..

ومضت شهور أخرى قبل أن تنتقل إلى طبيب آخر، من أطباء هذا السوق الطويل .. وفى شارع خلوصى بشبرا بدأت سيارتنا تتوقف كل ليلة .. وكانت وصفا أخرى من عدة خلطات من الأعشاب .. وتحملتها زوجتى بصبر ويهدوء واستمسكت أنا بالصمت وماقلته كان يدخل فى مجال محاولة الإحياء إلى زوجتى بأن كل ماحدث كان حقيقة ، فالهم هو المريض .. ومن يدى ربما كان الإحياء هو العلاج ؟ .. هكذا قلت لنفسى .. ولهذا كان مهما رغم عدم إيمانى بما يحدث أن أحاول الظهور فى صورة المقتنع المؤمن به وأن أنقل اقتناعى وإيمانى إلى الطرف الآخر ..

ومضت شهور أخرى قبل أن تنتقل إلى طبيب آخر، من أطباء هذا السوق الطويل .. وفى شارع خلوصى بشبرا بدأت سيارتنا تتوقف كل ليلة .. وكانت وصفا أخرى من عدة خلطات من الأعشاب .. وتحملتها زوجتى بصبر ويهدوء واستمسكت أنا بالصمت وماقلته كان يدخل فى مجال محاولة الإحياء إلى

كان العلاج هذه المرة مختلفا.. فالمریضة تجلس ساعة بينما تقوم الدكتوراة بقراءة آیات القرآن ...
كلام الله فمن يكره ...

و.٤ جلسة .. صحيح انها بدأت بساعة وانتهت بخمس دقائق ولكننا كنا حريصين عليها ..
ولم احسب يوما ما دفعناه .. فقد كان الهدف اعلی كثيرا من اى مال .. ولكننا دفعنا بلا مقابل .. بل
على العكس لم يتوقف الخط اليانى عن التدهور ..

ولأن مصر لا تكفى فقد ذهبنا إلى الفلبين .. وكانت سمعه طبييها فيليبى قد ذاعت وانتشرت واستطعنا
عن طريق مدير مكتب شركة مصر للطيران فى مانىلا - رحمه الله - أن نحصل على موعد لزيارة فيليبى ..
ولكنشفنا أن له ٣ عيادات أشهرها غرفة قى أخذ 'الفنادق' .. وكانت مفاجأة أن نجد هذا الجمع الفقير من
كل أنحاء العالم الذين كانوا فى الانتظار .. ناس من كل أنحاء العالم الذين كانوا فى الانتظار .. من
أمريكا ومن السويد ومن استراليا ومن فرنسا .. ناس على "كراسى" يجعل ، وناس لايتحركون وقد حملهم
اهلهم .. كلهم جاءوا بحثا عن الأمل عند فيليبى .. ودخلنا على فيليبى وكنت انتظر أن أقابل رجلا عجوزا
كثيرا ولكننى وجدت شابا صغيرا ... ويدون أن يضع يده على زوجتى أن تمام ليجرى لها عملية !
وقال لى مدير مكتب مصر للطيران الذى صحنى وهو يبشرنى : أبسط ياعم .. عملية .. وقلت نخرج إذن
ولكنه أشار إلينا بالجلوس .. وانتظرت أن يدخل مساعد أو طبيب بنج .. ولكنه بسرعة بالفة أخذ يضغط
على جبينها ثم بحركة ساحرة بالفة الإبرابة وجدته يشد قطعة من اللحم وكأنه يستخرجها من فتحة فتحها
فى جبين زوجتى .. وقال لى بلغته ولكننى فهمت المقصود : شايف .. تراجع وتماسكت ... ورفض
فيليبى أن يتقاضى أجرا ولكن بعد الضغط عليه قبل ١٥٠ دولارا فقط ..

هكذا .. عليه بنون بنج ويدون مشروط ويدون فتح ويدون ألم وعينى عينك أمامنا ..
وسألتنى زوجتى : هل هناك جرح مفتوح مكان ما استخرج قطع اللحم السوداء .. ونظرت ووجدت بقعة
صغيرة حمراء .. وقد اختفت بعد يومين لكن الآلام لم تختف .. وكما فى بعض قرارات النيابة ظل الحال
على ما هو عليه إن لم يكن أسوأ قليلا .. وعدنا من الفلبين إلى الشارع الطويل .. شارع أطباء الوهم وتجار
الأمل الكاذب

ورغم ما تعلمناه فإننا لم نتوقف عن مواصلة السير فى الطريق ، ومن واحد إلى آخر .. ولو امتد العمر
بزوجتى لما توقفتنا ...

وعندما اسمع عن زبائن هؤلاء الباعة اعزهم فقد مررت بالتجربة مثلهم وعانيت مايعانونه ... ورغم أننا
كنا نعرف أنه لا فائدة فقد كنا على استعداد أن نصدق ..

بصرف النظر عن التعليم وعن الثقافة والإيمان بالعلم فإن الإنسان لا يتغلب عن العجز بالأمل ... ويكون
على استعداد للهبوط من قمة .. العلم الذى وصل إليه لتناول جرعة الأمل من يد جاهل ومدح ... ولهذا
ستظل سوق الأوهام عامرة بالزبائن ومليئة أيضا بالنصابين والمحتالين الذين تتركز قدراتهم فى طريقة بيع
هذه الأوهام وترويجها [انتهى المقال] .

* * * *

ويتضح لنا من هذا المقال الذى كتبه (صلاح منتصر) أنه يدور حول حادث أقرب إلى الواقع ، ومكتوب بأسلوب موثوق به ، لأن الكاتب يعترف فيه بأنه بالرغم من كل دراساته وقراءاته ومدرسة العلم التى ينتمى إليها ، إلا أنه " مثل أى ريفى جاهل ساذج وجدت نفسى فى شارع العلاج بالأرواح والمغنطيس والأحجية ، والأطباق المكتوبة بالألوان نضعها على حافة النافذة عند الفجر لتستقبل قطرات الندى فتشربها " زوجته الأولى التى تعثر العلم أمام مرضها .. كما تعرض المقال لكشف بعض حالات غريبة من حالات المجتمع ووضع شاذ من أوضاعه ، على اقتناع أن ذلك يعود بالفائدة على القارئ ويساعده فى حياته الخاصة على عدم الوقوع فى مثل تلك الأخطاء ، لأن القارئ غالبا ما يقتدى بكاتب هذا النوع من المقالات فى طريقة تغلبه على هذه الصعاب .

وفوق ذلك يحقق هذا المقال بعض وظائف الصحافة ومنها : الاعلام ، والتسلية ، والارشاد بطريقة غير مباشرة .
وأخيرا .. فإن فى هذه الأسباب وأمثالها ما يجعل (مقال الاعتراف) من المواد الصحفية الهامة التى تجذب القراء فى الوقت الحاضر ... وهكذا أصبح للمقال الأدبى الذى على شكل اعترافات ، مكان مرموق فى الصحافة الحديثة ، كما أصبح مادة لاستغنى عنها هذه الصحافة .

* * *

وننتقل فى المبحث التالى للحديث عن نوع آخر من أنواع المقالات الأدبية وهو الخاص بالمقال الذى على شكل الخواطر والتأملات .

* * *

المبحث الثالث مقال الخواطر والتأملات

نبغ فى هذا النوع من المقالات الأدبية كثير من الكتاب القدامى والحاليين .. ولذلك نجد الصحف بنوعيتها الرئيسيين من الجرائد والمجلات تحفل بالكثير من مقالات الخواطر والتأملات ... وربما كان فى مقدمة هؤلاء الكتاب جميعا فى هذا المجال الكاتب (أحمد أمين) (*) الذى كتب مقالات كثيرة فى باب الخواطر والتأملات نشر بعضها فى مجلة (الثقافة) ، وبعضها فى مجلة (الرسالة) ، وبعضها فى مجلة (الهلال) وجمع كل هذه المقالات فى كتاب له بعنوان (فيض الخاطر) صدر فى أجزاء متتابعة قبيل وفاته فى عام ١٩٥٤ والى جانب هذا الكتاب سبل آخر من الكتب لكتاب آخرين لاسبيل لحصرها أو الإلمام بها ^(١) .

وقد وصف أحمد أمين الكاتب الدقيق لهذا النوع من المقالات الأدبية فقال :

" إنه الكاتب الذى يسمع حفيف الأشجار ، وديب النمل ، ويرى دقيق الأشياء فى الظلمة ، ويرى قلوب الناس فى أعينهم ، ودخائلهم فى صفحات وجوههم . وقد يرى بأذنه ، ويسمع بعينه . وقد يرى ما لا يراه الناس ، ويسمع ما لا يسمع الناس ، وقد يدرك الجمال بتفاصيله ، كما يدرك القبح بتفاصيله ، حتى كأنه قد منح من الحواس ما لم يمنحه سائر الناس ، وكأن حواسه ليست خمساً

(*) باحث أدبى ولد بالقاهرة عام ١٨٨٧ وتوفى عام ١٩٥٤ ودرس فى الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى . وتولى القضاء الشرعى مدة ثم انتقل إلى التدريس فى كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة) ثم انتخب عميداً لها وعين عضواً بالمجمع لغوى . واتجه أولاً إلى الفلسفة فكتب (الاخلاق عام ١٩٢٣) ثم عنى بدراسة تاريخ الحياة العقلية فى الاسلام فأصدر أهم كتبه : فجر الاسلام وضحى الاسلام (ثلاثة أجزاء) وظهر الاسلام (أربعة أجزاء) .. (راجع للتوسعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ص ٦٠) .

(١) المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٢٩ و ٢٦١ و ٢٦٢ .

وانما هي خمسون أو خمسمائة أو مائتة^(١). وهذا الوصف للكاتب الدقيق ينطبق على الكاتب (أحمد أمين) كما ينطبق على غيره من كتاب مقالات الحواطر والتأملات ، الذين يميلون دائماً إلى وصف الحياة الواقعية ، كما تبدو لأعينهم ، وكما تفهمها عقولهم ، لا يغيب عن علمهم شيء من دقائق هذه الحياة ، ولا تفوتهم همسة من همساتها .

ومعنى ذلك أن موضوع مقالات الحواطر والتأملات ، هو كل شيء في المجتمع ذلك أن الكاتب لهذا النوع من المقالات ، هو من استطاع أن يجد من كل شيء موضوعاً يجيد فيه ، ويستقطب إعجاب القراء ، ومن استطاع أن يجد من كل شيء نواة يؤلف حولها ما يصلح لها حتى يخرج موضوعه متنسقاً تنسيقاً يبهو السامع والقارئ . وهو في تأليفه قد يظم الشيء إلى ألفه وقد يضمه إلى نقيضه ، وقد يصل به الكلام في الذرة إلى الكلام في الشمس ولكن القارئ لا يشعر بأي مفارقة ، ولا يشعر بأي انفكاك بين أجزاء الكلام ، ويسير مع الكاتب كأنه في حلم للهد أو قصة محبوبة^(٢)

ونقدم فيما يلي - على سبيل المثال - نموذجاً لمقال من مقالات الحواطر والتأملات من كتاب (فيض الحاطر) بقلم أحمد أمين بعنوان (سلطة الآباء) .. والمقال في نقد المجتمع الحديث ... يقول الكاتب في بداية مقاله :

" رحم الله زماناً كان الأب فيه الأمر الناهي ، والحاكم المطلق ، وللك غير المتوج .. ينادى فيتسابق كل من في البيت إلى نداءه ، ويشير بإشارته أمر ، وطاعته غم .. تحذره الزوجة في خفر وحياء ، ويحذره الابن في إكبار واجلال ، ويرى من سوء الأدب أن يرفع إليه يهره ، أو يرد عليه قوله ، أو يراجمه في رأي ، أو يجادله في أمر .. أما البنت فإذا حدثها لف الحياء رأسها ، وغضن الحجل طرفها ، قليلة الكلام ، متحفظة الضحك ، خافضة الصوت ، تتوهم أنها أخطأت في التافه من الأمر فيندى جبينها ويصيح الحجل وجهها ، وإذا جاء حديث الزوج والزواج فإلى أمها التحدث لا إلى أبيها ، وبالتلويح والتلميح لا بالتصريح ، والأمر إلى الأب فيما يقبل وفيما يرفض ، وفيما يفعل " .. ومضى الكاتب في مقاله على هذا النحو ثم قال "

لقد ودعنا ذلك الزمن بخيره وشره ، وحلو ومره ، واستقبلنا زماناً صار فيه الآباء آباء " .

ثم يقدم الكاتب بعد ذلك عدداً من النماذج التي لا يرضى عنها الآباء بحال من الأحوال ، بل انهم يرون

(١) فيض الحاطر - الجزء الأول من ١٧٩ و ١٨٠ .

(٢) نفس المرجع السابق من ١٧٩ .

فيها الخطر كل الخطر على كيان المجتمع وعلى حياة الاسر . وانظر اليه يقول : " قالت الخطيبة خطيبها : الناس احرار ، وانا انسان وانت انسان . فلن اعتزّزت بالكسب اعتزّزت بالاتفاق ، وإن اعتزّزت بالرجولة ، اعتزّزت بالاثوثة ، وإن اعتزّزت بلى شيء فانا اعتز بمثله وبخير منه . فانا وانت شريكان : لاسيد وامه ، ولا ملك وملكوك ، لى كل المفقوق التى لك ، وقد يكون بعض الواجبات التى عليك .. يمكنك ان تحصل على المال وعلى الاتفاق ، ولك السلطان التام فى اختيار طرق التحصيل ، لى الخيار التام فى وجوه التهديد ، وانت للبيت والبيت لى . وأن كان لك أم فقد شيعت سلطة فى الماضى ايام كانت زوجة فلاح لها ان تنعم بسلطانها وسلطان غيرها ، فليس لها الحق إلا أن تاكل ، كما ليس لك الحق فى أن تحبها فالحب كله للزوجة ، انا لك ان ترحمها ...

وبعد ذلك يقول الكاتب " وراى الرجل أن الاحكام قاسية ، والشروط فادحة ، وهام يبحث بين الممدونات عن ترضى به زوجاً على الشروط القليلة فأعياء البحث .. ومضى الكاتب الى أن يقول : " تم الزواج وفرحت الزوجة بالنظر ، فقالت فى الطلب ، ولتدعت كل يوم مطلباً جليداً ، وأرادت أن تنتقم لأمهاتها من إهائته فى شخصه ، فطالما أطمعن ، وطالما خضعت . فليطع دائماً ، وليخضع دائماً جزاءً وفاقاً على ما جنى أباه وأجداده .. قالت : إن رقصت رقصت ، فللك حقه وحلى ، قال : نعم . قالت : بل إن لم ترقص رقصت لائك إن احضمت حقه لم أضع حلى . وإن خاللت خاللت ، فالجزاء من جنس العمل ، بل إن لم تخالل ربما خاللت ، لأن حياة الزوجية البحتة قد يعتمها الركود والسأم والملل ...

فصرخ الرجل ، ولق الفضب وجهه ، وحاول أن يتكل بها فتراجعت وسحبت مطلبها الأخير ، وراى من الحكمة أن تتريث بعض الشيء حتى يبلغ ريقه من اثر الصدمة الاولى ، ويستعد للصدمة الثانية ، فان لم يسمعها الزمان أوصت بناتها بشروطها الجديدة ..

قالت : وسيكن أول ما أوصى به ابنتى أن تأخذ قياس خطيبها ، لم يكون من أول جهازها أن تفصل له برذعة ولجاماً على قدره ، فتضع البرذعة عليه ، وتركبه اذا شاست ، وتشكمه باللجام اذا حاول أن يتحرك يميناً أو شمالاً على غير رغبتها .

وشاء الله أن يرزقا بدين وبنات ... وقد راوا أن الام لا تكمل الاب فلم يجلوه ، ولم تحره كبير الثقافات فلم يحمروه ، وراوها تبلر فى مال الاب فبلروا ، وراوها حرة التصرف فتحرروا ، وراوها تخرج من البيت من غير اخن الاب فخرجوا خروجها ، وتعود إلى البيت متى شاست ففعلوا فعلها

وقال الابناء لاييهم : انا مخلوقين لزمان غير زمانك فاخضع لحكم الزمان ، وقد نشأنا فى زمن الحرية

فى الآراء ، والحرية فى الأعمال ، والحرية فى التصرف ، لا كما نشأت فى جو من الطاعة والقيد والاسر والتقاليد ، فمعال أن يسع لربك الضيق أهدائنا ، وثقاليدك المعتقية البالية نفوسنا .

قال : نعم . قالوا : وأنت الذى سمحت لنا بأدىء فى بدء أن نخشى دور السينما والتمثيل ، وأن نسمع الاغانى البلدية ، وأن نشهد المراقص الأوربية ، فإذا أقررت المقدمة فلا نهرب من النتيجة ، فانت الذى عودنا ألا نضع للبيت (ميزانية) لآئك تعطى راتبك لآمنا تتفق منه من غير حساب ، فان انتهى فى نصف الشهر طلبت منك أن تقرر ض ، فاقترضت ، وأن تشتري ما لا حاجة لنا به ... فاشتريت .. فليس لك أن تطالبنا بالاعتصام فى الجدول الصغير ، والنهر الكبير ليس له ضابط قال نعم . قالوا : وقد أضمت سيادتك على آمنا ، فلم تفرض سيادتك علينا ؟ وهى أم الحاضر ، وأنت أبو الماضى ، ونحن رجال المستقبل قال : نعم وقالت البنات لأبيهن : يا آبابنا الذى ليس فى السماء : رقصت آمنا فرقصنا وشربت آمنا فشربنا ، وشربت سرأ فلتسمح لنا بحكم تقدم الزمان أن نشرب جهراً . ورأينا فى روايات السينما والتمثيل حيا فآحبنا ، ورأينا عرباً فى الشواطىء فتمرنا ، وتزوجت آمنا بأذن آبيها ، فلتتزوج نحن بأذنتنا .

قال : نعم : قلن : وقد أوصتنا آمنا أن نركب الزوج ، ولكننا أمام مشكلة يشغلنا حلها ، فآنآ نرى شباب اليوم متمردين لا يخضعون خضوعك ، ولا يستسلمون استسلامك ..

يا آبابنا : هل البيت ضرورة من ضرورات الحياة ؟ اليس نظام الاسرة نظاماً عتيقاً من آثار القرون الوسطى ؟ قال : نعم . قلن : على كل حال يصح أن يحارب جيل النساء الجديد مع جيل الرجال الجدييد ، فان وقع ماخشينآ عشنا أحرارا وعاشرا أحراراً ، وطالبنا بتسهيل الطلاق ، وبهدم المحاكم الشرعية على رؤوس أصحابها .

قال الأب ؟ وماذا تفعلن بما ترزقن من أبناء وبنات ؟ قلن : لك الله يا آبابنا !! إنك لاتزال تفكر بعقل جدنا وجدتنا ، ولقد كنت أنت وأبوك وجدك تحملون أنفسكم عذاء كبراً فى الأولاد ، وتضحون بأنفسكم وأموالكم فى سيلهم ، وتعيشون لهم لا لكم ، أما عقلتنا نحن أهل الجيل الحاضر ، فآن نعيش لأنفسنا لا لآقربنا لقد ضحك عليكم الدين والأخلاق ففهمتم أن الواجب هو كل شىء ، وكشفنا نحن اللعبة ففهمنا أن اللذة هى كل شىء ، فنحن نمنع النسل ، فإذا جاء قسراً فليعيش كما يشاء الفقر

قال الأب : وأمر المال كيف يدير ؟ كيف تعيش أنتن وأولادكن إذا كان طلاق وكان فراق ؟ قلن : هذا ظل آخر طريق من ظلال تفكيرك ، دع هذا يا آبابنا ، والبركة آخيراً فيك .

أما بعد ، فقد خلا الأب يوماً إلى نفسه ، وأجال النظر فى يومه وأمسه ، فبكى على أطلال سلطتها النهار ، وعزته الزائلة ..

كانت تلك تأملات وخواطر خطرت لكاتب المقال (أحمد أمين) في النماذج الحديثة للحياة وقد بنى الكاتب مقاله على الموازنة بين حياة الأسرة في الجيل القديم ، وحياة الأسرة في الجيل الجديد ، وهدفه من ذلك - بطبيعة الحال - أن يحذر من الأخطار الناجمة عن المبالغة في التجديد الذي يتخذ به الجيل الجديد .

* * * *

نموذج من الكتابات الحديثة

وفيما يلي نقدم نموذجاً آخر لمقال خواطر وتأملات للكاتب (يوسف عوف) بعنوان (م الأول عشان الحبايب) (١) وهو مقال ساخر حول تلاعب إسرائيل وتعتتها ، في مفاوضاتها وعلاقاتها مع الدول العربية وخاصة فلسطين ويصور الواقع المعاش بالفعل . وفيما يلي نص المقال ...

** بعد ضغوط عنيفة تقبل حكومة حزب العمل بإسرائيل قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ٢٣٨ بعد تفسيرهما تفسيراً مفتوحاً فيتحول القراران إلى ٣٤٢ و ٢٣٨ .

* يسقط حزب العمل ويتسلم الليكود الحكم ... ويبدأ التفاوض مع العرب بحضور منسق للناظر الأمريكى .. ويرفض الليكود تنفيذ القرارات .

فلسطين - ليه بامستر بيجين ... دى قرارات دولية أصدرها مجلس الأمن ووافقت عليها جولدا مائير .

إسرائيل - مجلس الأمن على عيني ورأسى يا حبيبى ... والفروض إن قراراته ملزمة لجولدا مائير . فلسطين : ماتت .

إسرائيل - والحقى إبتى من الليت . نبتلى بقى من الأول على ميه بيضة ... وصافى يالبن حليب يا قشطة فلسطين (غاضباً) : إحتا لسه حانميه من تانى ١٢ .

(١) مجلة الشباب / العدد رقم (٢٣٢) بتاريخ نوفمبر ١٩٩٦ ص ٤٦

أمريكا - (هامسا) خذ على اد عقله . خليك انت الكبير / وافق عشان ماتوقشى الراكب السايبر
فلسطين - طيب والاتفاقات اللي فاتت ؟ أمريكا - حاتوصلوا لاحسن منها .. دانتو بينكم سلام دلوقتى
ويقيتوا حباب .. م الاول عشان الحباب .

* وتبدأ مفاوضات من الصفر مع حزب الليكود وفيها يتنازل الفلسطينيون عن بعض حقوقهم فى ٢٤٢
و ٣٣٨ حتى لا يوقفوا الراكب السايبر إلى أن يصلوا إلى صيغة مدريد ... وفى انتظار التنفيذ .
* أثناء هذا يذهب الليكود ويأتى حزب العمل إلى السلطة .. وتبدأ الاجتماعات بين الجانبين
الفلسطينى والإسرائيلى فى وجود منسق للمناظر الأمريكى لتنفيذ اتفاق مدريد .

رابين - هاهاها مدريد ده ايه جاجيبى ؟
أبو عمار - ده الاتفاق اللي تم مع شامير ..
رابين - يبقى شامير ملزوم بتنقيله فوراً - أبو عمار - يس شامير موش فى السلطة دلوقتى ؟
رابين - براقو عليك ... إحنا ولاد النهارده .. إنسى بقى وتبتدى على ميه بيضه ... وصافى بالهن
حليب ياقشطة ...

أبو عمار - أنا أرفض للبدا ده .
رابين - ويعد ماتوقش ... حاتعمل ايه ؟
أبو عمار - ولا حاجة .

روسى - ما احنا عارفين (هامسا) خذ على اد عقله ... خليك انت الكبير ..
وافق عشان ماتوقشى الراكب السايبر .
أبو عمار - بمن للراكب كله وقفت فى وسط البحر .
روسى - موش ممكن تقف مادم انتو الاثنين عاوزين السلام .. دانتو ولاد عم وحباب .. ياللا ياللا
... م الاول عشان الحباب .

* وتبدأ المفاوضات من الصفر مرة أخرى بين أبو عمار من ناحية ويبريز ورابين من ناحية أخرى فى وجود
متمهد التنسيق والتزويق (دنيس روس) وهى مفاوضات عسيرة مثبغرة وفيها يتنازل أبو عمار عن
بعض ماتضمنه اتفاق مدريد حتى لا يوقف الراكب السايبر ويصل الجميع إلى اتفاق أوسلو (١) وأوسلو (٢)
ويبدأ الاستعداد للتنفيذ .. عندئذ يسقط حزب العمل ويتولى الليكود السلطة بقيادة نيتانياهو .

يبى - (بلهجة استفزازية قاطعة) يكون فى علمكم .. كده من قصره ... مفيش أوسلو ..
أبو عمار - ده اتفاق وقعه رابين ..

يبى - (يسلك أذنه) بتقول جامدين إحنا فعلا جامدين ..

أبو عمار : رابين موش جامدين

يبى - بتيامين مين ؟ ما هو أنا بتيامين

أبو عمار - زميل شيمون بيريز

يبى - لا ماياحش الجميز

روسى - (صائحا فى أذن نيتانياهو) بيقول لك رابين ويبريز ..

بيبي!!!!!! .. تصدك ليزاك رابين وشيمون بيريز ... أنا سمعت الاسمين دول قبل كده انت عرفت اللي حصل لهم يا عيني ؟؟ الاولانى راح فى السما والثانى راح فى الهاي هاى

أبو عمار - معنى إيه ؟

بيبي - معنى إنسى ... إحنا ولاد النهاردة ... نبتدى بالحلاوة كده على ميه بيضة .. وصافى بالبن حليب يا قشة أبو عمار - (يلتفت لروسى محدثا) هيه !!

أخذه على أد عقله برضه ..

روسى - لا ... خدنا إحنا الاثنين على أد عقلك ..

أبو عمار - فى شرع مين اللي بيحصل ده ..

روسى - خليك انت الكبير ومشى للراكب السايه ... ده بالذات ولد مراقق طايش ومنفوخ جيتين ...

بس أنا متأكد إنكم حاتوصلوا لحل مادام انتو الاثنين عاوزين السلام إيش حال إن ماكتنوش ولاد عم ..

بيبي - وحبايب ... دانا مرة سلمت عليه ..

روسى - يبقى م الاول عشان الحبايب .

* مرة ثالثة تبدأ المفاوضات من الصفر عشان الحبايب ... وتسير متعللة جدا ويتم فيها ابتزاز أبو عمار حتى يقدم مزيدا من التنازلات لكى لا يوقف للراكب السايه .. ويأتى الدور على التنفيذ .

* فى هذه الأثناء يثور المجتمع الاسرائيلى ومثله السلام بقيادة جماعــــــــــــة (السلام الآن) ضد سياسة نيتانياهرو التى يسمع من خلالها دقات طبول الحرب وحدير المدافع .. وتطرح الثقة به فى الكنيست فيسقط سقوفا مذوفا وتجري انتخابات جديدة يفوز بها حزب العمل ويتولى السلطة .

أبو عمار - الحمد لله .. غار فى ستين داجية ..

روسى - (يغمز له بعينه) هو احنا بنلعب ؟! ماتتصورش القلق اللي كان عامله الراجل ده لكليتون والإدارة الامريكية هناك .

* ويجدا أول اجتماع بين بيريز وعرفات اللي لا يكتسم فرحته الشديدة فيرحب ببيريز ويضمه إليه ويحتضنه بقوة وقبله قبله ثلاثية .

أبو عمار - يا هلا بالعمل وببيريز يا هلا بالناس الكمل الحلوة ..

بيريز - وحشتنا أبو عمار

روسى - أنا النهاردة أسعد إنسان فى الوجود لاني حسيت إن المجهود الجبار اللي بذلته أمريكا طول السنين اللي فاتت دى فى الضغط على إسرائيل لتقديم تنازلات الأمر أخيرا وهو اللي وصلنا للنتيجة الحلوة دى .

أبو عمار - انت بتقول فيها .. هات بوسة انت راحر هات (يقبله قبله ثلاثية) .

روسى - شوف مستر بيريز - إحنا عشان موش عاوزين نضيع وقتك أو نخرجك قدام الناخبين اللي إدولك أصواتهم موش حاتطلب منك العودة لاوسلو (١) وأوسلو(٢) .

أبو عمار - تمام ... إحنا حاترحك ونقول لك إحنا وصلنا لحاد زين مع مستر نيتانياهرو ... معنى حاتجيب من الآخر عشان ننفذ بقى .

بيريز - (يصيح فجأة) نعم نعم !! آخر مين ياروح أمك إنت وهو !! أنا مالى ومال نيتانياهرو ... اتسى

ياحيبي .. إحتا ولاد النهاردة تبتدى بقى على ميه بيضة .

واقرا الصفحة م الاول عشان الحبايب

* * * *

ثم ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن نوع آخر من أنواع المقالات الأدبية
وهو المقال الكاريكاتورى . وهذا هو موضوع المبحث التالى

* * * *

المبحث الرابع المقال الكاريكاتورى

ماهو المقال الكاريكاتورى ؟ ..

الاجابة يقدمها الدكتور عبد اللطيف حمزة (١) فيذكر أن هذا النوع من المقالات يقوم فى جملته على التماس العيوب الرئيسية فى شخص ما ، وترك القلم بعرضها عرضا كاريكاتوريا ، يزيد فى تشويهها مايرد على ذهن الكاتب فى أثناء كتابته من ضروب التشبيه ، ومايحضره من فنون التمثيل ، ولايزال الكاتب يتوسع فى الموضوع عن طريق التوليد للمعانى من جهة ، وإيراد التكت البارة من جهة ثانية ، حتى تستكمل عنده الصورة القلمية الكاريكاتورية كل عناصر الاضحاك والسخرية ، والتندر بالشخص الذى هو موضوع هذه الصورة بالذات

عناصر القلم الكاريكاتورى :

ويحصر الدكتور حمزة فى اجابته عناصر القلم الكاريكاتورى فى أربعة عناصر هى :
أولا : عنصر التجسيم للعيوب ، أو المسخ لصورة الشخص الذى هو موضوع الكاريكاتور .. فالرجل ذو الأنف الكبير يبدو بقلم الكاتب كأن وجهه كله عبارة عن أنف . والرجل القصير يبدو كأنه أقصر من طفل ، والرجل البدين يظهر فى شكل من البدانة والضحامة قل أن يكون له نظير فى الحياة الواقعية نفسها وهكذا ..

ثانيا : عنصر التوليد ، وهو مايتاح للكاتب ولايتاح للرسام ، وبه يعمد الكاتب الى توليد المعانى ، واستطراد الافكار ، وكل معنى منها يذكر بآخر ، وكل فكرة

(١) المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٥٥ - ٢٥٨ .

منها توحى بأخرى ، وهكذا حتى يستنفذ الكاتب كل هذه المعاني والأفكار .

ثالثا : عنصر التندر أو ذكر النكات التى ترد على ذهن الكاتب فى أثناء الكتابة .
وهنا تظهر براعة الكاتب فى طريقة الإيراد ، بحيث تبدو كل واحدة من هذه النكات ، وكأنها لم تذكر إلا فى هذا الموضع الذى يشير إليه الكاتب بالذات ، أو كأنها لم تذكر إلا من أجل هذا الشخص الذى هو موضع السخرية والتندر .
رابعا : عنصر التشبيه والتعميل : وهو العنصر الذى يستوحى فيه الكاتب خياله ، ويستعين به على عملية (المسخ) التى سبق الإشارة إليها ، وكثيراً ما يتسلق الكاتب فى هذه الحالة على كلام القدماء ، وأهاجى الشعراء ، وحكايات العامة أو نحو ذلك . وأكثر من هذا وذاك أن صاحب القلم الكاريكاتورى يعتمد فى توفير هذا العنصر الأخير من عناصر الصورة على كلام القدماء ، وعلى تحويل هذا الكلام من معناه الأصلي الذى وضع له إلى المعنى الجديد الذى أراد به صاحب القلم الكاريكاتورى .

ومن الأمثلة على ذلك أن الشيخ عبد العزيز البشرى فى سخريته من زيور باشا أحد رؤساء الوزارات المشهورين فى مصر قبل الثورة وكان بدينا جداً ، كان يستشهد ببيت من الشعر لأبى نواس هو (وليس على الله بمستكبر .. أن يجمع العالم فى واحد) والمعروف أن أبى نواس ذكر هذا البيت من الشعر فى معرض المدح لخليفة من خلفاء بنى العباس ، ولكن (البشرى) ذكر هذا البيت نفسه فى معرض السخرية وإضحاك الناس من شخصية زيور باشا بسبب ضخامة جسمه .

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزه أيضاً أن هذه العناصر الأربعة المتقدمة متى توافرت فى مقال ما ، بلغ هذا المقال كل ما قصده الكاتب من ورائه ، وفى هذه العناصر السابقة ، وفى كل عنصر منها على حدة ، مجال واسع يتنافس فيه الكتاب وأصحاب الأقلام ، ويظهر نبوغهم ، وتتجلى عبقريتهم أما فى نقد الأشخاص ، وأما فى نقد الأفكار والموضوعات .

وغنى عن البيان أن (المقال الكاريكاتورى) لا يزدهر إلا فى أوقات

الأمم ، واستمتاع الناس بكل أنواع الحريات ، فليس من السهل على كاتب

هذا النوع من المقال أن يعرض حياته للخطر الذى يصيبه من الشخصية المرموقة التى هى موضوع المقال الكاريكاتورى . أما فى أوقات الظلم والطغيان ، وأوقات الرقابة المفروضة على الصحف ، فإن الصحافة لا تلجأ إلى القلم الكاريكاتورى بحال من الأحوال .. كما أن القلم الكاريكاتورى لا يوجد إلا فى فترات نهضة الادب ، وكثيرا مايكون دليلا من دلائل هذه النهضة الادبية فى ذاتها ، ذلك أن هذا الفن الأدبى فى ذاته يحتاج إلى قدرة أدبية من نوع خاص ، كما يحتاج الى قدر من الذكاء من نوع خاص أيضا ، ثم لاغنى له مع هذا وذاك عن قدر من الثقافة يعين الكاتب على توفير العناصر الأربعة المتقدمة للقلم الكاريكاتورى .

كذلك لا يستغنى صاحب هذا الفن الأدبى عن أن تكون له صفات ذاتية يخف بها كلامه على الناس ، ومن هذه الصفات - على سبيل المثال - أن يكون ظريفاً غاية الظرف ، وأن يكون خفيف الظل فى كتاباته كأحسن ما تكون خفة الظل ، وأن يكون فى طبعه مرح ، وفى أفقه سعة وفى ذهنه ذخيرة هائلة من التجارب الانسانية التى خبر بها الناس . وهذه وتلك مواهب تخص بها الطبيعة فريفاً من الناس دون الفريق الآخر ، وفى الصحافة المجال الواسع للاستفاح الكامل بهذه الميزات أو المواهب فى الانسان .

الجاحظ ومقال الكاريكاتور :

وربما كان الجاحظ - كما يقول الدكتور عبد اللطيف حمزه^(١) - أول كاتب اسلامى عالج فن (المقال الكاريكاتورى) فى تاريخ النشر العربى ولقد ترك الجاحظ أعظم رسالة أدبية كتبت فى هذا الفن وهى (رسالة الترييح والتدوير) وموضوعها هو السخرية من كاتب من كتاب الديوان اسمه (أحمد بن عبد الوهاب) كتب فيه الجاحظ هذه الرسالة التى تزيد على خمسين صفحة من القطع الكبير . وقد تفنن فيها الجاحظ ألوانا كثيرة جداً من التفان فى السخرية

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٥٢ .

والنقد . ويعتبر هذا الكاتب بحق واضعاً لاساس المقال الكاريكاتورى فى الأدب العربى ومنذ ظهرت الصحافة الشعبية فى مصر فى النصف الثانى من القرن الماضى - وكانت الصحافة فى ذلك الوقت بمثابة للأدب فى جمال الأسلوب - نبغ من رجال الأدب والصحافة كثيرون ، من أشهرهم فى فن الكاريكاتور ابراهيم المويلحى صاحب مصباح الشرق . وفى ذلك يقول عبد العزيز البشرى (١) " ... ولقد كان هذا من مصباح الشرق الأصل الثابت لهذا اللون من النقد - أعنى النقد الكاريكاتورى فى مصر - كما كانت صحيفة المويلحيين ، المويلحى الكبير والمويلحى الصغير ، راسمها (ابوزيد) أول ما عرف من التصوير الكاريكاتورى فى هذه البلاد " .

وفى القرن العشرين ، فى الفترة التى تقع بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ ظهر المقال الكاريكاتورى على صفحات الصحف المصرية ، ونبغ فيه أدباء وصحفيون منهم : الشيخ عبد العزيز البشرى ، وكان ينشر فى مجلة السياسة الأسبوعية ... وفكرى أباطه وكان يكتب فى مجلة الهلال .. وأحمد حافظ عوض وكان ينشر فى مجلة خيال الظل .. وكاتب آخر كان يوقع بامضاء (م . هـ) فى جريدة الكشكول المصور .

نماذج لمقال الكاريكاتور :

وأول نموذج نقدمه عبارته عن مقال كاريكاتورى بقلم الشيخ عبد العزيز البشرى (*)
 بعنوان (زهور باشا) (٢) ... قال البشرى فى مقاله عن زهور باشا :
 " أما شكله الخارجى وأوصافه الهندسية ، ورسم قطاعاته ، ومساقطه الانشائية ، فذلك كله محتاج فى وصفه وضبط مساحاته الى فن دقيق ، وهندسة بارعة .

(١) راجع كتاب المختار للبشرى ص ١ ص ٢٧١ وكذلك عبد النظيف حمزة / أدب المقالة الصحفية فى مصر / الجزء الثالث ص ٦٨ و ٩٥ .

(*) عبد العزيز البشرى كاتب ولد بالقاهرة عام ١٨٨٦ وتوفى بها عام ١٩٤٣ وهو ابن الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، وقد درس فى الأزهر وتولى القضاء الشرعى مدة ، ثم عين مراقباً لإدارة للمجمع اللغوى بالقاهرة . له أسلوب خاص فى كتابة المقالة ، يقارن بأساليب المثقفين من أعلام الكتاب فى العصر المباسى ، ويتميز بدعابة مصقولة ، ودقة فى الوصف ، جمعت مقالاته فى عدة مجلدات (فى المرأة) وفى صور لشخصيات مشهورة عام ١٩٢٧ و (المختار) عام ١٩٣٥ و (قطوف) عام ١٩٤٧ . (راجع الموسوعة العربية الميسرة / مرجع سابق ص ٣٧٤) .

(٢) من كتاب (فى المرأة) طبعة دار الكتب المصرية عام ١٩٢٧ ص ٧ وزهور باشا حر أحد رؤساء الزارات المصرية فى عام ١٩٢٧ ع-٤-

" الواقع أن زيور باشا رجل - ان صح هذا التعبير - يمتاز عن سائر الناس في كل شيء ، ولست أعني بامتياز في شكله المهرول طوله ، ولا عرضه ، ولا بعد مداه ، فان في الناس من هم أبعد منه وأبعد طولاً وأوفر لحماً ، إلا أن لكل منهم هيكل واحد . أما صاحبنا ، فإذا اطلعت عليه أدركت - لأول وهلة - أنه مؤلف من عدة مخلوقات ، لا تدرى كيف اتصلت ، ولا كيف تعلق بعضها ببعض ، ومنها ما يدور حول نفسه ، ومنها ما يدور حول غيره ، ومنها المتببس المتحجر ، ومنها المسترخى المترهل ، وعلى كل حال فقد خرجت حضبة عالية مالت من شفافها إلى الامام شعبة طويلة ، اطل من فوقها على الرادى رأس فيه عينان زائفتان ، طلة من يرتقب السقوط إلى قرارة ذلك المهوى السحيق .

وزيور عند الناس مجموعة متباينة متناقضة متشاكسة ، فهو عندهم كريم وبخيل ، وهو شجاع ورع عفيف ، وهو ذكى وغيبى ، وهو طيب وخبيث ، وهو داعية وشهوانى ، وهو وطنى حريص على مصالح البلاد ، وهو مستهتر بحقوق وطنه يجرده منها بالطارف والتلاد .

كل أولئك زيور ، وكل هذا قد يضيفه الناس إلي زيور ، فلا تكاد تسمعهم مجالسهم بما يأخذهم فيه من الدهشة والاستغراب ، وإذا كان غاملاً لا يمكن في الطبيعة أن يستقيم لرجل واحد ، فقد غلط الناس إذ حسبوا زيوراً رجلاً واحداً . والواقع أنه عدة رجال ، وعلى الاصح هو عدة مخلوقات ، لا تدرى - كما حدثتك - كيف اتصلت ، ولا كيف تعلق بعضها ببعض .

فإذا أدهشك التباين في أخلاقه ، وراعك هذا التناقض في طباعه ، فذلك لأن هذا الهرم العظيم الذى تحسبه شيئاً واحداً ، مؤلف في الحقيقة من عدة مناطق ، لكل منها شكله ، وطبيعته ، وتصوره ، وحظه من التربية والتعليب . فمنها العاقل ، ومنها الجاهل ، ومنها الحكيم ، ومنها الغر ، ومنها الكريم ، ومنها البخيل ، ومنها المصرى ، ومنها البركىسى ، ومنها الفونس ، ومنها الانجليزى ، ومنها اللالطى ، وكل منها يجرى في ملهه ، ويتصرف في الدائرة الخاصة به ، فلا عجب إذا صدر عن تلك المجموعة الزبورية كل ما ترى من ضروب هذه المتناقضات !!

والظاهر أن زيور باشا - برغم حرصه على كل هذه الممتلكات الواسعة - عاجز قام العجز عن إدارتها ، وتوليها بالمراقبة والإشراف ، ومادامت الادارة المركزة فيه قد فشلت كل هذا الفشل ، فأحرى به أن يبادر فيعمل إعطاء كل منها الحكم الذاتى . على أن تعمل مستقلة بنفسها على التدرج في سبيل الرقى والكمال !! وحسب عقله في هذا النظام الجديد أن يتوافر على إدارة رجليه وحدهما ، ولعله يستطيع أن يمسيرهما في طريق الأمن والسلام !!

وانى أورد عليك طائفة يسيرة تدلك على ما فى هذه المجموعة الغريبة من ضروب المتناقضات ، التى تجزم منها بأن ذلك الخلق ليس شيئاً واحداً ، وإنما هو في الحقيقة عدة أشياء !!

وإن ظلماً أن يؤخذ البرىء بجريمة الأكم ، وإن عسفاً أن يعاقب البرىء بما أجرم الظالم ، فقد يكون الذى اقترف كل هذه الآثام هو كروخ زيور باشا الأيمس ، أو القسم الأسفل من (لغده) أو المنطقة الوسطى من فخله اليمنى ، أو غيرها من تلك الكائنات التى تجمعت في هيكله العظيم !! فما شأن تلك المخلوقات كلها تجر إلى مواطن الاتهام ، وتعاقب بما ارتكبت بعضها من الجرائم والآثام ؟؟

إن الحق والمعدل ليقضيان بأن يؤلف مجلس الثواب - إن شاء الله - لجنة تقوم بعمل التحقيق في جسم صاحب الدولة ، فتسأل أعضائه عضواً عضواً ، وتحقق مع أشلائه شلواً شلواً ، حتى يفرق منها بين المحسن والمسيء ، ولا يخلط في العقوبة بين المجرم والبريء .
" ولعل العضو الوحيد المقطوع بهرأته من كل ما ارتكب من الأثام هو منغ زبور باشا ، فما أحسبه شارك ولادخل في شيء من كل ما حصل " [انتهى المقال] .

وواضح أن هذا المقال انما قام في جملته على التماس العيوب الرئيسية في شخص زبور باشا ، وترك البشري لقلمه أن يعرضها عرضاً كاريكاتورياً زاد في تشويهها ، ما ورد على ذهن الكاتب في أثناء كتابته من ضروب التشبيه وما حضره من فنون التمثيل ، ولا زال الكاتب يتوسع في الموضوع ، عن طريق التوليد للمعاني وإيراد النكت البارة حتى استكملت الصورة القلمية الكاريكاتورية كل عناصر الاضحاك ، والسخرية ، والتندر بشخص زبور باشا .
ومعروف أنه كان أحد رؤساء الوزراء المصريين المشهورين وتولى رئاسة الوزارة عام ١٩٢٧ وواضح أنه لولا وجود نوع من الحريات في ذلك الوقت لما كان من السهل أن يعرض البشري حياته للخطر الذي كان يمكن أن يصيبه من زبور باشا موضوع مقاله الكاريكاتوري ذلك . هذا علاوة على أن عبد العزيز البشري صاحب هذا الفن الأدبي الرائع ، كاتب له مواهب وصفات ذاتية يخف بها كلامه على الناس ، كما كان ظريفاً خفيف الظل في كتاباته ، وفي طبعه مرح ، وفي أفقه سعة ، وفي ذهنه ذخيره هائلة من التجارب الانسانية التي خبر بها الناس خبرة جيدة .

نماذج من جريدة الكشكول المصور :

وعلى سبيل المثال أيضا كانت (جريدة الكشكول المصور) (*) وهي مشهورة باعتمادها على الكاريكاتور الذي يعتمد على القلم وعلى

(*) جريدة الكشكول المصور ، مجلة كاريكاتورية ساخرة صدرت في الفترة من عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٢٤ لصاحبها سليمان فوزي وكانت تناصر اسماعيل صدقي باشا وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت وغيرهم وتعادى حزب الوفد على وجه الخصوص (راجع للمؤلف - جريدة الكشكول المصور) رسالة ماجستير مقدمة لقسم الصحافة بكلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٨ .

الرسم أيضا .. كانت هذه الصحيفة تنشر باباً ثابتاً تحت عنوان (فى المرأة) لكاتب كان يوقع بامضاء (م . هـ) . وكانت كل حلقة فيه يصاحبها رسم كاريكاتورى مصغر لوجه الشخص الذى تتناوله الحلقة ... يلى ذلك مقدمة يتناول فيها الكاتب الحديث بايجاز عن شيء عاقل أو حيوان أو طائر يرى فيه الكاتب الكثير من الشبه والصفات بما فى الشخصية التى تتناولها الحلقة ويطابق بين الطرفين ، ويوضح مدى الشبه بينهما .. ثم يأخذ بعد ذلك فى الحديث عن الشخصية التى يتناولها بأسلوب كاريكاتورى شديد الهجوم والسخرية على من يعارضهم (الكشكول المصور) من كبار الساسة والشخصيات البارزة فى زمانها ..

وأول حلقة فى هذا الباب (١) كانت عن الزعيم مصطفى النحاس (*) رئيس حزب الوفد - حينئذ - وقد جاءت الصورة الكاريكاتورية القلمية ساخرة مشوّهة ، حيث كانت (الكشكول المصور) تعارض حزب الوفد معارضة شديدة .. فهذا هو (مصطفى النحاس) الذى يستوحى كاتب المقال خياله ، فيعمد الى مسخ صورته ويشبهه بشحاذ اسمه (الشيخ ابراهيم) كان يراه منذ عشرين سنة يجلس عند باب زويلة " أسمر اللون ، مدغم الوجه ، متقوس الحاجبين ، عريض القفا ، له رأس كبيضه الحمامة وجبهته كحجر الطاحون ، وله عينان حائرتان كأنما تدوران على لولب ، وانف كناقوس الكنيسة ، لولا أنه أخرس ، وله

(١) جريدة الكشكول للمصور العدد (٢٦٩) الصادر بتاريخ ٩ يوليو ١٩٢٦ ص ١٤ .
 (*) مصطفى النحاس : زعيم سياسي مصري ورئيس حزب الوفد ولد عام ١٨٧٦ وتوفي بالقاهرة عام ١٩٦٥ وقد خدم القضاء المصري مدة طويلة ثم دخل غمار السياسة وانضم الى الوفد المصري برئاسة سعد زغلول باشا بعد ان استقال من الحكومة ونفى مع سعد زغلول الى جزيرة سيبل عام ١٩٢١ وعين وزيرا للمواصلات عام ١٩٢٤ فى وزارة الشعب الاولى برئاسة سعد زغلول فوزيرا بالوزارة الائتلافية عام ١٩٢٦ برئاسة عدلى يكن . وعند وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧ خلفه فى رئاسة حزب الوفد وفى رئاسته مجلس النواب الاتلافي - وقد ألف الوزارة فى عام ١٩٢٨ وفاوض الانجليز عام ١٩٢٩ وفشلت المفاوضات بسبب مسائل السودان . واللع بعد ذلك فى إبرام معاهدة الزعفران عام ١٩٣٦ مع الانجليز و فيها اعترفت بريطانيا بمصر دولة مستقلة ذات سيادة والقيت الامتيازات الاجنبية والى النحاس الوزارة فى اعوام : ١٩٢٨ - ١٩٣٦ - ١٩٤٢ - ١٩٥٠ واعتزل الحياة السياسية عقب ثورة يوليو ١٩٥٢ .
 (المرسومة القلمية للمصورة / مرجع سابق فى ١٨٧٦) .

ذقن كقاعدة العمود ، فوقه فم يسع بفضل الله كل هذا الوجود " .

ويلتص الكاتب عيوب وجه النحاس فيجسمها ويمسح صورته ، فيقول : " النحاس باشا جميل الطلع إن صبح أن الجمال فنون مختلفة ، وأن للألواق فيه شرائع يلتوى بعضها على بعض . فان كان شيء من الجمال في تناسب الأجزاء وتشاكلها ، ففي بعض الألواق أن الجمال يسكن الى التناظر وانعدام المشاكلة ، وأى فنان سليم الذوق لايحس الجمال كله في الجبهة العالية ، تمتد فوق الوجه المسطوح كما يستد (التراس) أمام البناء الفخم ١٢ ويبقى نوع آخر من الجمال تسعد به قوميتنا المصرية ، وينهزم أمامه دعاء (البرانيط) .. نعم جميل أن يستعصى رأس النحاس باشا على البرنيطة لأن بروز جبهته ، واستطالتها من الشرق الى الغرب ، يمنعان البرنيطة أن تستقر فوق هذا الرأس الأتنب الصغير ويعمد كاتب هذا المقال الكاريكاتورى الى توليد المعانى واستطراد الأفكار حول ماضى مصطفى النحاس فيقول ساخراً متهمكماً " وإذا جئتم الى الماضى ، فاحذروا أن تصيبوا جلائل ماضيه بشيء من الجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .. كان أعزه الله محامياً ، ثم سئم حرية المحاماة ، فطلب نعمة الوظائف يتخذها محبس هذه الحرية ، وكذلك النفوس الكريهة تائبى الضيم حيثما كان مهبطه ، فان مسها ضيم الحرية ، فرت الى باب من أبواب الاستعباد تطمئن إليه ، وان قعد بها ضيم الاستعباد عما تطلب من عظام الامال ، هربت الى سبيل من سبل الحرية تستعين به على أمرها ، ولاتجادلوا فى أن الحرية وحدها كانت أمنية النحاس باشا يوم استقال من وظيفته فى القضاء ، ليتقلد وظيفة فى الوفد المصرى " .

وواضح فى هذا المقال الكاريكاتورى ، أن الكاتب قد استخدم العناصر الأربعة للقلم الكاريكاتورى التى سبق عرضها استخداماً جيداً حيث عمد الى تجسيم العيوب فى شخصية الزعيم مصطفى النحاس ومسح صورته كما عمد الى توليد المعانى واستطراد الأفكار كلما سار فى مقاله ، وظهرت براعة الكاتب فى ايراد عناصر التندر ، وذكر النكات التى ترد على ذهنه أثناء الكتابة .. وكان لعنصر التشبيه والتمثيل مجال واسع فى هذا المقال ، حيث كان الكاتب يستوحى خياله ويستعين به فى عملية (المسخ) .. وانظر إليه عندما يشبه مصطفى النحاس . بشحاذا اسمه (الشيخ ابراهيم) كان يراه منذ عشرين سنة يجلس عند باب زويلة .. ورأس النحاس " كبيضة الحمامة وجبهته كحجر الطاحون " وأنف النحاس " كناقوس كنيسة لولا أنه أخرس " وأن له فماً " يسع بفضل الله كل هذا الوجود " .. وان جبهته بارزة " واستطالتها من الشرق الى الغرب " ... الخ .

ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن (المقال الكاريكاتورى) لننتقل الى
الحديث عن نوع آخر من أنواع المقالات الأدبية ، قريب الشبه لهذا
النوع الكاريكاتورى ، وهو (المقال النزالى) الذى نفرد له المبحث
التالى ...

المبحث الخامس المقال النزالى

ماهو المقال النزالى ٩٩

الاجابة يقدمها الدكتور حسنين عبد القادر^(١) فيقول : " ان المقال النزالى يكون لاسباب شخصية ، أو للنزاع حول فكرة ، أو مبدأ ، وفى هذا المقال نجد نزالا ، وصراعاً ، وقتالاً ، وطعناً ، وصدأ لهذا الطعن . وفى العادة يكون المقال شديد اللهجة ، عنيفاً إلى أقصى حدود العنف . وكثيراً مايذهب المقال النزالى إلى السباب ، وكثيراً أيضاً مايندفع الكاتب - دون أن يدري - إلى الخروج عن تقاليد الكتابة ، أو ينسى نفسه ككاتب ، أو أديب ، أو صاحب فكرة ، حتى يصل الأمر إلى أن يقطر قلمه السم الزعاف " .

ومن حق الكاتب المنازل - كما يقول الدكتور حسنين أيضاً - ان يهزأ من الشخص الذى ينازله ، وأن يسخر من أفكاره ، ويهزه هزأ عنيفاً يفقده شخصيته واحترامه بين الناس .

وللنزال أسلحة ، يقدمها الدكتور حسنين كذلك . ومنها التدليل المنطقى ، بمعنى أن يكون الانسان عالماً بقواعد المنطق وطرق استخدامها ، وكيف يبدأ بالمقدمات ليصل إلى النتائج .. وبجانب هذا يجب أن يلجأ الكاتب إلى وسائل التهكم ، (التنبيط) حتى ينال من الخصم بمقدار . وعندما يبدأ الكاتب فى الدخول فى ميدان النزال يجب أن يضع أمامه موضوع النزال والخصم الذى سينازله ويدرس الموقف دراسة دقيقة وافية ، ويبحث كيف كانت سيرة حياته ، وهل له فضائح يمكن استغلالها فى التشهير به والحط من قدره بين الناس .

ويقول الدكتور حسنين عبد القادر أخيراً ان المقال النزالى يجب أن يهدف أول ما يهدف إلى محاولة اقناع الخصم حتى يكف عن المضى فى النزال ، وفى الوقت نفسه يحاول اقناع الجمهور حتى ينضم إلى صف الكاتب ضد غريمه . ولذلك يسمح فى مثل هذه المقالات بالخروج نوعاً ما عن الحقائق .

المقال النزالى الأنجى :

والمقالات النزالية فى مصر لها طريقان هما : طريق الأدب من ناحية ، وطريق

(١) الصحافة كمصدر للتاريخ (القاهرة ٨٥٩١) من ١٦١-١٨٨

السياسة من ناحية ثانية ... ففي الأدب ظهرت معركة حامية الوطيس بين القديم والجديد ، وهي المعركة التي بدأت على صفحات (الجريدة) لمحررها أحمد لطفي السيد (*) ، وتناظر فيها رجلان هما : مصطفى صادق الرافعي (**) عن القديم ، وطه حسين عن الجديد .. ثم ما لبثت هذه المعركة أن انتقلت إلى صحيفة (السياسة الأسبوعية) لمحررها محمد حسين هيكل (***) ، واستمرت ذبول تلك المعركة سنوات بعد ذلك في الصحف المصرية الأخرى

ومن النزال الأدبي كذلك تلك المعركة التي دارت رحاها مرة أخرى بين الدكتور / طه حسين وعباس محمود العقاد (****) ، حول موضوع الأدب السكسوني ، تشبع فيها الدكتور طه حسين للثقافة اللاتينية ، وتشبع فيها العقاد للثقافة السكسونية واستمر الأمر مسجلاً بينهما فترة ليست بالقصيرة .

(*) أحمد لطفي السيد : مفكر وفيلسوف مصري ورائد من رواد الحركة الوطنية . ولد في بريقين بالدقهلية عام ١٨٧٢ وتوفي بالقاهرة ١٩٦٣ وق حصل على ليسانس الحقوق عام ١٨٩٤ والتحق بخدمة القضاء واستقال عام ١٩٠٥ واشتغل بالسياسة وشارك في تأسيس حزب الأمة ، وتولى رئاسة تحرير الجريدة ١٩٠٦ إلى عام ١٩١٤ حيث عاد إلى خدمة القضاء . وعين مديراً لدار الكتب المصرية من عام ١٩١٥ إلى عام ١٩١٨ فمديراً للجامعة المصرية عام ١٩٢٥ فوزيراً للمعارف عام ١٩٢٨ وعاد إلى إدارة الجامعة عام ١٩٣٠ واستقال عام ١٩٣٢ ثم عاد للمرة الثالثة مديراً للجامعة في يوليو ١٩٣٨ وعين عضواً لجميع اللجان العربية عام ١٩٤٠ ف رئيساً له ١٩٤٥ إلى عام ١٩٦٣ ، وعين وزيراً للخارجية عام ١٩٤٦ فثانياً لرئيس الوزراء عضواً بمجلس الشيوخ وأسهم في عدة مجامع وجمعيات علمية ونال جائزة الدولة للتفكير في العلوم الاجتماعية عام ١٩٥٨ [الموسوعة العربية للبيرة ، مرجع سابق ص ٦٢]

(**) مصطفى صادق الرافعي : أديب مصري ولد عام ١٨٨٠ وتوفي عام ١٩٣٧ وقد بدأ حياته الأدبية شاعراً في مدرسة البارودي فأخرج عدة دولوين ظهر أولها عام ١٩٠٢ وتحول في الشطر الثاني من حياته إلى النثر فكتب عدة كتب من نوع النثر الشعري : (حديق القمر ١٩١١) و (للسالكين ١٩١٧) وله كتاب (تاريخ أدب العرب) و كسـتاب ' (أعجاز القرآن) وكتب في السنوات الأخيرة من حياته مقالات في موضوعات متفرقة ينحدر في بعضها النحـو القصصي جمعت في (وحي القلم ١٩٣٦) ودلوت بينه وبين المجددين سمارك نقدية حامية كتب فيها (تحت راية القرآن ١٩٢٦) رداً على كتاب (في الشعر الجاهلي) لطه حسين ، وكتاب (علي السقود ١٩٣٠) وهو نقد عنيف لشعر العقاد . [الموسوعة العربية للبيرة ، مرجع سابق ص ٨٥٥]

(***) محمد حسين هيكل : كاتب سياسي مصري ، ولد في قرية هيكل بمركز السنبلوين بالدقهلية عام ١٨٨٨ لأسرة موسوسة وتوفي عام ١٩٥٦ وقد تخرج في مدرسة الحقوق ، وأتم دراسته في باريس حيث حصل على دكتوراه القانون ، واتصل اتصالاً وثيقاً بأحمد لطفي السيد وانضم إلى حزب الأحرار الدستوريين وتولى تحرير جريدة (السياسة) اليومية الأسبوعية وأصبح رئيساً للحزب ورئيساً لمجلس الشيوخ وولي وزارة المعارف عدة مرات وكتب في مطلع حياته الأدبية عام ١٩١٤ رواية (زينب) وكتب سيرة (جان جاك روسسو ١٩٢١) و (تراجم مصرية وغربية ١٩٢٩) و (حياة محمد ١٩٣٥) و (الصديق أبو بكر ١٩٤٢) و (الفاروق عمر ١٩٤٤) وجمع كثيراً من مقالاته النقدية وكتابه (في أوقات الفراغ ١٩٢٥) و (ثورة الأدب ١٩٣٣) [الموسوعة العربية للبيرة/ مرجع سابق في ١٩٢٩] .

(****) عباس محمود العقاد : شاعر وكاتب مصري ولد في أسوان عام ١٨٨٩ وتوفي بالقاهرة ١٩٦٤ وبعد =

المقال النزالي السياسي :

وفي الطريق الثاني من طرق النزال السياسي كثرت معارك شتى بين الأحزاب المصرية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى ، وأخذت تتزايد شيئاً فشيئاً فيما بعد ، وقد انزلت بعض هذه المعارك السياسية أو الحزبية الي مستوى الخوض في الأشخاص والأعراض وكان من هذه الأخيرة تلك الحملات الصحفية العنيفة التي حمل فيها العقاد علي الرئيس السابق مصطفى النحاس ، وذلك منذ خرج العقاد من حزب الوفد وانضم الي حزب السعديين .

ومن الحملات الصحفية الأولى في مجال المقال النزالي في الصحافة المصرية لحدة الحملة التي اقترنت بأسم (الشيخ علي يوسف) (*) صاحب جريدة (المؤيد)

= ١ ان اتم تعليمه الابتدائي عمل في وظيفة كتابية لم يلبث أن تركها واشتغل بالصحافة وأقبل علي تثقيف نفسه ثقافة واسعة ، بدأ انتاجه الشعري قبل الحرب الأولى وظهر ديوانه عام ١٩١٦ في أربعة أجزاء وتوالى بعد ذلك مجموعاته الشعرية بعناوين مختلفة : (وحى الأريمين) و (هدية الكروان) و (عابر سبيل) وقد اتخذ من البيئة المصرية ومشاهد الحياة العادية مصانير للإلهام .. وقد غلب فن المقالة علي انتاج العقاد النثري الأول : (الفصول) و (مطالعات في الكتب والحياة) و (مراجعات في الآداب والفنون) ثم كتب سلسلة سير لأعلام الإسلام بطريقة خاصة أشبه برسم الشخصيات (عبقرية محمد) و (عبقرية عمر) وغيرهما ورواية واحدة (سارة) واتجه الي الفلسفة والدين (الله) و (أبليس) و (الفلسفة القرآنية) وفي عنفوان نشاط حزب الوفد المصري كان العقاد يكتب الافتتاحيات السياسية في جرائده مثل (البلاغ) و (الجهاد) وكتب سيرة للزعيم سعد زغلول عام ١٩٢٦ وصدرت عنه عدة بحوث أهمها كتاب بقلم تلاميذه (الموسوعة العربية الميسرة مرجع سابق ص ١٢٢٠) .

(*) الشيخ علي يوسف : صحفي وسياسي وقطب ديني مصري ولد عام ١٨٦٣ وتوفي عام ١٩١٣ وقد تعلم بالأزهر ، واتصل بجمال الدين الأفغاني . وأصدر عام ١٨٨٧ جريدة الآداب بالأشتراك مع الشيخ أحمد ماضي ، وكانت تصدر اسبوعياً ثم فقت انتظامها حتى عطلت عام ١٨٨٩ ثم أنشأ جريدة (المؤيد) عام ١٨٨٩ وظل يحررها ٢٢ سنة ثم تخلى عنها لاسناد منصب ديني إليه ، وقد أصدر (المؤيد الاسبوعي) في طبعتي انجليزية وفرنسية ، وكان أول مصري أستورد مطبعة دوارة (روتاتيف) لطبع جريدته . وأسس جمعية الهلال الأحمر ، واشتهر يقضيته (التفراغات) و (الزواج من ابنة السيد السادات) وله ديوان شعر بعنوانه (نسيم السحر) ومقالات مجموعة [الموسوعة العربية الميسرة / مرجع سابق ص ١٢٢٢] .

وفيها شهر الشيخ قلماً على (اللورد كرومر) (*) جبار الاحتلال الإنجليزي فى مصر ، وكان ذلك فى النصف الأخير من سنة ١٩٠٧ فى الفترة البسيطة السبقت سقوط كرومر عن عرش الوكالة البريطانية والفترة البسيطة التى أعقبت هذا السقوط . وقد عرفت المقالات النزالية التى تألفت منها حملة (الشيخ عيسى يوسف) ، وعددها أربع عشرة مقالة باسم مقالات (قصر الدويارة بعد يوم الأربعاء) (١) .

وقد نشرت (جريدة الكشكول للمصور) (٢) العديد من المقالات النزالية التى ينطبق عليها تمام الانطباق كل خصائص وأهداف المقال النزالى التى سبق عرضها . ومن أهم تلك المقالات ، منازل مع شتى صحف حزب الوفد الذى كانت تعارضه وكذلك مجلة (اللطائف المصورة) ومجلة (روز اليوسف) .

(*) اللورد كرومر : هو الأيرلندى بيرنج : إدارى ودبلوماسى بريطانى ولد عام ١٨٤١ وتوفى عام ١٩١٧ وقد خدم فى مصر ، وهو الابن التاسع لهنرى بيرنج عضو مجلس العموم البريطانى . وعين شايخاً عام ١٨٥٨ وياًوياً للمندوب لسانى البريطانى للجزر الأيونية عام ١٨٦١ وأميناً خاصاً لحاكم الهند العام (١٨٧٢ - ١٨٧٦) والمندوب البريطانى بمستدوق الذين الذى ألفه الخديوي إسماعيل لى يطمئن الأجانب على أموالهم فى مصر التى أقرضوها له ثم مندوب بريطانيا فى الرابطة الثنائية عام ١٨٧٩ واختير وزيراً للمالية بالهند (١٨٨٠ - ١٨٨٣) واختارته الحكومة البريطانية عام ١٨٨٣ عقب الاحتلال البريطانى لمصر ليكون الوكيل البريطانى والفصل العام بمصر ، بدرجة وزير مفوض فى السلك الدبلوماسى . ومنذ ذلك الحين حتى استقالته عام ١٩٠٧ كان الحاكم الحقيقى لمصر ، وكان تاريخ البلاد أبان هذه الحقبة هو تاريخ السياسة التى انتهجها . ولم يكن يعين رئيس للوزارة المصرية إلا بموافقة . واضطرت الحكومة المصرية الى الانصياع لمشورته بإخلاء السودان - بعد فشل حملة فكس عام ١٨٨٣ وقصر التعليم فى مصر على تخريج سفار الموظفين فى الحكومة المصرية واستقال فى ١٠ أبريل ١٩٠٧ بعد قهية دنشواي عام ١٩٠٦ وكافاته حكومة بلاده بمبلغ خمسين ألف جنيه على أثر استقالته ، وله كتاب (مصر الحديثة ١٩٠٨) و (الاستعمار القديم والحديث) الموسوعة العربية الميسرة مرجع سابق ص ١٤٥٧ .

(١) راجع الدخول فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٢٩ و ٢٣٠ وكذلك أدب المقالة الصحفية / مرجع سابق ص ٤٦ و ٧٦ .

(٢) راجع للمؤلف (الكشكول للمصور) رسالة ماجستير مرجع سابق ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

بين الكشكول واللطائف المصورة

وقد بدأت المنازلة بين (سليمان فوزي) صاحب جريدة الكشكول المصور وبين (أسكندر مكاربوس) صاحب مجلة اللطائف المصورة ، بأن بعث أسكندر مكاربوس الي صاحب الكشكول خطابا أنتقد فيه نشر إعلان معين ، وعلق الكشكول علي ذلك متهمكما علي (أسكندر مكاربوس) الذي جعل من نسه قيما " علي الصحف التي تزاحمه " و أعرب عن سخطه من أن يتحقق للبلاد " أمنية الاستقلال التام علي يده " (١)

وهنا تبدأ المنازلة تسخن وتزداد لهجتها عنفا وترد (اللطائف المصورة) علي تهكم (الكشكول المصور) وتوضح اللطائف انها لم تطق " أن تتحرك حبل هذه المجلة (أي الكشكول) علي غاربه لأنها تربأ بالصحافة المصرية العربية أن تستعمل أداة (وسخة) منحطة للطعن في مشاهير رجال مصر (٢) .

ويرد (الكشكول المصور) علي ذلك فيهزأ من صاحب اللطائف ويسخر منه ويأخذ في نبش سيرته وتاريخه بغرض التشهير به ، فيذكر أن مكاربوس أفتدى بخدمة الاستعمار الذي تربى في حجره وتغذى من فضله .. وأن والده سوري مسيحي من أولئك الذين هاجروا بلادهم بعد مقاتلة الوطنية " ثلاثة وثلاثين عاماً بشهادة الشهود . (٣)

وتمضى المنازلة بين المجلتين ، وتزداد عنفاً علي عنف ، وتذهب إلى حد السباب عندما تذكر (اللطائف) أنها لا تطيق أن ترى البلاد تنوء " تحت بلايا صحافة مصورة قلرة " وأنه لا يتفق مع مصالحها " الإبقاء علي طائفة من مدعى الصحافة المعروفين بسفالة أخلاقهم ودناءة آدابهم ، ونريد بهم أولئك اللثاب الذين لبسوا ثياب الحملان وظهروا بمظهر الصحفيين وأخلوا يعيشون فسادا بين

(١) الكشكول المصور العدد الخامس الصادر في ٢١ يونيو ١٩٢١ ص ٣

(٢) اللطائف المصورة العدد ٣٣٣ الصادر في ٢٧ يونيو ١٩٢١ ص ٦

(٣) الكشكول المصور العدد السادس الصادر في ٢٨ يونيو ١٩٢١ ص ٦ و ٧

طبقات هذه الأمة على صفحات وريقاتهم المصورة القليرة " (١) .

ويرد (الكشكول المصور) بعنف أشد ويزداد فى طعنه ونزاله ، وفى الوقت نفسه يبذل جهده لاقتناع الجمهور حتى ينضم الى صفه ضد عزيزه ثم يعلن برامته من المصريين ومن الوطنية " إن كانت تروج فى هذه البلاد دعوة أن صاحب اللطائف مصرى ابن مصرى وغير - وهو ابن أحد أصحاب المقطم - على مصر أكثر من المصريين " (٢)

وتتوقف المنازلة بين المجلتين نحو عام إلا قليلا ثم يعاود (الكشكول المصور) الهجوم على (اللطائف المصورة) لأن صاحبها " شرع فى نشر رواية عنوانها " قهوة الغلبانين " ، ضمنها الفاظاً وعبارات قد لا تتدنى اليها أحط مومس فى عشش الترجمان ويبر جمص " (٣) .

ولم ترد (اللطائف المصورة) على ذلك إلى انتهزت فرصة اعتداء شخص يدعى (محمد بكري المهندس بمصلحة المساحة) على صاحب الكشكول سليمان فوزى بضربه فى محل صولت الحلوانى بالقاهرة على مرأى ومسمع من الناس وقالت أن سليمان فوزى " كان قد ذهب لياكل الحلوى فذاق العلقم " .

ورداً على ذلك نشر (الكشكول المصور) كلمة بتوقيع (قارىء) وصف فيها نفس صاحب اللطائف بأنها " نفس منحطة بتأجيج فيها نار الحق ولظى الحسد " ووجه اليه النصيح بأن يكف عن مهاجمة الكشكول فى عرينه " وليتأكد أن خبيته فى المدرسة وخروجه منها خالى الوفاض ، لا علم ولا معرفه ، لم تكن بيد الكشكول فيحقق عليه ، بل خبيته جاءت من تحجر مخه ، وحماقته المتأصلة فى

(١) اللطائف المصور العدد ٣٢٤ بتاريخ ٤ يوليو ١٩٢١ ص ١٢ .

(٢) الكشكول المصور العدد السابع بتاريخ ٥ يوليو ١٩٢١ ص ٦ .

(٣) الكشكول المصور العدد ٥٢ الصادر بتاريخ ١٤ مايو ١٩٢٢ ص ١٣ .

نفسه والقاعدة العامة (أن النار تخلف رمادا) كذلك يكون خلف الدكتور صروف (خيبة الأمل) فلا عجب أن أنجب الدكتور جحشا اليوم ، وغداً يكون حماراً " ^(١) وبعد ذلك بدأت المنازلة بين المجلتيين تخف حدتها شيئاً فشيئاً إلى أن توقفت تماماً ، وأصبح كل منهما ينشر عن الآخر الانتقادات الفاترة التي لاتندرج تحت نطاق (المقالات النزالية) بصورتها السابق عرضها .

* * * * *

بين الكشكول وروز اليوسف :

أما المقالات النزالية بين صاحب (الكشكول المصور) وبين صاحبة مجلة (روز اليوسف) فقد كانت عديدة واستمرت فترة طويلة ، وبلغت من سلاطة اللسان من الطرفين درجة فاقت كل حد .. كما أسرفت أيما إسراف في التدخل في الشئون الشخصية ، والتعرض للمسائل الخاصة ، والانزلاق الى نهش الأعراض والتنايل باللقاب ، دون مراعاة أو نظر إلى قانون الأخلاق أو اللوق العام والآداب العامة . حتى وصل الأمر إلى أن محمد محمود باشا رئيس الوزراء حينئذ في الوزارة التي ألفها في ٢٧ يونيو ١٩٢٨ أتلر المجلتيين على السواء ، بصفته وزيراً للداخلية تطبيقاً للمادتين (١٣ و ١٤) من قانون المطبوعات الصادر في ١٩ ديسمبر ١٨٨١ " حيث أن الوزارة لاحظت في بعض أعداد الكشكول الأخيرة اسفافاً في المهاترة ، ونزولاً في مناهج النقد ومذاهب الخصومة يجب أن تتنزه عنهما الصحافة وهي بمكان الهادي المؤدب " ^(٢) وكذلك لأن مجلة روز يوسف " مازالت تسن بفاحش القول ومنكر الأقاصيص ، وبالإمعان في الكذب

(١) الكشكول المصور العدد ٦٧ الصادر بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٢٢ من ١١

(٢) الكشكول المصور العدد ٢٨٠ الصادر بتاريخ ٤٢ أغسطس ١٩٢٨ من ٢

والإختلاق ، سنة مزرية بشرف الصحافة مفسدة للأخلاق والآداب " (١)
ان تلك المقالات النزالية بين (الكشكول المصور) وبين مجلة (روز اليوسف)
لم تبدأ فجأة من العدم ... بل سبقتها انتقادات ومهاجمات وجهها (الكشكول
المصور) الى شخص السيدة فاطمة اليوسف (روز اليوسف) عندما كانت
تشتغل بالفن والتمثيل قبل أن تنشئ مجلتها (روز اليوسف) التي صدر
عدها الأول في ٢٦ أكتوبر ١٩٢٥ . وكانت تلك المجلة تعنى في أول الأمر
بالفنون والآداب ، ثم أصبحت تعنى الى جانب ذلك بالسياسة والمسائل العامة
بعد الشهور الأولى من بداية عام ١٩٢٦ وكانت سنتها الثالثة مرحلة انتقال في
تحولها من صحيفة فنية الى صحيفة سياسية (٢) .

ولقد واصل (الكشكول المصور) هجومه على (روز اليوسف) وخاصة بعد
أن انضمت الى معسكر خصومة الوفديين ، وأصبحت من صحف حزب الوفد
التي تدافع عنه وعن سياسته . وقد ذكر الدكتور ابراهيم عبده أن
(روز اليوسف) أخذت جانب الوفد منذ مات سعد زغلول ، وولى الأمر
مصطفى النحاس باشا (٣) .

وبدأت (روز اليوسف) تهاجم (الكشكول المصور) وتدافع عن نفسها ،
وأخذت ترد له الصاع صاعين ، وتسقيه من نفس الكأس التي طالما سقاها
منه العلقم ، وكان ذلك ابتداءً من عددها رقم (١٠٥) الصادر بتاريخ ١٠
نوفمبر ١٩٢٧ .

وفي الحق أن أحداً من خصوم (الكشكول المصور) لم يسلم من قلمه اللاذع
المقذع على حد تعبير الدكتور ابراهيم عبده - حتى اتبرت له (روز اليوسف)
فأذاقته من معينه أشكالا وألوانا ، فاذا الصحيفة الشتامة المبرزة في هذا

(١) مجلة روز اليوسف الممد (١٤١) الصادر بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٢٨ من ٢ .

(٢) ابراهيم عبده / روز اليوسف سيرة وصحيفة (القاهرة مارس ١٩٦١) ص ٨٥ - ١٠٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٠٧ .

لميدان ، تجرى إلى النيابة تشكو السيدة روز اليوسف (١) .
وحول ذلك تتهمكم (روز اليوسف) على (الكشول المصور) وهو يشكو
خصومه الى القضاء بينما له " تاريخ عريض فى الكذب والتضليل " وصفحاته
" اذا لم تكن قد احمرت خجلا لكثرة ما حملت من ألفاظ الفحش (الشريف) فقد
احمرت إذن لكثرة ما سال عليها من دماء الأعراض " (٢) .

وتعود (روز اليوسف) إلى الماضى تفتش فيه عن تاريخ
(سليمان فوزى) صاحب الكشكول المصور ، وتخرج بطبيعة الحال عن الحقائق
ساخرة متهمكة عليه لتخدم غرضها فى المنازلة ، وتشهر بخصمها ، وتحط من
قدره بين الناس ، فتدعى ان سليمان فوزى كان " منذ ثمانية عشر عاماً "
مجرد شماعة أدمية عند باب لطفى السيد محرر الجريدة وكل عيذاته " تجارة فى
الملق والرياء والغش ، بلا رأسمال . . وبراعة لاتساجل ، وكفاءة لاتبارى ، فى
صيد السمك الأحمر من الماء الرائق السلسل " (٣) .

وتزيد (روز اليوسف) فى نزالها وطعنها للكشكول المصور وصاحبه ،
وتشتد فى هذا الطعن والنزال ، وتكثر منه بدرجة ملحوظة ، حتى لتكاد أغلب
صفحاتها قمتلىء وتفيض بالحديث عن ماضى سليمان فوزى الذى هو " ماض
مئات منقبح " وحياته كلها " شلقاً على الوطنيين وبعض من لم يدفع ضريبة
الكشكول من الرجعيين سواء بسواء " وأن هذا التشليق " يدر عليه الخير
والبركات (٤)

وتذكر (روز اليوسف) أيضا أن سليمان فوزى يظن وهو فى ظل الوزارة
الحاضرة ، وهى وزارة محمد محمود باشا " أن فى وسع الكلب أن يستأسد أو يمد

(١) نفس المرجع السابق ص ١٠٨ .

(٢) مجلة روز اليوسف العدد (١٢٤) الصادر بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٢٨ ص ٤ .

(٣) مجلة روز اليوسف نفس العدد ص ٦ .

(٤) مجلة روز اليوسف العدد (١٣١) الصادر بتاريخ ١٢ يونية ١٩٢٨ ص ٩ .

لسانه كما يشاء " .. وتوجه اليه القول زاجرة مهددة بالكتابة عن خروجه من
دارة في بلدته منشية سلطان مركز منوف " مخزق الثياب حافى القدمين تشيعه
لعنات امرأة محلولة الشعر ، مخزقة الثوب عارية التهللين .. " ثم حضوره للقاهرة
الى بيت خاله فى العباسية حيث اتخذ " بوابو حى الوايلى صديقاً ورفيقاً " ثم طرده
من بيت خاله ، وزواجه من فتاة سمراء مليحة كانت ترقص فى دار بغشاه
السور^(١) .

* * * *

كان ما تقدم بعضاً من كل ، و قليلاً من كثير ولحات ومقتطفات يسيرة من
مقالات عديدة نازلت (روز اليوسف) بها خصمها سليمان فوزى صاحب
(الكشكول المصور) والتي لاحظت عليها وزارة الداخلية كما سبق ذكره انها
" مازالت تسن بفاحش القول ومنكر الاقاصيص وبالامعان فى الكذب والاختلاق
سنة مزرية بشرف الصحافة مفسدة للأخلاق والآداب " ثم ماذا كان على الجانب
الآخر من المنازلات ... جانب (الكشكول المصور) الذى لاحظت عليه وزارة
الداخلية " إسفافاً فى المهاترة ونزولا فى مناهج النقد ومذاهب الخصومة " .

لقد كان لسان (الكشكول المصور) فى هذه المنازلات اكثر من سليط ، وقلم
كاتبه يقطر السم الزعاف ... نهش فى الأعراض ... تشنيع وسب مكشوف
بالفاظ خارجة يندى لها الجبين .. حديث عن تاريخ روز اليوسف يريد به أن يهزها
هو عنيفاً ، ويفقدها احترام الناس لها .. وقد امتلا (الكشكول المصور) بالكثير
من مثله .. ولكن ما تضمنته تلك المقالات النزالية بالذات يعتبر غاية ما وصل
اليه (الكشكول المصور) من الاسفاف فى المهاترة ، والانحطاط فى فاحش القول
ومنكر الاقاصيص على حد قول وزارة الداخلية .

فقد نشر (الكشكول المصور) فى مقالين اثنين فقط ما يتضائل بجانبه كل
ما كتبه عنه (روز اليوسف) فى العديد من أعدادها .. فهذا (تاريخ ما أحمله

(١) مجلة روز اليوسف الممدد ١٣٦ الصادر بتاريخ ٢٤ يولييه ١٩٢٨ ص ٩ (وراجع كذلك اعداد مجلة روزال
يوسف فى هذه الفترة ففيها الكثير من السباب والهجوم العنيف الموجه إلى سليمان فوزى صاحب الكشكول
للمصور

التاريخ / طريدة حصيبا وصحفية اليوم (١) وعلى نفس الوتيرة ، بل وأكثر ،
واصل (مؤرخ) هجومه بأسلوب فاضح والفاظ مكشفرته على (روز اليوسف)
مستكملا استعراض (تاريخ ماأهمله التاريخ) ومتحدثا عن (روزه .. خادمة
فى الكشف) (٢) .

وهنا أمتنع عن نقل أى نصوص مماورد فى تلك المنازلات أو (المشاتبات) أو
(الردح والتشليق) لأنها مخجلة ، ولا أدرى كيف لم تجد أى من الصحيفتين
حرجاً فى عرضها على صفحاتها ، التى كانت تدخل كل بيت ، ويقرأها الكبار
والصغار من الجنسين ... وقد تذنى النزال فيها إلى أسفل درجات الاسفاف
والانحطاط ، وكل ذلك نتيجة لخصومات حزبية عمياء عقيمة ، لم يستفد منها
غير أعداء البلاد من المحتلين وأذنابهم .. وقد جاءت مقالات الكشكول
واللطائف السابق عرضها بجانب تلك المقالات النزالية صفراً على الشمال كما
يقولون .

ومع الانتهاء من عرض المقال النزالى .. نكون قد وصلنا إلى نهاية هذا الفصل
الثانى حول المقال الأدبى وأنواعه ... وننتقل بعد ذلك إلى تناول قسم (المقال
العلمى) باعتباره القسم الثانى من أقسام المقال ... وهذا هو موضوع الفصل التالى .

* * * * *

* * * *

* * *

* *

*

(١) الكشكول المصور العدد (٣٧٥) الصادر بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٢٨ ص ٥ .
(٢) الكشكول المصور العدد (٣٧٨) الصادر بتاريخ ١٧ أغسطس ١٩٢٨ ص ١٥ .

الفصل الثالث

المقال العلمى وأنواعه (*)

يوجد نوعان من (المقال العلمى) : نوع يكتب للمتخصصين ونوع يكتب لغير المتخصصين من القراء .. والنوع الاول ينشر فى الكتاب العلمى أو المجلات العلمية التى تصدرها الهيئات والمؤسسات التى توفرت على نشر العلم .. والنوع الثانى تنشره الصحف بنوعيتها من جرائد ومجلات . والاول ليس مجال دراستنا ، والثانى هو الذى يهمنى التركيز عليه فى مجال هذه الدراسة .

والمقال العلمى الذى تنشره الجرائد والمجلات العامة ، يحقق ثلاث وظائف أساسية من بين الوظائف العديدة التى تحققها الصحف وهى وظائف : التعليم والتثقيف .. والتوجيه والارشاد ، والتسلية والامتناع .. وذلك لأن الناس فى حاجة الى من يعلمهم ويثقفهم ، ويرشدهم ويوجههم ، ويسليهم ويمتعهم ، وخاصة فيما يتصل بحياتهم العقلية . وكل هذا يتم لهم من خلال المقال العلمى . بأنواعه المختلفة الذى تنشره الصحف العامة . فإلى جانب المتخصصين فى مجالات العلوم المختلفة ، فإنه لاغنى للمثقفين فى الأمة عن الأخذ من كل علم من العلوم الانسانية بطرف . وقد أدركت الصحافة منذ نشأتها هذه الحقيقة ، فأخذت تمد قراصها من حين لآخر بتلك الفصول العلمية المفيدة والمقالات الطريفة التى يتعلمون منها حيناً ، ويتثقفون ويتسلون بها أحياناً ،

(*) اعتمدنا فى هذه الجزئية بصفة أساسية على كتاب (المدخل فى فن التحرير الصحفى .. مرجع سابق ص ٢٦٩ - ٢٨٢ وكذلك بعض المراجع الثانوية الأخرى سيتم الإشارة إليها فى موضعها مع بعض النماذج من الكتابات العلمية الصحفية ، للنشرة فى الصحف .

وترشدكم وتوجههم فى أحيان كثيرة إلى ما فيه مصلحتهم وفائدتهم ..
شروط المقال العلمى :

وينبغى أن تتوافر فى المقال العلمى الذى تنشره الصحف عدة شروط منها :
أولا : الاقلال جهد المستطاع ، من المصطلحات العلمية المعروفة عند أهل هذا العلم أو ذاك من العلوم التى يتعرض لها المقال . ومعروف أن لكل علم منها العديد من المصطلحات التى يعرفها المشتغلون بهذا العلم معرفة جيدة ، وكلما جد جديد من هذه المصطلحات ، يادروا إلى معرفته وأخذوا فى تداوله ... أما غيرهم من غير المتخصصين فلا علم لهم بهذه المصطلحات ، ولهذا وجب على كاتب المقال العلمى لغير المتخصصين أن يقتصد - ما أمكنه - فى ذكر هذه المصطلحات فى كتاباته .

ومع هذا ينبغى لكاتب المقال العلمى أن يدرك أن القارئ قد لا يضيره أن يقرأ لفظاً علمياً غريباً عليه إذا دعت الضرورة إلى استعماله فى المقالة ، ولا ينبغى للكاتب العلمى فى هذه الحالة أن يعتذر عن استعمال هذا اللفظ ، ولا أن يحاول شرحه بنظرية علمية شرحاً مستفيضاً .. فله مثلا ، أن يستخدم لفظ الوحدة الحرارية ، ولكن ليس عليه أن يشرح هذه الوحدة الحرارية من الوجهة العلمية ، بل يقول مثلا : إن ثلاث قطع من السكر ، أو قطعة صغيرة من الزبد تولد مائة وحدة حرارية ، وأن الإنسان يحتاج إلى مائة وحدة حرارية فى الساعة عادة ، وإلى مائة وستين وحدة إذا كان يقوم بعمل مجهود^(١) .

ثانيا : تبسيط المعلومات التى يقدمها الكاتب العلمى للقراء ، مراعاة منه لهذه الحقيقة السابق الإشارة إليها ، وهى أنه إنما يكتب لغير المتخصصين من القراء .. والكاتب العلمى فى مجال التبسيط درجات ، ومنهم من وهب المقدرة على شرح المادة العلمية الصعبة بطريق سهلة تعرف طريقها إلى الأذهان .

ثالثا : اصطناع القوالب الأدبية - كلما أمكن ذلك - فى التعبير عن المادة العلمية .. ومن هذه القوالب - على سبيل المثال - قالب القصة ، وبها يستطيع الكاتب أن يحيل هذه المواد العلمية الجافة ، إلى قصص حية يحس

(١) كارل وارن / كيف تصبح صحفيا - ترجمة عبد الحميد سرايا ص ٢٦٠ .

فيها القارىء كائنها تتكلم وتتحرك ، أو كأن الحقائق العلمية ذاتها أشخاص تذهب وتحبى وتؤدى أدوارها المنوطة بها كأحسن ما يكون الاداء .

رابعا : ربط المعلومات الطريفة التى يأتى بها الكاتب العلمى فى مقاله بحاجة من حاجات القراء ، أو رغبة من رغباتهم ، حتى ولو كانت هذه النزعة مجرد التأمّل فى قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، وكثيرون من القراء تحفزهم هذه النزعة إلى القراءة .

خامسا : عدم طغيان الصفة الذاتية على الصفة الموضوعية ، وإن كان ذلك لا يمنع من وجود مسحة ذاتية صريحة ، تبث فى المقال شيئا من الحيوية والاشراق فى الصحف المصرية :

ومهما يكن من شىء ففى مجال المقال العلمى تتنافس الصحف بشتى أنواعها على تثقيف القارىء بشتى صنوف المعارف العلمية . ومن أجل هذا كان للصحافة المصرية منذ نشأتها عناية كبيرة بالمقال العلمى الذى يهدف إلى تزويد القراء بالمعلومات فى شتى ألوان المعرفة .. فقد عنيت بالمقال العلمى صحف : الوقائع المصرية ، وروضة المدارس ، ووادى النيل ، وروضة الاخبار ، ويعسوب الطب ، ومصباح الشرق ، والمؤيد واللواء ، والأهرام ، والجريدة ، وغيرها .. ومازال اهتمام الصحافة المصرية مستمرا بهذا الفرع من المقالات العلمية الى الآن .. ولكن من الحق أن يقال ان من أكثر المجلات المصرية اهتماماً بالمقال العلمى كانت مجلات : المقتطف ، والهلل ، والرسالة ، والثقافة ... غير أن أكثرها تفوقاً فى هذا المجال كانت مجلة المقتطف بالذات .. ثم تليها مجلة الهلال التى انشئت عام ١٨٩٢ ، ومازالت تخدم العلم والثقافة والأدب الى اليوم ... فقد اعتادت (الهلال) أن تنشر فى كل عدد مقالا علمياً طريفاً فى مجال الموضوعات العلمية الدقيقة ، وكثيرا ما تنقل تلك المقالات اما عن كتاب معروف فى الأوساط العلمية ، وإما عن إحدى المجلات الأجنبية .. وقد يكون المقال من تأليف كاتب من العلماء فى مصر أو عضو من أسرة تحريرها ..

نموذج من مجلة الهلال :

وفيما يلي نقدم نموذجاً لمقال علمي بقلم الدكتور محمد رشاد الطربسي بكلية العلوم بجامعة القاهرة منشور في مجلة (الهلال) بالمعد الخامس من المجلد الثامن والخمسين بعنوان (الأذن السحرية) وقد ربط الكاتب مقاله بالأوضاع السائدة التي تدخل في إطار اهتمام القراء قال الكاتب في مقالة :

" كلما اكفهر جو السياسة الدولية ، وتلبدت فيه الغيوم مثيرة باحتمال وقوع الحرب ، نشطت السلطات المختصة في كل دولة لتجنيد الرجال العسكريين والعلماء معاً ، والواقع ان تجنيد العلماء للبحث والاختراع لا يقل أهمية من الوجهة الحربية عن تجنيد العسكريين ، وما زالت معركة بريطانيا الجوية ماثلة في الأذهان ، إذ جند الألمان ما لا يحصى عدده من الطائرات لكي يقضوا على إنجلترا القضاء الأخير . ولكنهم لم يستطيعوا أن يكسبوا تلك المعركة رغم استعدادهم الضخم الرهيب ، واحكامهم وضع الخطط لتتفيله ، وما كان فشلهم غير المنتظر إلا نتيجة اختراع (الرادار) أو (الأذن السحرية) الذي استطاع الانجليز بها معرفة الطائرات المعادية قبل وصولها ، وبذلك فُتدت هذه الطائرات عنصر المفاجأة .

ويضع المختصون آمالهم الآن في جهاز (الرادار) لدرء خطر القنبلة الذرية التي ينتظر أن تكون هي السلاح الأول في أية حرب قادمة . وللرادار جهاز لاسلكي يبعث موجات لاسلكية قوية يسيرها بسرعة عظيمة في اتجاه محدد ، فإذا اصطدمت هذه للموجات بجسم صلب ، كطائرة تشق عتار السماء أو باخرة تمخر عباب الماء ، اتمكست وعادت إلى الرادار ثانية ، وبمعرفة الزمن الذي استغرقته في ذهابها وعودتها ، يعرف موقع الطائرة أو الباخرة ، وتعرف للمسافة بينهما وبين محطة الرادار .

ومن المدهش أن الخفاش أو (الوطواط) سبق إلى أسلوب جهاز الرادار منذ أزمنة بعيدة ، وقام باستخدامه بنجاح عجيب قبل أن يدرك الانسان من أمره شيئاً . فالمعروف أن الخفاش يختفي بالنهار ، فإذا أقبل الليل خرج للبحث عن الغذاء ، طائراً بسرعة كبيرة في الظلام الحالك ، دون أن يصطدم بتاتاً بالأشجار أو بالأبنية التي تعترض طريقه . وكثيراً ما يخترق الغابات الكثيفة التي تمتلئ بالأشجار المتقاربة ، والأغصان المتشابكة ، فيمرق بينها مروق السهم في سهولة وأمان !! .

وقد كانت هذه الظاهرة العجيبة - ونعني بها نحاشي الخفاش تلك السمات المتقاربة وعدم اصطدامه بها - مما أثار دهشة الباحثين زمناً طويلاً ، لما ثبت من أنه لا يستطيع أن يراها في الظلام ، فهو إذن لا يعتمد في تجنبها على حاسة النظر ، بل هناك - ولا شك - حاسة أخرى هي التي تنير له السبيل ، وتجنبه الاصطدام بتلك العقبات .

وقام كثير من الباحثين بإجراء تجارب عدة أظهرت في وضوح تام أن الخفاش لا يعتمد على الإبصار في طريقه ليلاً ، فقد أحضر العالم (سبا لاتزالي) عدداً من الخفافيش وفقاً عيونها ، ثم تركها بعد ذلك تطير في الهواء ، فتبين له من حركتها للتوجه أنها لم تتأثر على الإطلاق بفقد الإبصار !! ووضع بعض الباحثين خفاشاً في غرفة كبيرة ، ولبت في جميع أرجائها أسلاكاً متقاطعة على شكل شبكة ، وعلق في تلك الأسلاك أجساماً صغيرة تدق إذا لمس أي جسم هذه الأسلاك ، ثم أطلقت أنوار الفلرة ، ووقف الباحثون في دكن منها لا يرون شيئاً ، ولكنهم يسمعون ويحسنون بما يجري فيها ، وظلوا كذلك حوالي نصف ساعة والخفاش يطير من مكان إلى مكان ، متقللاً بين فتحات تلك الشبكة دون أن لمس أي جزء فيها ، وكان في بعض الأحيان يقترب من وجوههم حتى ليحسن بحركة الهواء التي تدفعه الأجنحة . وحينما أضيئت الأنوار انقطع الخفاش عن الطيران .

ونراجع إلى أعمق مكان في الغرفة ، حيث قبع ساكناً لا يهدى أي حراكه .
وبهذا الباحثون يحللون حله الظاهرة بشتى التعميلات ، دون أن يهتدوا إلى الدليل الكافي الذي تدعمه التجارب والملاحظات العلمية ، وكان التعميل الذي قدمه العالم (هارتدج) سنة ١٩٢٠ أول تحليل امتساغه أغلب الباحثين ، وقد رجع فيه استخدام الحفاش مرجحات صوتية لا تدركها أذن الإنسان ، ثم أهدت الأبحاث الحديثة صحة هذا التعميل .

ولتفسير ذلك نقول : إن الأصوات المختلفة التي نسمعها تنتقل في الهواء على صورة موجات صوتية ، ويدرك الإنسان تلك الأصوات فور وصولها إلى طبلة الأذن ، ولا يستطيع أذنه أن يدرك من الأصوات إلا ما كانت اهتزازاتها تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ ألف اهتزازة في الثانية ، وهي تعرف " بالأصوات للسموعة " أما للوجات الصوتية التي تزيد اهتزازاتها على هذا فلا تدركها الأذن ، وقد أطلق عليها العلماء اسم " الأصوات فوق السمعية " .

والهت بعض العلماء الأمريكيين حديثاً أن الحفاش لا يصدر الأصوات المروفة التي نسمعها فحسب ، بل يصدر كذلك أصواتاً أخرى " فوق السمعية " كما اثبتوا أن في استطاعته سماع تلك الأصوات التي لا تدركها أذن الإنسان ، فهو يقوم بإصدار هذه الأصوات التي تنتقل في الهواء ، حتى إذا اعترض طريقها بعض العراقق كالأشجار وغيرها انعكست كما تنعكس أشعة الشمس على سطح مرآة ، فإذا ما وقعت تلك للوجات الصوتية للتمكسة على أذنه أصكته أن يدرك وجود تلك المعلقة . ويحتد الحفاش في تقليم المسافة التي بينه وبين السطح الذي يتمكن منه الصوت على الزمن الذي يستغرق الصوت في الحجاب إلى هذا السطح والعودة منه بعد انعكاسه حولاً ما يحدث تماماً في جهاز الرادار .

" ومن بين التجارب التي أجريت لأثبتت وجود تلك الأصوات الخاصة التي لا نسمعها ، أنهم وضعوا " ميكروفونات " بالقرب من الحفاش الطائرة ووصلوا هذه الميكروفونات بأجهزة دقيقة تقوم بتحويل الاهتزازات الصوتية التي لا نسمعها إلى اهتزازات كهربائية يمكن أدراكها بطريقة خاصة ، فاثبتت هذه التجارب أن الحفاش يصدر أصواتاً تتراوح بين ٣٠ و ٧٠ ألف اهتزازة في الثانية ، أي أنها فوق القدرة السمعية للأذن البشرية ، وفي الوقت نفسه قام هؤلاء العلماء الباحثون بلخص أذن الحفاش ، فظهر لهم أن لها من الميزات ما يجعلها قادرة على سماع مثل تلك الأصوات .

" ويقال إن الحاسة التي يتفادى بها الحفاش جميع الموجات التي تعترضه تتركز في لسانه . فقد لها الاعتماد إلى قطع عصب تحت لسانه فاكشفوا أنه يصدر أصواتاً يتعرف بها على الموجات التي أمامه بواسطة حركات لسانه .
" من ذلك نرى أن الطبيعة قد وضعت سراً من أدق أسرارها في مخلوق طفيف لا يكاد يميزه الإنسان ماخر جليده من تقدير وأعجاب ، فقد استخدم حله الطريقة المجيبة في كفاحة من أجل الحياة ، وتغلب على الصعوبات التي تعترض طريقة البناء الجيولوجي الذي يمارسه بحثاً عن الغذاء " .

* * * * *

وهكذا انتهى هذا المقال العلمي بعنوان (الأذن السحرية) في شرح نظرية من أدق نظريات العلم . وهي نظرية (الرادار) واستخدم الكاتب في مقاله هذا لغة سهلة تجنب فيها الاكثار من المصطلحات العلمية التي يشق فهمها على القارئ العادي ... وسرد في سبيل ذلك طائفة صالحة من التجارب التي قام بها العلماء ، وشرح هذه التجارب بأسلوب يمتاز بالوضوح والبساطة ، كما يمتاز بربط ما أشتمل عليه من المعلومات الطريقة بحاجة من حاجات القراء ، وهي الرغبة في السلام وغريزة من غرائزهم ، هي غريزة حب الاستطلاع ، وفي ذلك ما أغنى الكاتب عن استخدام سبيل (القصة) أو (الحوار) أو غيرها من الوسائل الأدبية التي تحيل تلك المادة الجافة إلى قصص حسية .

الملخ سنترال عظيم :

وهذا نموذج آخر لمقال علمي منشور في الصحافة الحديثة كتبه الدكتور مصطفى محمود في مجلة

الشباب بعنوان (الملخ سنترال عظيم) (١) قال فيه : من الثابت بالتشريح ان مخنا تضاعف في الحجم والوزن في العشرة ملايين سنة الاخيرة منذ جدنا الاول المزعوم " القرد البشرى " الذى كان يعيش في الترنسفال منتصب القامة .. وكانت نتيجة تضخم الملخ ان تضخمت الجمجمة معه على حساب الوجة الذى ظل يتضائل في المساحة كلما زحف الملخ عليه حتى لم يمد هناك مكان لضروس العقل (لان الملخ احتل مكانها) فاصبحت لا تثبت احيانا او تثبت بصعوبة ... ومع استخدامنا للشوك والسكاكين وطهى الطعام وتفضيل الملهيات والاملاهيات التى بلا مضغ فإن أسناننا سوف تنقرض ويأكلها السوس في المستقبل لقللة استعمالها وسوف تهبط من ٣٢ الى ٢٨ سنة ، هكذا يقول لنا العلماء إذا لم نكتشف وسيلة لحياتها وتشغيلها .

والسؤال الكثير .. هو لماذا تضخم حجم الملخ ؟

ولنعرف الجواب لابد ان نسأل أولا .. ماهو الملخ ؟

الملخ هو سنترال عظيم فيه اكثر من اربعة عشر الف مليون خط عصبى قادمة إليه من مختلف اماكن الجسد ، والعصب البصرى وحده فيه مليون خط عصبى قادمة اليه من العين .. وقس على ذلك باقى الاعصاب .

وكل هذه الخطوط تلتقى في الدماغ حيث يقوم الملخ بتحليل رسائلها والرد عليها بأجوبة وأفعال فورية بالإضافة إلى هذه الخطوط نجد الاف ملايين الخطوط الاخرى التى تقوم بدور الترابط في داخل السنترال نفسه بين مختلف المراكز حيث يقوم الملخ بدور آخر هو التفكير وبالإضافة أيضا إلى ردود الفعل التى يجيب بها على كل صنوف التنبيهات .

والحواس الهامة في الملخ لها مراكز محددة وسنترالات أصغر خاصة بها . فالمركز البصرى يقع في مؤخرة الدماغ ، ومراكز اللمس والسمع على الجانبين ، ومراكز الحركة في المنتصف ، ومراكز التوازن أسفل الدماغ في فصوص صغيرة خاصة بها اسمها " المخيخ " ومراكز التنفس والدورة الدموية في أعلى الجبل الشوكى عند اتصاله بالملخ ، أما التفكير والخيال والتصور والذاكرة وإدراك المستقبل والإحساس بالكيان والتدبر والمزم والتخطيط فلها فص امامى حائل (خلف الجبهة) خاص بها ولا مثيل له في الحيوان . وهكذا كل نشاط له مركز خاص ، حتى العاطفة والغريزة والجنس والله والنوم لها مراكز .. وفى كل مركز ملايين الخلايا ساحرة كموظفى السويتش في حالة بقطة دائمة يجيب وتستجيب لأدق الهمسات العصبية .

وفى كل لحظة تتدفق الآن ملايين الإشارات والرسائل العصبية من الجلد والعين والأذن والاذن والاكف ومن الأحشاء ومن القلب ومن الاوعية الدموية والكبد والرئتين وكل مكان بالجسد ، حاملة المعلومات والتنبيهات إلى الملخ ، هذا بالإضافة إلى خطوط الترابط الداخلية في الملخ نفسه بين المراكز المختلفة ، وهى الخطوط التى تقوم بالتنوير الضرورى بين مختلف المراكز .

(١) مجلة الشباب العدد (٢٢٨) بتاريخ يوليو ١٩٩٦ ص ٢٥ .

وفى نفس اللحظة تحمل ملايين الخطوط العصبية الصادرة عن المخ ردود الأفعال على هذه التنبيهات على شكل أوامر بالحركة إلى العضلات وتعليمات بالإفترار للعند المختلفة وإشارات باتخاذ إجراءات سلوكية معينة لكل عضو هذا النشاط للعقد هو عمل المخ ودوره .

ولهذا كان ازدياد حجم المخ هو الاستجابة الطبيعية لضغط العمل للتزايد عليه .. تماما كما ننشئ سنترالا كبيرا من ٨٠ ألف خط بدلا من السنترال القديم ذى العشرة آلاف خط نتيجة تزايد الضغط وكثرة عدد المشتركين فى منطقة السيدة زينب مثلا.

وفى بدء الخليقة حينما كان الكائن الحى خلية واحدة وكانت أغراضه بسيطة .. كانت المادة الحية ذاتها تقوم بالاستجابة فتتنقبض الخلية مبتعدة عن الخطر بدون حاجة إلى جهاز عصبى . ولكن بنشأة الكائن الحى المتعدد الخلايا والواقع النشاط تخصصت بعض الخلايا فى نقل إشارات الخطر ، وكانت هذه الخلايا هى بداية المخ .. ويعتمد الكائن الحى وتعدد وظائفه وأغراضه ونشاطاته ، ازدادت الخطوط فى هذا المخ البدائى قهرا بزيادة فى الحجم (تماما كما يحدث أن تستعمل عضلات ذراعيك بإسراف فى رفع الأثقال فتتضخم هذه العضلات) .

وكانت هناك دواع كثيرة لأن يكون للقرود البشرى ومن بعده الإنسان أكثر اجناس الحيوان أغراضا ونشاطا ، وبالتالي لأن تكون هناك دواع أكثر لكى يتضخم ذلك الجهاز الخاص الذى يهيمن على تلك الأغراض .. فالإنسان كان أطول الحيوانات عمرا (لافترقه فى هذا العمر إلا بعض السلاحف وبعض أنواع الأشجار) وهو أيضا يمتلك أطول فترة حضانة وطفولة وشباب (بين سنتين سنة متوسطة عمرة يقضى أربعين سنة فى الحضانة والطفولة والشباب) وطوال هذه المدة يتعلم ويجمع الخبرات والمهارات ، وبالتالي يحتاج إلى نشاط عصبى لمزاولة هذه الخبرات وتخزينها .

ثم انفراد الإنسان بعد ذلك بنشاطات خاصة معقدة .. مثل استخدام الأدوات (منذ مليون سنة) . واختراع الكلام والتفاهم ، والحياة فى أسرة ومجتمع . واكتشاف النار وتسخيرها (منذ نصف مليون سنة) ، ثم صراع مستمر مع عصور جليدية متعاقبة منذ مليون سنة مضت إلى عشرة آلاف سنة . ثم ممارسة الفزاعة وتربية الحيوان . وممارسة الصناعة . والاشتغال بالعلوم والرياضيات البحتة والفنون والفلسفة (ظهر الرسم منذ ثلاثين ألف سنة) . ثم إدراك الموت وما أثاره من إيهامات ومابعثه من خيال . كل هذه الخبرات كان معناها أن يتضخم الجهاز الخاص بها وهو المخ . وما يدل على أهمية الخبرات وصلتها بالمخ والذكاء أن الموت مخه أكبر من مخ الإنسان وأكثر منه تجاعيد ، ولكن مرتبة الموت من الذكاء والعقل أقل من الإنسان بكثير لأن المسألة ليست تضخما فى المخ فقط وإنما هى تضخم مصاحب فى الخبرات والمهارات أيضا ...

والنتيجة هى انفراد الإنسان بشخصية مختلفة عن أسلافه الحيوانات .. فهو وحده الذى يستطيع أن يتصور ويتخيل ويتدبر ، وبالتالي يدرك بعدا زمنيا شاملا للماضى والحاضر والمستقبل وسال عن الموت ومابعده ، أما اذكى القردة فإنه لا يستطيع أن يتخيل ولا أن يدرك شيئا اسمه مستقبل ، وإدراكه لماضى محدود ، فهو يحزن لأنه الميت طالما أنه يراه أمامه ، فإذا اختلعه من أمامه ودفنته فإنه ينسى أمره تماما إن الذاكرة بمعناها العميق الشامل الباقى شئ لا يملكه إلا الإنسان . وكانت نتيجة غر الذاكرة عند الإنسان أنه استطاع أن يخزن الخبرات والمهارات والمعارف ، ويستفيد بها فى الحكم والتفكير والسلوك .

وربما كانت وسيلة اللخ الى الذاكرة هي ملايين الخطوط والكابلات العصبية التي اسمها خطوط الترابط التي تربط مختلف المراكز بعضها ببعض .

وفي النهاية فإن ما يهدف إليه الإنسان بأعمال اللخ والفكر شيء أكثر من مجرد تكلميس للعارف وتحقيق المصالح الميورية العاجلة والتكيف مع بيئة متغيرة .. انه يهدف الى ما هو أخطر من هذه الغايات القريبة . إنه يحاول أن يفهم . إن أرقى وظائف العقل هي محاولته الدائبة لربط الظواهر حوله في علاقات منسقة لاستنباط القوانين الحاقية وراسها ولمعرفة النظام الكامن في الاشياء واكتشاف السبب والعلل والمعنى .. وفي كلمه واحدة الفهم . أن يفهم معنى كل هذا .

ولكن التفكير للنفع قبل الفهم مازال هو الغالب ومازال يقعد بالعقل عن بلوغ اسمى اهدافه .. إننا نفكر للكسب ونفكر للحرب ونفكر في سبيل المزيد من السيطرة والنفوذ والقوة والمادية ... ولا نفكر لفهم أنفسنا وأزمنا الحقيقية .. والنتيجة ان الانسانية تخطر إلى خرابها دون أن تدري . فالإنسان الذي امتلك القنبلة الذرية ورعى لنفسه عضلات من فولاذ مازال طفلاً أنانياً في عواطفه وقرداً بدائياً في أخلاقه .. إنه لم يرتفع إلى مستوى القوة والمسئولية التي بلغها .

وهو لا يفهم هذا لأنه لا يستعمل عقله ليفهم وإنما ليرى مزيداً من القوى للمادية وليقع أكثر وأكثر في ذلك التناقض القتال بين قوته وخلقه .. وهو يقترب شيئاً فشيئاً من ساعة الصفر حينما لا يعود الفهم مجدياً .

لقد تكيفت الطيور والحشرات مع ظروفها المتغيرة واستطاعت أن تعبر العصور الجليدية في سلام ولكننا لا يبدو أننا نتكيف مع هذه القوة التي تنمو بسرعة مذهلة في أيدينا ، لأننا لا نحاول أن نفهم أنفسنا .

وبين لحظة وأخرى قد تلح الواقعة ويغشى جنسنا في حرب مدمرة ونصبح مجرد صفحة في تاريخ وحفريات يتقرب عنها الجنس الذي يأتي بعدنا في ثانيا الصخور .. الا يجب أن نتوقف لحظة لنحاول أن نفهم أنفسنا .. " [انتهى المقال] .

أنواع المقال العلمي :

ومثل تلك المقالات كثير من الكتابات العلمية التي يسمى فيها الكتاب الى تبسيط العلم ، وتقريبه إلى أذهان عامة القراء سعياً وراء الغاية التي تهدف اليها الصحافة وهي تثقيف القارئ بمختلف الثقافات ، وتزويده بشئى المعلومات .

وتتنوع المقالات العلمية بتنوع العلوم ذاتها وما أكثرها ، غير أن أشهر ما عنت به الجرائد والمجلات المصرية الى الآن من أنواع المقال العلمى ما يلي : ١ - المقالة النقدية : ومن أشهر كتابها العقاد والمازنى وطه حسين .

٢ - المقالة الفلسفية : ومن أشهر كتابها أحمد لطفى السيد ، والدكتور منصور فهمى ، والدكتور زكى نجيب محمود .

٣ - المقالة التاريخية : وهى كثيرة الورد فى الصحافة المصرية ، ولها كتاب عديدون .

٤ - المقالة العلمية : ومن أشهر كتابها الدكتور صروف ، والدكتور احمد زكى والدكتور مصطفى محمود وغيرهم .

٥ - المقالة الاجتماعية : وكتابها كثيرون أيضا فى الصحف فى الوقت الحاضر وكل ذلك تنشره المجلات أكثر مما تنشره الجرائد اليومية .

* * * * *

وإلى هنا ينتهى حديثنا عن المقال العلمى وأنواعه .. وننتقل إلى الحديث عن القسم الثالث من أقسام المقال وهو القسم الخاص بالمقال الصحفى وأنواعه .. وهذا ما نتناوله فى الفصل التالى:

* * * * *
* * * * *
* * *
* *
*

الفصل الرابع

المقال الصحفي وأنواعه

اعتاد الباحثون في الفن الصحفي ، على أن يشبهوا المقال الصحفي بعقل الانسان ، ومعنى ذلك أن مهمة المقال في الصحيفة كمهمة العقل سواء بسواء .. والعقل البشرى هو القادر على تفسير المحسوسات ، وشرح المؤثرات وتحليلها ، وربط الاحداث بعضها ببعض ، ولذلك فان كاتب المقال له أن يستنبط أو يدخل في موازنات ، ليخرج في النهاية بالقدر من الصواب ، الذي يرشد ويرجه القراء والرأى العام الوجهة الصحيحة .

والمقال الصحفي ، هو الأداة الصحفية التى تعبر بشكل مباشر ، عن سياسة الصحيفة ، وعن آراء كتابها سواء كانوا من جهازها الصحفي أو من خارجها فى الاحداث اليومية الجارية ، وفى القضايا التى تشغل الرأى العام . يقوم المقال الصحفي بهذه المهمة من خلال شرح الاحداث الجارية ، وتفسيرها والتعليق عليها ، بما يكشف عن أبعادها ، ودلالاتها المختلفة . كذلك فانه نى بعض الحالات يمكن أن يطرح كاتب المقال فكرة جديدة ، أو تصوراً مبتكراً ، أو رؤية خاصة تشكل فى حد ذاتها قضية تشغل الرأى العام ، وخاصة اذا كانت تمس مصالح القراء ، أو تثير اهتمامهم لأى سبب من الأسباب . وبصفة عامة فان الصحافة الحديثة أصبحت موسوعية فى اهتمامها ومقالاتها ، حيث انها تغطى السياسة والاقتصاد والاجتماع ، والفن ، والادب ، والثقافة ، والرياضة وغيرها (١)

(١) فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٧٩ وكذلك دراسات فى الفن الصحفي - مرجع سابق ص ٢٠٦ .

أولاً : وظائف المقال الصحفي :

مما تقدم تتضح لنا وظائف المقال الصحفي ، وهي عديدة من أهمها مايلي (١) .

(١) الاعلام : وذلك بتقديم المعلومات ، والأفكار الجديدة عن الأحداث أو القضايا ، أو المشكلات التي تشغل الرأي العام . ولكن ليس معنى ذلك أن يكون الاعلام هو الغرض الأول من أغراض المقال الصحفي ولا ينبغي أن يهدف الى تحقيق سبق الصحفي .

(٢) الشرح والتفسير : وذلك عن طريق شرح الأخبار ، وتفسير الصلة التي بينها وبين الأفراد والمجتمعات ، والتعليق على هذه الأخبار بما يوضح للقراء مغزاها وأبعادها ، وجوانبها المختلفة ، وخاصة بالنسبة للقارئ العادي الذي تشرح له أموراً يصعب عليه فهمها ، لعدم امتلاكه للوقت والقدرة الكافية لمعرفة التفاصيل المعقدة للحوادث اليومية .

(٣) التوجيه والارشاد : وذلك على أساس من العلم والمعرفة التامة بموضوع التوجيه ، وإيراد الشواهد القوية من واقع الحياة ، ويمكن لكاتب المقال ، وخاصة في الصحف الكبرى أن يوجه السياسة العامة ، لكي تتبعها دولته .

(٤) التثقيف : وذلك عن طريق نشر المعارف الإنسانية المختلفة .

(٥) الدعاية السياسية : وذلك بنشر سياسة الحكومات والأحزاب ، ومواقفها المختلفة من قضايا المجتمع .

(٦) تعبئة الجماهير : وذلك لخدمة نظام سياسي ، أو اجتماعي معين ، أو للمساهمة في التنمية الوطنية وغيرها .

(٧) تكوين الرأي العام : وذلك عن طريق التأثير على اتجاهاته سواء بالسلب أو الايجاب في القضايا المختلفة ، وحض القراء على اتخاذ قرارات مباشرة تجاه قضايا معينة .

(١) المرجع الأول السابق ص ١٨٠ وكذلك المدخل في فن التحرير الصحفي مرجع سابق ص ٢٨٤ .

(٨) التسلية والامتناع : وهذا الأمر تحققه المقالات الترفيهية ، أو الضاحكة ، أو الساخرة ، أو المقالات المسلية الطريفة التي تستأثر باهتمام القراء ، وتجذب التفاتهم .

ثانياً : لغة المقال الصحفي :

والمقال الصحفي له لغته الخاصة ، ذلك الأسلوب الذى وصفه الكاتب الانجليزى ديفو بقوله : " اذا سألتنى سائل عن الأسلوب الذى اكتبه ، قلت انه الذى اذا تحدثت به الى خمسة آلاف شخص ، من يختلفون اختلافاً عظيماً فى قواهم العقلية - عدا البله والمجانين - فأنهم يفهمون ما أقول " (١) .

وعلى ذلك فالمقال الصحفي ينبغي أن يكتب بلغة الحياة العامة ، أى لغة القارئ العادى ، التى يفهمها اكبر عدد ممكن من القراء ، مهما اختلفت أذواقهم وأفهامهم ، وبيئاتهم ، ومستوياتهم التعليمية والثقافية والاجتماعية .. وهذه اللغة تمتاز بالسهولة والبساطة والوضوح . وهذا لايعنى أن تكون لغة المقال الصحفي هى اللغة العامية ، وإنما يجب أن تكون لغة عربية فصحة سليمة تمتاز بالبساطة والوضوح والايناس واللفظ والرشاقة . وتبتعد عن صفات التعالى على القراء ، أو الغرابة فى الأسلوب ، أو المبالغة فى التعمق الذى لا تقبله طبيعة الصحف (٢) .

ثالثاً : انواع المقال الصحفي :

والمقال الصحفي أنواع مختلفة أخذت تتطور حتى صار كل منها يشكل فناً صحفياً مستقلاً بذاته ومنها : المقال الافتتاحى ... والعمود الصحفى .. واليوميات ... والمقال التحليلى وغيرها .. ونتناول كل نوع من تلك الأنواع السابق ذكرها فى مبحث مستقل من المباحث التالية، الى جانب تخصيص مبحث أخير بعنوان (الاسمية واللا اسميه فى الصحافة) فيما يتعلق بتوقيع الكتاب على مقالاتهم من عدمه ..

(١) للدخل فى فن التحرير الصحفى ، مرجع سابق ص ٢٢٣ وكذلك دراسات فى الفن الصحفى ، مرجع سابق ص ١٩٧ .

(٢) المرجع الاول السابق ص ٢٨٩ وكذلك فى الكتابة الصحفية / مرجع سابق ص ١٨١ .

المبحث الأول

المقال الافتتاحي

Leading Article - Editorial Article

يعتبر المقال الافتتاحي أهم فنون المقال الصحفي ، وهو المقال الرئيسي للصحيفة ويطلق عليه الانجليز والأمريكيون "Leading Article" أو "Editorial Article" .

والتعبير الأول يجوز ترجمته - كما يقول رشدي صالح (١) - بأنه " المقال القائد " أو المقال المقدم على غيره فنفس التعبير يعنى السلعة الجيدة رخيصة الثمن فتتقدم غيرها من السلع من حيث الرواج ، غير أن كلمة (Lead) كاسم تجرى فى الاستعمال الصحفى بمعنى مقدمة الخبر ، أى أنها ذلك الجزء من الخبر الذى يتقدم غيره من حيث تصنيف أجزاء الخبر ، ومن حيث الدلالة عليه . وكلمة (Editorial) تنتسب الى المحرر (Editor) ، لأنه من المفترض أن رأى الصحيفة يقوله رئيس التحرير أو يكتبه ، نظراً لمسئولية ومعرفة بسياستها وتمثيله لها .

ويقال (Editorial) هى مقال يكتبه رئيس التحرير يعبر فيه عن رأى الصحيفة ، وقد يكتبه بنفسه ، أو بكل كتابته الى غيره من كبار كتاب الصحيفة ، أو عن يثق فيهم ، لكن تحت مسئوليته ، أو تحت مسئولية أصحاب الصحيفة . لأن الافتتاحية هى صوت الصحيفة كمؤسسة ، وهى منسوبة الى الصحيفة التى يمثل قمة تحريرها رئيس التحرير ، وهذا المقال لا يوقع بأسم كاتبه حالياً ، لأنه يمثل - كما قلنا - رأى الصحيفة لا رأى كاتبه ولو كان رئيس التحرير .

(١) جلال الدين الحماصى / الصحيفة للقالبة (القاهرة - دار المعارف ١٩٧٢) ص ٢١٠ و ٢١١ وكذلك فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٨٤ .

والمقال الافتتاحى يقوم على شرح وتفسير أهم الأخبار ، والأحداث اليومية البارزة ، والتعليق عليها بما يكشف عن سياسة الصحيفة تجاه تلك الأخبار ، والأحداث ، والقضايا الجارية ، سواء على الصعيدين المحلى والعالمى . ويربط بين القراء والصحيفة من ناحية ، وبالأحداث الجارية من ناحية أخرى كما يدفع القارئ الى المشاركة فى مواجهة القضايا والمشكلات التى تهم المجتمع (١) .

ويعتمد نجاح المقال الافتتاحى الى حد كبير ، على اختيار الموضوع الذى يكون حديث الساعة ، ويهم القراء . وقد يسهل مهمة اختبار الموضوع ذلك الاجتماع الذى يعقده مجلس التحرير فى الصحيفة كل يوم ، لتحديد الموضوع المقترح للمقال الافتتاحى ، ويعهد بكتابته الى المتخصص فى ذلك المجال .. وأحيانا يتسرك لكاتب المقال الافتتاحى حرية اختبار الموضوع الذى يعتقد أنه أكثر أهمية بالنسبة للقراء ، بشرط ألا يتعارض مع سياسة الصحيفة (٢) .

ومن ثم فإن كاتب هذه المادة الصحفية ، يجب أن يكون سريعاً فى تفكيره ، سريعاً فى تعبيره عن رأى الصحيفة فى الأحداث والقضايا الهامة الجارية ، ويجب عليه دائماً أن يكون واسع الاطلاع ، قادراً على ربط الحاضر بالماضى ، متصلاً على الدوام بشتى الصحف والدوريات ، وعلى صلة دائمة بالصفوة المختارة من العلماء ، والأدباء ، والمفكرين فى عصره . ويمكن فى بعض الأحيان أن تكل الصحيفة الى أحد هؤلاء الصفوة المختارة كتابة المقال الافتتاحى فى المجال الذى تخصص فيه مادام يتفق مع سياستها ويعبر عن رأيها . ثم انه لاغنى لكاتب المقال الافتتاحى فى أحيان كثيرة عن " الأرشيف الصحفى " يرجع اليه كلما أراد الوقوف على الحوادث السابقة والشواهد الماضية ، ويفيد منه فى تقوية المقال . وتكون محتويات الأرشيف الصحفى فى المجال الذى يدور حوله المقال الافتتاحى ، أشبه شئء بالوثائق والشهود على صدق مايقول (٣) وغالباً لا تزيد مساحة المقال الافتتاحى عن عمود ، أو

(١) المرجع الثانى السابق ص ١٨٣ .

(٢) محمود فهمى / الفن الصحفى فى العالم (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٤) ص ١٣٤ .

(٣) المدخل فى فن التحرير الصحفى مرجع سابق ص ٢٩٠ و ٢٩١ .

نصف عمود ، بعد أن كان يحتل قبل الحرب العالمية الثانية مساحة صفحة كاملة ، وأحياناً أكثر عندما كانت الصحافة ماتزال صحافة رأى ، وكان فى تلك الفترة الماضية يحتل الصفحة الأولى من الجريدة ، ثم تراجع فى الصحافة المعاصرة الى الصفحات الداخلية ، وخاصة صفحة الرأى . وقد يكون فى هذا العمود مقال افتتاحى واحد حيناً ، أو مقالان أو ثلاثة حيناً آخر . وقد عمدت الصحافة الحديثة الى كتابة المقال الافتتاحى على هذا النحر ، لكى تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الأخرى التى لم تكن تعرفها الصحافة القديمة ، أو كانت معرفتها بها قليلة ^(١) .

وكان للمقال الافتتاحى - فى غير هذه الأيام التى نعيشها الآن - شأن عند جميع الأمم الناهضة ، أكبر من شأنه فى الوقت الحاضر . بل ان المقال الافتتاحى كان ينظر اليه دائماً على أنه الاداة الأولى للتقدم ، والوسيلة الوحيدة للإرشاد ، والطريق الصحيح للأخذ بيد الأمة ، التى تريد لنفسها صيانة الشعب من جميع المؤثرات الضارة به ، وبأفكاره ، وتقاليده مادام فى صيانتها صمام الأمن والسلامة من هذه الأضرار .

وهناك من يقلل من أهمية المقال الافتتاحى فى الصحف المعاصرة ، بحجة أن غالبية القراء لا يقبلون على قراءته . وفى احصاء قام به معهد جالوب (Gallub) بأمريكا ظهر أن ١٩ ٪ فقط من الرجال و ١٠ ٪ فقط من النساء يعنون بقراءة المقال الافتتاحى ، وفى بحث للأمريكى روبرت راند Robert Rand حول دراسة لميول القراء بالنسبة لموضوع المقال الافتتاحى لثلاثين صحيفة أمريكية ، خسر الباحث بأن قراء المقال الافتتاحى لا يتجاوزون ٨ ٪ و ١٨ ٪ وأن ٩ ٪ و ٧٨ ٪ منهم يلقون نظرة عجل على المقال دون قراءته من أوله لآخرة . ويتوقع بعض العرب المختصين بشئون تدريس الصحافة بأن نسبة قراء المقال الافتتاحى فى العالم العربى لن تزيد على ٥ ٪ على أكثر تقدير إذا تم اجراء بحوث لقياس ميول القراء العرب ، ورغبتهم فى قراءة المقال الافتتاحى (٢) .

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٠٤ وكذلك فى الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٨٥ .

(٢) المدخل فى فن التحرير الصحفى - مرجع سابق ص ٣٠١ و ٣٠٢ .

وقد يكون التقليل من أهمية المقال الافتتاحي صحيحاً ، بالنسبة للصحف عديمة الأهمية ، ولكن المقال الافتتاحي يقرأ بعناية من جانب غالبية القراء بالنسبة للصحف المؤثرة فى رأى العام ... وان افتتاحيات صحف مثل التايمز اللندنية ، والنيويورك تايمز الأمريكية واللويموند الفرنسية ، يقبل عليها القراء لأنهم يعرفون مدى تأثيرها على الحكومة والرأى العام فى الوقت نفسه ، وكثيراً ما استطاعت إفتتاحيات هذه الصحف ، أن تفرض على الحكومة تغيير سياسات ، أو قرارات معينة ، أو تفرض عليها تبنى مواقف معينة ، سواء فى السياسة الداخلية ، أو السياسة الخارجية (١) .

أولاً : خصائص المقال الافتتاحي

يتميز المقال الافتتاحي بعدة سمات خاصة يعرف بها ، وخصائص فنية تتوافر له ، ومن بينها مايلى (٢) .

(١) التعبير عن سياسة الصحيفة والثبات على التعبير عن هذه السياسة ، سواء كانت هذه الصحيفة مستقلة ، أو تابعة لحزب من الأحزاب ، أو معبرة عن اتجاه سياسى ، أو اجتماعى ، أو فكرى فى البلد الذى تصدر فيه . ولذلك يراعى فى المقال الافتتاحي ألا يكون ملئاً بتوقيع كاتبه ، لأنه مقال منسوب الى الصحيفة بوصفها هيئة من هيئات الاعلام ، لها سياستها وهدفها من وراء هذه الاعلام . ومادام كاتب المقال الافتتاحي لا يعبر عن رأيه الشخصى ، بل يعبر عن رأى الصحيفة ، فان عليه أن يتوخى الحذر والحيلة فيما يكتبه باسم الصحيفة ، حتى لا يعرضها للخطر .

(٢) التبسيط فى الحديث : ومعنى ذلك أن حديث الكاتب فى المقال الافتتاحي ، لا يجوز أن يأتى عن طريق الاستعلاء ، الذى يحسن به

(١) فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٣ و ١٨٤ وكذلك للدخل فى فن التحرير الصحفى مرجع سابق ص ٢٩٢ و ٢٩٥ .

القارىء عند القراءة ، بل ينبغي أن يأتى عن طريق شعور الكاتب والقارىء معاً بأنهما صديقان ، يتحدثان حديثاً يهم كل واحد منهما بقدر ما يهم الآخر ، وليس المقال الافتتاحى فى الواقع إلا محاولة هادئة لجذب القراء ، وأشعارهم بأنهم شركاء فى حل المشكلات العامة (٣) متابعة الأحداث اليومية ، والاهتمام بالقضايا التى تهم الرأى العام وتشغل أذهان القراء ، سواء فى النطاق المحلى أو الدولى .

(٤) إبراز الخلفية التاريخية للأحداث والقضايا التى يتناولها المقال الافتتاحى بالشرح والتفسير ، واقتناع القارىء بالقضية أو الرأى الذى تنادى به الصحيفة ، بما يقدمه الكاتب من حجج منطقية ، وأدلة كافية ، وشواهد وأمثلة مشتقة من الأحداث الجارية فى الحاضر ، والتى جرت فى الماضى ، والتجارب الانسانية التى يختزنها الكاتب فى ذاكرته ، إما بطريق الممارسة أو بطريق الاطلاع . ولهذه الشواهد والأمثلة والأدلة حيز كبير فى المقال الافتتاحى ، وهى مجال واسع يتبارى فيه كتاب المقالات الافتتاحية ، وتظهر علمهم واطلاعهم ، ووقوفهم على التاريخ العام ، والتاريخ الخاص . ومهما يكن من شىء فلا ينبغي أن يحش المقال الافتتاحى بحقائق يزجج بعضها بعضاً ، أو تتراكم تراكما يحول دون فهم الرأى الذى بسطه الكاتب ، أو الفكرة التى كتب من أجلها المقال الافتتاحى .

(٥) الجودة الزمنية ، أو مساهمة المقال الافتتاحى للأحداث الجارية . ومعنى ذلك أنه ينبغي للمقال الافتتاحى أن يعالج موضوعات الساعة ومشكلات اليوم ، ويهتم بالافكار التى تشغل أذهان الناس وقت ظهور الصحيفة .

(٦) التوجيه والإرشاد ، على أن يختفى ذلك دائماً وراء أسلوب الكاتب . فلا ينبغي أن يكون فى شكل موعظة أو نصيحة ، أو أمر ، أو نهى ، أو تعليمات يلقى بها الكاتب من فوق منبر الصحيفة ، ليحاول أن يؤثر بذلك فى الرأى العام . فالمقال الافتتاحى له قيمة كبرى فى توجيه

القراء وفئات الرأى العام على اختلافها ، وأكثر مايكون ذلك وضوحاً بالنسبة للصحف الكبرى واسعة الانتشار ، أو بالنسبة للصحف ذات النفوذ لدى أهل النفوذ .

(٧) استخدام لغة سهلة مبسطة ، وأسلوب واضح محدد يتلامم وطبيعة قراء الصحيفة اللين تختلف مستوياتهم الثقافية والتعليمية .
(٨) التسلية والامتناع ، فلا يقتصر المقال الافتتاحى على المسائل الكبيرة وحدها ، بل يتناول كذلك بعض المسائل الخفيفة والموضوعات الطريفة .

ثانياً : صفات كاتب المقال الافتتاحى (١)

وإذا كان المقال الافتتاحى هو الذى يتقدم غيره من مختلف المواد الصحفية - كما سبق ذكره - فإن من يكتبره هم أيضاً من يتقدمون غيرهم من حيث التخصص ، والكفاءة والخبرة بسياسة الصحيفة - فرييس التحرير لم يعد هو المحرر الذى يكتب كل ما هو هام للغاية ، وإنما هو أهم من يقود زملاءه من المحررين القادرين على أن يكتبروا ما هو هام للغاية . ومعنى آخر لم يعد فى استطاعة رئيس تحرير صحيفة كبرى أن يكتب افتتاحياتها المتنوعة ، بل أصبح من واجبه أن يقود أكفأ كتاب المقال العاملين فى صحيفته ، الى كتابة الافتتاحيات حسب تخصصاتهم . وتأخذ معظم الصحف بنظام " مجلس تحرير الافتتاحيات " الذى يتألف من عدد من كبار المحررين ، وينعقد يومياً ، ويحدد الموضوعات التى تتناولها الافتتاحيات ، ليقوم كل كاتب أو محرر كفء ومتخصص ، بتحرير الموضوع الذى يقع فى دائرة تخصصه . ومن البديهي أن تتوفر بين أيدي هؤلاء ، أقصى الامكانيات من مراجع ودوريات وقصاصات ، ومعلومات ، وبيانات فى أرشيف الصحيفة ... الخ وقد قيل ان كاتب مثل هذا المقال يقضى ٩٠٪ من وقته فى القراءة ، والدراسة ، والاطلاع و ١٠٪ فى تحرير المقال .

(١) الصحيفة اللغالبية - مرجع سابق ص ٢١٤ و ٢١٥ وكذلك المدخل فى فن التحرير الصحفى مرجع سابق ص ٢٩٧ و ٢٩٨ .

وعلى أى حال فإن كاتب المقال الافتتاحى ، يجب أن يكون متمتعاً بعدة صفات هامة ، منها مايلى :

(١) أن يكون ذا حاسة صحفية دقيقة ، يتلوق بها الأحداث الجارية فى محيطه ، والأحداث الجارية فى خارج هذا المحيط ، وعلى قدر حظه من هذه الحاسة يكون نجاحه فى كتابة المقال الافتتاحى ، وخاصة إذا كان فى المجال السياسى .

(٢) أن تكون له حاسة تاريخية كذلك يستطيع بها ربط الماضى بالحاضر ، ويستطيع أيضاً توقع المستقبل . ومن ثم كان التاريخ عنصراً هاماً من عناصر ثقافة الصحفى .

(٣) أن يكون ذا ثقافة عريضة ، ولا بأس بأن تبدو عميقة فى بعض مواضعها ، وبذلك يستطيع الصحفى أن يقف على المعلومات التى تمكنه من الحكم الصائب ، والنظر الصادق ، والتوجيه السليم ، ولما يجدر ذكره فى هذا المقام - مع الأسف - أن أهم ما يميز الصحف الأجنبية عن بعض الصحف العربية ، صحيفة أجنبية عن الصحف العربية ، إنما هو صفة التخصص . . . فالمقال الافتتاحى فى صحيفة أجنبية ، إنما يكتبه رجل مختص فى نوع الموضوع الذى يخوض فيه المقال الافتتاحى ، فإن كان المقال اقتصادياً كتبه شخص اقتصادى ، وإن كان سياسياً كتبه شخص سياسى وهكذا . بينما أكثر الافتتاحيات فى الصحف العربية يكتب فور البديهة ، وكأنه رد فعل جاهز ، وفى معظم الحالات لاتعدو أكثر من سطور سطحية . . . وذلك أمر يدعو الى ضرورة إعادة النظر فى هذا الصدد .

(٤) وهو خلاصة ما تقدم من الصفات ، حيث ينبغى أن يكون كاتب المقال الافتتاحى ذا حاسة اجتماعية مرهقة ، أو قدرة بالغة على الانغماس فى المجتمع ، ومرهبة الحديث ، وغير ذلك من الخصال التى تمكنه من الوقوف على حقيقة الرأى العام . وكل ذلك مع مراعاة تامة لسياسة الصحيفة التى يكتب فيها .

ثالثاً : كتابة المقال الافتتاحي (١)

يصاغ المقال الافتتاحي على هيئة الهرم القائم أو المعتدل ، بمعنى أنه يتألف من ثلاثة أجزاء هي :

- (١) التقديم أو الفكرة المثيرة لاهتمام القارئ .
 - (٢) الحقائق والشواهد والأدلة المؤيدة للفكرة .
 - (٣) النتيجة أو الخلاصة التي يخرج بها القارئ .
- (١) : مقدمة المقال الافتتاحي : وهي تحتوى على مدخل يثير الانتباه الى أهمية القضية ، أو المشكلة ، أو الفكرة التي يدور حولها المقال . ويمكن أن تتضمن النقاط التالية :

- (١) عرض فكرة مثيرة لاهتمام القراء .
 - (٢) طرح قضية هامة تمس مصالح القراء .
 - (٣) إبراز خبر هام يشغل الرأي العام .
 - (٤) وصف مشكلة هامة صارت حديث الناس في المجتمع .
- وتقوم المقدمة بعدد من الوظائف منها :
- (١) تهيئة ذهن القارئ لموضوع المقال .
 - (٢) إعادة تذكير القارئ بالقضية أو المشكلة موضوع المقال . مع مراعاة عدم الاغراق في ذكر هذه التفاصيل .
 - (٣) جذب اهتمام القارئ ، ودفعه الى قراءة المقال عن طريق الطرح الجيد والشيق للموضوع .
- (ب) جسم المقال الافتتاحي : وهو الجزء الذي يحتوى على المادة الجوهرية في المقال . وقد يحتوى على النقاط التالية .
- (١) البيانات والمعلومات والحقائق الكافية عن الموضوع لاشباع رغبة القارئ .
 - (٢) الأدلة والحجج والأسانيد المنطقية ، التي تؤيد وجهة نظر الصحيفة .
 - (٣) الخلفية التاريخية للموضوع الذي يعالجه المقال .

(١) فن الكتابة الصحفية ، مرجع سابق ص ١٨٦ - ١٨٩ وكذلك للدخل في فن التحرير الصحفي ، مرجع سابق ص ٢٩١ وكذلك الفن الصحفي في العالم ، مرجع سابق ص ١٣٥ و ١٣٦ .

(٤) أبعاد للوضوع ودلالاته السياسية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية ، أو الفكرية ... الخ لاقتناع القارئ بموقف الصحيفة ، أو سياستها تجاه موضوع المقال .

(ج) خاتمة المقال الافتتاحي :

وهذا الجزء يتوقف عليه مدى اقتناع القارئ ، أو عدم اقتناعه بموضوع المقال ، وغالباً ما تظم الخاتمة النقاط التالية :

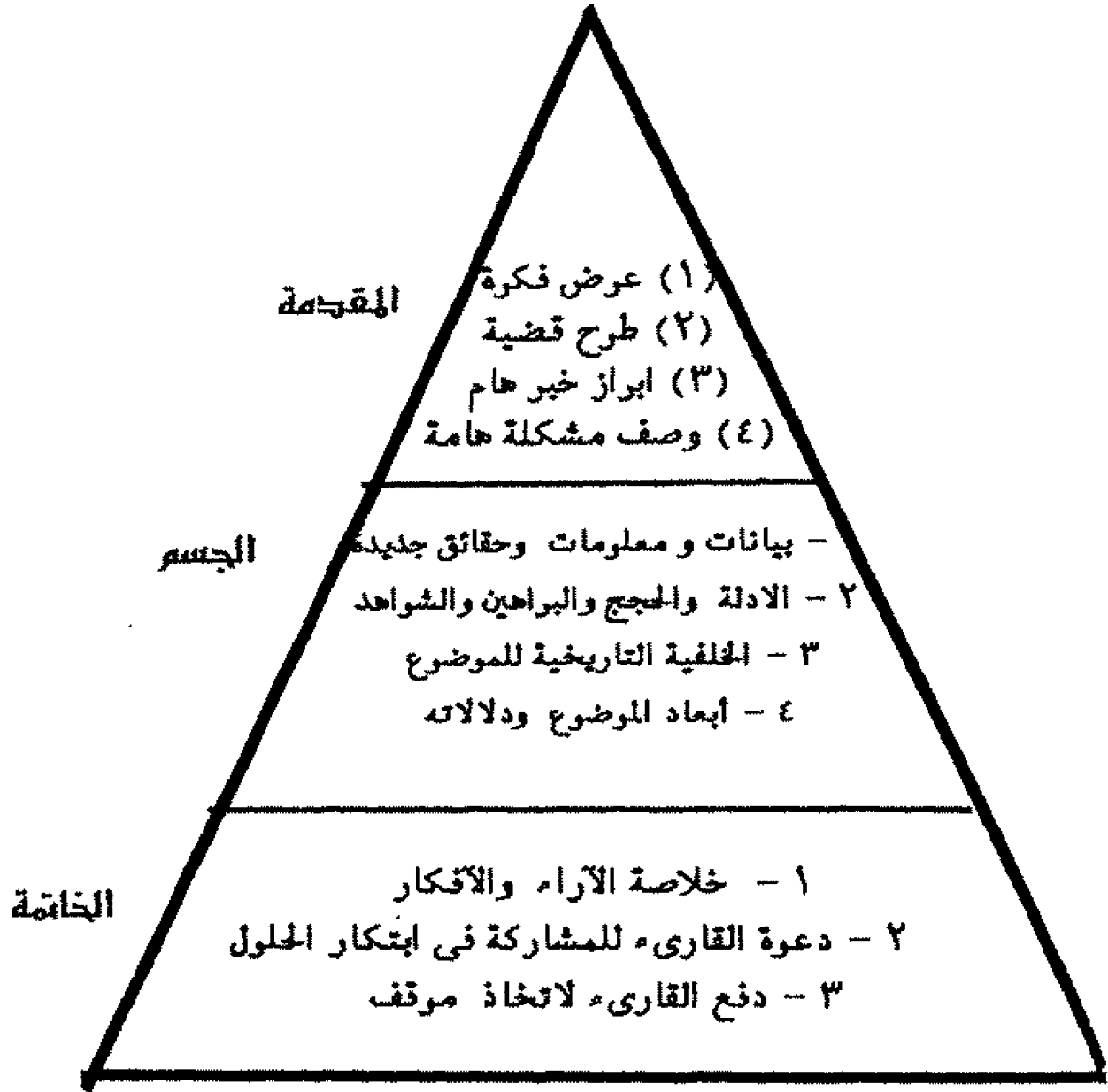
(١) خلاصة الآراء ، والأفكار التي يصل إليها كاتب المقال .

(٢) دعوة القارئ للمشاركة في إيجاد حلول للقضية المطروحة ان كان الأمر يفترض مشاركة القارئ ، أو تعبئته لتحقيق هدف معين ، أو تنفيذ خطة معينة .

(٣) دفع القارئ الى اتخاذ موقف معين تجاه قضية معينة .

* * * *

ويوضح الشكل التالي طريقة كتابة المقال الافتتاحي المبني على قالب الهرم المعتدل .



شكل رقم (١) البناء الفني للمقال الافتتاحي المبني على قالب الهرم المعتدل ونماذج المقال الافتتاحي لاحصر لها في الصحف من جرائد ومجلات .. ويمكن الرجوع اليها لتطبيق ما تقدم على تلك النماذج ... وننتقل بعد ذلك الى المبحث التالي الذي يتضمن استعراض ما يتعلق بالعمود الصحفي ..

المبحث الثانى العمود الصحفى Column

نلاحظ فى السنوات الاخيرة ، وجود الاعمدة الصحفية المتعدده فى الصحف العربية بصفة عامة . وذلك لأن الصحف منذ انتشارها الى أوائل القرن الحالى ، كانت تعتمد على المقال الافتتاحى ، الذى كان طويلا فى البداية ، ثم أخذ يقصر شيئا فشيئا ، كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة فى أغلب الأحيان . والمتأمل فى تطور الصحافة فى العالم ، يجد علاقة كبيرة بين ظهور العمود الصحفى ورغبات القراء . كما تظهر فى اضطرابهم الى السرعة فى القراءة ، وإيثار المواد القصيرة ، التى تعطيهم الشئ الكثير فى الزمن القصير ، ثم تردهم سريعا إلى مشاغلهم ، أو الى أعمالهم العادية اليومية (١)
أولا : مفهوم العمود الصحفى (٢)

لكن ما هو مفهوم العمود الصحفى ؟ وما المقصود به ؟ وماهى الصورة التى كان عليها عند نشأته ؟ وكيف تنوعت أشكاله ؟

كان العمود الصحفى فى نشأته عبارة عن فكرة ، أو رأى ، أو خاطر يرد على ذهن الكاتب ، فيكتب فيه سطوراً قليلة .. وكثيراً ما كان هذا الرأى أو الخاطر يدور حول واقعة أو ظاهرة وقع عليها نظر الكاتب فى المحيط الذى يعيش فيه ومعنى ذلك أن العمود الصحفى فى بداية الأمر ، كان لا يتعدى المحيط الاجتماعى ثم سرعان ما أصبح العمود الصحفى موزعاً فى الصحيفة على أبواب كثيرة . فهناك العمود السياسى فى صفحة السياسة الخارجية ، وهناك العمود الرياضى فى صفحة الرياضة ، والعمود الاقتصادى فى صفحة الاقتصاد ، والعمود الأدبى فى صفحة الأدب ، والعمود الدينى فى الصفحة الدينية ، والعمود الذى يعالج الشئون النسائية

(١) دراسات فى الفن الصحفى - مرجع ساق ص ٢١٤ وكذلك للدخلى فى فن التحرير الصحفى مرجع سابق ص ٣٠٥ .

(٢) راجع فى ذلك للمرجع الثانى السابق ص ٣٠٦ و ٣١٠ وكذلك فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٩٣ وكذلك الفن الصحفى فى العالم - مرجع سابق ص ١٣٨ و ١٣٩ .

فى صفحة المرأة وغير ذلك من الاعمدة .

والعمود الصحفى هو مساحة محدودة من الصحيفة لاتزيد على (نهـر) أو (عمود) تضعها الصحيفة تحت تصرف أحد كبار الكتاب بها ، يعبر من خلاله على ما يراه من آراء وأفكار ، أو خواطر ، أو انطباعات فيما يراه من قضايا ، وموضوعات ، ومشكلات ، بالاسلوب الذى يرضيه ، ويتسم بطابع صاحبه أو كاتبه .

وغالبا ما يحتل العمود الصحفى مكاناً ثابتاً لا يتغير على احدى صفحات الجريدة وينشر تحت عنوان ثابت ، وقد يصحبه عنوان آخر متحرك ... ويظهر فى موعد ثابت ، وقد يكون التوقيع بالاسم كاملاً ، وهو السائد فى الاعمدة الصحفية ، وقد يكون بالاسم الاول فقط ، أو بالاسم الاخير فقط ، أو بالحروف الاولى فقط من اسمائهم أو من اسماء مستعاره ، وقد يكون التوقيع بالرموز ، أو اشارات ، أو صفات عامة ... الخ .

وتعطى الصحف حرية اكثر لكاتب العمود الصحفى للتعبير عن وجهة نظره وأفكاره بالطريقة التى يراها . وليس من الضرورى أن يلتزم كاتب العمود الصحفى بسياسة الصحيفة ، وإن كان من المتعارف عليه أن لا يكون معاوضاً لهذه السياسة . ومن حيث الطباعة فإن العمود الصحفى غالباً ما يتميز عن غيره ، من مواد الصحيفة حتى يلفت اليه انظار القراء ، ويكون بحروف سوداء من (بنط) خاص وقد يوضع داخل اطار أو يرواز خاص .. ومهما يكن من شىء فالمهم فى العمود الصحفى ، أن يكون له مكان ثابت ، وعنوان ثابت ، وتوقيع ثابت . وفى هذه المميزات الثلاثة ما يكفى لكى يلفت اليه انظار القراء ، فيتمودوا عليه ، ويعثروا عليه فى يسر وسهولة .

ثانياً : موضوعات العمود الصحفى :

ليست هناك حدود ، أو قيود على المجالات ، والموضوعات التى يطرفها كاتب العمود الصحفى . فمن حقه أن يكتب فى السياسة ، أو الاقتصاد ، أو فى مشكلات الحياة الاجتماعية أو قضايا الفكر والثقافة والأدب ... الخ ولكن من الضرورى أن يهتم كاتب العمود الصحفى ، أثناء تناوله لمثل هذه القضايا ، بالتركيز على كل ما يهم القراء وأن يخاطب قلوبهم ومشاعرهم وأحاسيسهم ، بحيث يخرج من تناوله لمثل هذه

للموضوعات بالحكمة ، وبالعبره ، وبالموعظة الحسنه^(١)

ثالثاً : خصائص العمود الصحفى :

يتميز العمود الصحفى بعدة خصائص هامة ، منها مايملى^(٢)

(١) الجمع بين بساطة اللغة الصحفية ، وسهولتها ، ووضوحها ، وبين جمال اللغة الادبية ذلك أن العمود الصحفى أشبه بالمقال الأدبى ، من حيث العناية باختيار اللفاظ والاحتفاظ بحلاوة الأساليب ، إلا أن ذلك ليس شرطاً مطلقاً فى لغة العمود الصحفى ، ولكنه جائز فى هذه المادة الصحفية ، حيث لا يجد خبراء الصحافة بأساً من أن يستخدم كاتب العمود الصحفى ، أحياناً ، الأسلوب الأدبى فى كتابته ، على أن يكون أسلوبه متميزاً بالجمال ، وذلك باختيار اللفاظ الجذابة والعبارات الرقيقة التى تعبر عن الفكرة تعبيراً جميلاً .

(٢) التعبير عن التجربة الذاتية للكاتب ، لأن العمود الصحفى أقرب إلى الأدب ، والأدب ذاتى ، ولذلك فإن محرر العمود الصحفى يعطى حرية كاملة ، بقدر المستطاع ، فى التعبير عن آرائه ، بشرط ألا يتعارض ذلك مع سياسة الصحيفة .

(٣) يقوم العمود الصحفى على أساس وجود رابطة قوية ، وعلاقة حميمة بين كاتب العمود وقرائه . ولذلك يجب عليه أن يهتم ، قبل كل شىء بمشكلات الأفراد ومعالجة تلك المشكلات ، وعلى هذا الوتر الحساس يؤدى كتاب الأعمدة الصحفى دورهم فى الصحف ، فيجذبون القراء اليهم ، كما تعتمد الصحف لزيادة التوزيع ، على الصلة التى تنشأ بين القراء وكتابها ، من خلال كتاباتهم ، فإذا زادت هذه الصلة متانة وقوة ، وكانت أقرب إلى حياة القراء ومشكلاتهم ، كلما حرص القراء على اقبالهم على الصحيفة ، والارتباط بها ، وعدم تركها إلى غيرها من الصحف الأخرى المنافسة .

(٤) يجوز أن يتناول العمود الصحفى موضوعاً خفيفاً جذاباً . ويباح لكاتبه السخرية فى

(١) فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٩٣ و ١٩٤ .

(٢) للرجع السابق ص ١٩٥ و ص ١٩٦ وكذلك المدخل فى فن التحرير الصحفى - مرجع سابق ص ٣١٢

و ص ٣١٣ وكذلك الفن الصحفى فى العالم - مرجع سابق ص ١٣٩ و ١٤٠ .

العرض ، اذا وجد ذلك ضروريا ، ويكون أسلوبه أشبه بلسمة المقرب ، أو وخزة الابر ، حيث يتأثر القراء بسخرية العمود الصحفى من اقصر طريق .

(٥) كثيرا مايكون العمود الصحفى على شكل رسائل من بعض القراء الى الكاتب ، الذى يبسط شكاواهم ، ويرجه خطابه الى المسئولين ، بعد تقديم الحجج والشواهد ، لكى يزيلوا اسباب هذه الشكوى . وقد يتخذ العمود الصحفى شكل سؤال وجواب ، وفى هذه الحالة ينبغي مراعاة أن تكون الاسئلة والاجوبة ، ذات صفة عامة غالبا ، أو انسانية ، حتى يجد القارىء أنها ذات فائدة له .

(٦) على الرغم من أن العمود الصحفى لايتسع لأكثر من الكلام عن فكرة واحدة ، أو خاطرة واحدة ، فإن كاتبه مضطر كذلك - بحكم الحيز الصغير الذى يخصص للعمود - أن يوجز فى عبارته ، والا ينجح الى الاسهاب فى هذه العبارة ، أو استخدام المعانى ، والافكار الاستطرادية التى تحتاج الى حيز أوسع من حيز العمود الصحفى - ولذلك يقوم العمود الصحفى على تطبيق القاعدة الصحفية التى تقول : أكثر قدر من المعانى والمعلومات فى أقل قدر ممكن من الالفاظ .

رابعاً : كتابة العمود الصحفى (١)

يكتب العمود الصحفى مثلما يكتب المقال الافتتاحى ، على شكل الهرم المعتدل

الذى يتكون من ثلاثة أجزاء هى (مقدمة - وجسم - خاتمة)

(١) المقدمة : وتشتمل على مدخل ، أو زاوية يمهذ بها الكاتب لموضوع العمود الصحفى ، ويمكن أن يشتمل المدخل على النقاط التالية :

- (١) خبر من الاخبار ، أو حدث من الاحداث الهامة الجارية ، بشرط أن يركز الكاتب على زاوية معينة ، أثارت اهتمامه ، ويرى أنها تهم القراء فى الوقت نفسه .
- (٢) فكرة أو خاطرة ، أو لمحة أو انطباع ، يرى الكاتب أنه يحتاج إلى شرح ، وتوضيح ، أو تفسير وتعليق ، أو استخلاص العبرة منه .

(١) راجع فى ذلك فن الكتابة الصحفية مرجع سابق ص ١٩٦ - ١٩٩ .

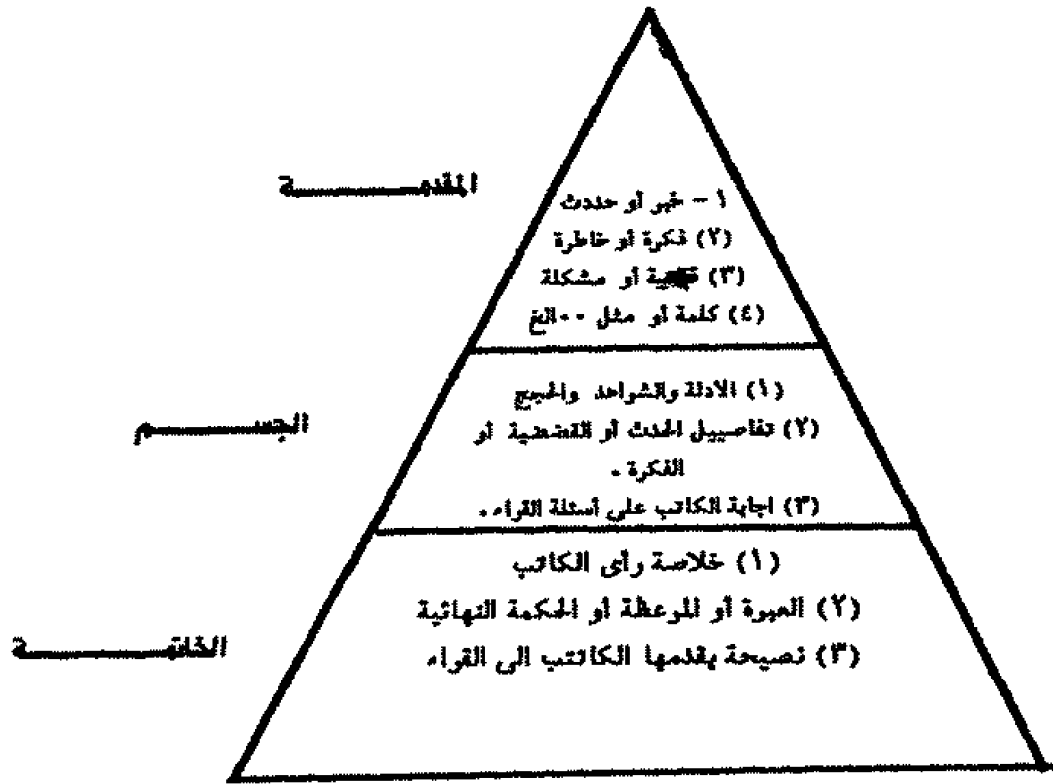
(٣) قضية أو مشكلة أو حدث يرى الكاتب أنه يحس مصالح القراء ، أو يغير اهتمامهم
وللكاتب وجهة نظريه يريد الافصاح عنها .. ولكن يشترط أن تكون الزاوية
التي يتناولها الكاتب أقرب الى اهتمام الناس وتفكيرهم ، أو قد تكون الزاوية
هى تجربة الكاتب الذاتية مع الحدث أو القضية نفسها .

(٤) آية قرآنية ، أو جزء من آية ، أو حديث نبوى شريف ، أو جزء منه ، أو ربما بيت
من الشعر أو حكمة ماثورة ، أو مثل شعبى معروف ، أو قول لمفكر أو كاتب
مشهور الخ .

(ب) حسم العمود الصحفى : ويضم جوهر المادة التى يحتوىها العمود الصحفى .
وتتضمن رأى الكاتب ، وخلاصة ما يريد قوله للقراء ، وقد تشتمل على النقاط
التالية :

- (١) خلاصة رأى الكاتب فى الحدث أو القضية ، أو للمشكلة التى يعرضها .
 - (٢) العبرة أو الموعظة ، أو الحكمة التى يخرج بها الكاتب .
 - (٣) النصيحة التى يقدمها الكاتب للقراء ، بعد أن يجيب على سؤال قدمه له القارئ .
- ويوضح الشكل التالى طريقة كتابة العمود الصحفى المبنى على قالب الهرم
المعتدل .

(١) راجع فى ذلك فى الكتابة الصحفية مرجع سابق ص ١٩٦ - ١٩٩



شكل رقم (٢) يوضح البناء الفني للعمود الصحفي المبني على قالب الهرم المعتدل نماذج تطبيقية :

وفيما يلي نقدم عددا من النماذج الخاصة بالعمود الصحفي .. ومنها يتضح أنها تتناول مجالات عديدة لا حصر لها وكلها يواعى في كتابها أو تتكون من مقدمة ... وجسم ... وخاتمة ...

فهذا نموذج يتناول قضية دينية تناولها الكاتب ببراعة فائقة وجاء العمود محكما بدأ في المقدمة بطرح قضية أو فكرة يريد أن يوجه للمسلم اليها ولكن فيها بعض الغرابة التي تشد القارىء إلى ضرورة متابعة العمود حتى آخره.. حيث انتقل الكاتب إلى صلب العمود فحشد فيه العديد من الأدلة والبراهين التي تدعم القضية التي طرحها في المقدمة ، وتقود إلى الوصول إلى خاتمة العمود في يسر وبراعة ثم كانت الخاتمة التي تضمنت النتيجة والخلاصة التي هدف إليها الكاتب ..

وهذا العمود الصحفي كان عنوانه الثابت (كلمات مضيئة) بقلم الدكتور مصطفى عبد الواحد ، وعنوانه المتحرك هو (فان لم تكن قمراً فكن شمساً) . وجاء العمود على النحو التالي .

قال ابو سليمان الذاراني يوما لتلميذه " احمد بن ابي الحواري : يا احمد كن كوكبا فان لم تكن كوكبا فكن قمرًا فان لم تكن قمرًا فكن شمسًا " .

فقال له احمد : يا ابا سليمان ان القمر اضوأ من الكوكب والشمس أضوأ من القمر فكيف عكست الترتيب ؟!

قال ابو سليمان : يا احمد انما أردت كن مثل الكوكب طلع من أول الليل الى الفجر فقم لعبادة ربك أول الليل الى آخره فإن لم تقو على قيام الليل كل ليلة فكن مثل القمر يطلع في بعض الليالي حتى يصيبة المحاق فقم بعض الليالي في عبادة ربك فان لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار الى آخره فان لم تقو على قيام الليل فلا تمص الله بالنهار .

وكان اسلافنا يعتبرون بما يرون من ظواهر الكون ويتخلون منها أمثلة للاقتناع والايضاح وقد اراد ابو سليمان رحمه الله ان يعلم تلميذه درسا في الطاعة والانقياد بهذه الكواكب والنجوم المسخرة بأمر الله فلا تمصى ولا تتمعر كما قال الحق سبحانه : والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " . والمؤمن العابد لربه يطمح الى الانتظام في عبادته والدموب في عبادته فاذا قام لعبادة ربه من أول الليل الى آخره فانه يشبه النجم الساطع الذي يظهر للابصار من بداية الليل ويستمر في سطوعه حتى يطلع الفجر انه حينئذ نجم ينير لنفسه بعبادته افاق الطريق ويضرب للمثل للانسانية في الطاعة والانقياد والمحبة لرب العالمين إذ يتورك لليل المنام لاسهوا في لذة ولا منادمة لخلان ولا استجابة لنوازع الشيطان بل انتصابا لعبادة الرحمن وتلذذا بمناجاته بايات القرآن فمن لم يتسطع بلوغ هذه المرتبة فبأمكانه ان ينزل الى ما هو دونها في الدموب فيكون كالقمر الذي يطلع في بعض الليالي فيضيء الافق ويبدد ظلمة الليل لكنه يتضاءل شيئا فشيئا حتى يغيب ثم يطلع في منزله .

اما اذا لم يستطع بلوغ هذه المرتبة ايضا فحسبه ان يكون كالشمس التي تطلع من أول النهار الى آخره تضيئ الدنيا وتزود النبات بالطاقة وتبخر مياه البحر لتنزل بعد ذلك مطرا يحيي الارض بعد موتها .

(١) جريدة المدينة المنورة (السعودية) العدد رقم (٨٢٠٦) بتاريخ ٢٩ اكتوبر ١٩٨٩ .

وهكذا فإن المؤمن الذى يقصر عن درجة قيام الليل يستطيع ان يعوض ذلك بالطاعة والاستقامة ونفع العباد فى نهاره أما اذا فاته خير الليل وخير النهار فلا خير فيه ولا دليل على صدق انتمائه الى هذا الدين العظيم .

هل رخصت دماء المسلمين ؟

وهذا نموذج آخر لعمود صحفى بعنوان (هل رخصت دماء المسلمين ؟)^(١) بقلم الصحفى المصرى أحمد أبو زيد بداء فى المقدمة بطرح قضية اسلامية تاريخية وقارن بينها وبين ما يحدث للمسلمين فى الأيام الحاضرة ، ودعم صلب العمود بالأدلة والشواهد المنطقية التى تدعم رأيه .. وتوصل الى الخاتمة التى تضمنت رأى الكاتب فى هذا الصدد ..
وفيما يلى نص هذا العمود

يقارن المسلم دائماً بين موقف المعتصم بالله من الجارية التى لطمها أحد الملحدون فى عمورية فاستغاثت بالمعتصم قائلة " وامعتصمها " وبينها وبين المعتصم فى ذلك الحين آلاف الأميال - لكن الشعور بمسئولية الولاية تربط بين القلوب مهما تباعدت وتلغى الحدود والأميال - فما أن وصل خبرها الى المعتصم حتى جهز جيشاً جراراً قوامه اثنا عشر ألف فارس وذهب الى عمورية سلباً ومجيباً لاستغاثة هذه الجارية المسلمة وفتح المدينة وخلصها من هذا العدوان وأزال عن امرأة المسلمة هذا اليأس والمهانة .

واليوم يقارن المسلم بين هذا الموقف وبين ما يحدث للأقليات المسلمة .. ومنذ سنوات طويلة فى دول الشرق والغرب من تعليم واضهاد وتنكيل وحرب شعواء فى الدين والعقيدة على مرأى ومسمع من كافة الشعوب والدول خاصة المسلمين .

لقد سمعنا جميعاً ما حدث للمسلمين فى بلغاريا على يد النظام الشيوعى هناك حيث ارغمهم على تغيير اسمائهم الى أسماء غير اسلامية ومنعهم من إقامة شعائهم الدينية وقام بطردهم من أرضهم وديارهم لا لشيء الا أنهم قالوا ربنا الله ، وراينا وسمعنا أيضاً ما حدث لمسلمى أذربيجان حيث القتل والاعتقال والتعذيب ، ومن قبل سمعنا ما حدث للمسلمين فى بلاد أخرى على يد البرذيين والهندوس ..

فالمسلمون فى هذه الدول يعيشون محنة حقيقية دبرها ورسم خيوطها أعداء الاسلام من

(١) مجلة الرابطة الاسلامية العدد (٢٠٦) بتاريخ أغسطس ١٩٩٠ ص ٦٤ .

الشيوعيين والصليبيين واليهود . محنة يذهب ضحيتها كل يوم العديد من الأرواح والدماء
للسلمة حيث المذابح والمجازر التي تقام للمسلمين المستضعفين في هذه الدول .
وهذا يجعلنا نتساءل بحزن وأسى : هل رخصت دماء المسلمين الى هذا الحد الذي تقام
فيه المذابح الجماعية لهم فيقتلون ويمذبون ويضطهدون دون ان يتحرك أحد لتصرتهم والاخذ
بيدهم ورفع الظلم عنهم ؟!

نعم لقد سمعنا ونسمع جميعا عن آباء هذه المذابح التي تحدث للمسلمين في فلسطين
ولبنان والهند وسريلانكا والفلبين وغيرها ... فماذا فعلنا لهم؟
ان اليهود والأمريكان يفضون ويسخطون عندما يصاب يهودى أو أمريكى واحد فى
أية منطقة من العالم فهل دم اليهودى أو الأمريكى أغلى من دم المسلم ؟ أم اتنا وصلنا الى
حالة من الوهن وأصبحنا كغناء السيل ؟

صفارة وماء وبطارية

وهذا نموذج آخر للعمود صحفى عنوانه الثابت باسم (مجرد رأى)^(١) وعنوانه المتحرك
(صفارة وماء وبطارية) بقلم الصحفى صلاح منتصر . وقد تناول فيه الحديث عن شىء
طريف يتعلق باقتراح قدمه خبير زلازل فى شكل نصيحة للناس وقد كتب صلاح منتصر هذا
العمود بمناسبة حدوث الزلزال الكبير الذى ضرب مصر فى أكتوبر عام ١٩٩٢ وفيما يلى نص
هذا العمود الصحفى ...

صفارة ووعاء ماء لاينكسر وبطارية : هذه هى نصيحة خبير زلازل لما يمكن ان يفعله
للمواطنون تحوطا عند وقوع الزلزال وقد قال هذه النصيحة فى حوار اذاعى اجراه معه مليم
مشهور !

اما الصفارة فلكى " يصفو " بها وهو تحت الانقاض ويساعد الباحثين فى الوصول اليه ،
وأما وعاء الماء الذى لاينكسر فلكى يستخدمه للشرب اثناء الحصار تحت الانقاض ، وأما
البطارية فللإتارة طبعاً !!
هل هذا معقول ؟!

تصور لو ان كل واحد جلس فى بيته وهو يلف حول رقبتة سلسلة بها صفارة وربط حزاما
حول وسطه يتدلى منه زمزمية وبطارية ؟! مثل هذه النصائح تثير المواطنين اكثر مما تريحهم و
(الأهرام العدد (٣٨٦٩٠) بتاريخ ٠١ نوفمبر ١٩٩٢ ص ٩ .

هى فذكرنى بالمعرض الممل الذى تقوم به مضيقة الطائرة وتشرح فيه للركاب طريقه ارتداء القميص الاصفر الموضوع تحت الكرسي واحاطته بالعنق ، وجذب طرفى حبلين صغيرين فى هذا القميص فيمثلن بالهواء فاذا حدث ولم يعمل اتوماتيكيا قام الراكب بالنفخ وملاء بالهواء .. وكل هذا اذا حدث وسقطت الطائرة - لا قدر الله - وجاء السقوط فوق احد البحار او المحيطات ، وعليك ان تتخيل برود اعصاب الراكب وهري بحث تحت كرسيه - والطائرة تهوى الى الارض - عن طوق النجاة الاصفر لينفخ فيه ويملاء بالهواء لكى يطفو فوق سطح الماء !

قالت لى زوجة : انها اعدت مخبأ تحت المائدة للجوء اليه لحظة الزلزال ، ولكن المشكلة ان هناك مواطنين كثيرين اهتزت اعصابهم باكثر مما تستحق واصبحت اى هزة صغيرة يتصورونها زلزالا خصوصا بعد ان اصبحت الزلازل خبرا يوميا يتكرر حدوثه فى اماكن مختلفة من العالم ، واصبحنا نرى من خلال التليفزيون اخبار هذه الزلازل التى لم تكن نسمع عنها من قبل .

والحقيقة ان هذه الزلازل سواء التى وقعت او التى ستقع ليست جديدة على العالم ، ولم تقع بعد ما حدث فى مصر ولما اهتممنا بالزلازل هو الذى زاد وهو الذى جعلنا نهتم بها ، ولولا ما حدث لنا ما اهتممنا بما يحدث من زلازل فى اى مكان .. والحقيقة العلمية تقول انه سنريا يحدث مليون زلزال ولكن معظمها يحدث تحت المحيطات والبحار الواسعة ولهذا لا يدري بها احد ، اما القليل فهو الذى يحدث تحت اليابسة والذى بدانا نعانى منه ويطلبون منا ان نستعد له بصفارة ووعاء ماء لا يتكسر ويطارية !!

الاسرار الكبرى

وهذا عمود صحفى عنوانه الثابت (آخر عمود)^(١) وعنوانه المتحرك (الاسرار الكبرى) تناول فيه كاتبه ابراهيم سعد رذيس تحرير اخبار اليوم قضية هوة التردد على السفارات الاجنبية لحضور حفلاتها ، وطالبهم بضرورة اعادة النظر فى هذه العادة التى يمكن ان يترتب عليها ما لا يحمد عقباه بالنسبة لهم وفيما يلى نص هذا العمود الصحفى ...

هوة التردد على السفارات الاجنبية اللين يسعدهم حضور حفلاتها وتناول ...شروع وتلقوا اكلايتها ، لايد ان يعيدوا النظر فى هذه العادة خاصة إذا عرفوا ماذا يمكن ان يحدث لهم من وراء توليق صلة التعارف والصداقة مع الدبلوماسيين الاجانب اللين يفترض فيهم انهم من صفوة البشر

(١) اخبار اليوم العدد (٢٧٣٨) بتاريخ ٢٦ إبريل ١٩٩٧ ص ٢ .

أدباء ، وفوقا ، وثقافة ، ودبلوماسية !

فى الأسبوع الماضى تم فى الولايات المتحدة الكشف عن أسرار وملفات وزارة الخارجية التى يرجع تاريخها الى ٢٥ سنة ماضية ، قبل هذا الكشف كانت هذه الملفات تعتبر " بالغة السرية " ويحظر معرفتها أو تداولها .

من بين هذه الملفات ، واحد يتعلق بالتقارير التى كانت السفارة الأمريكية فى باريس ترسلها بصفة دورية الى وزارة الخارجية فى واشنطن وتتضمن " حصيلة للمعلومات " التى حصل عليها الدبلوماسيون وعلى رأسهم كبيرهم : السفير الأمريكى !

مجلة " نوفيل أوغذاتور " عكفت على قراءة هذه الأوراق " وقامت بنشر العديد منها وبالأذات تلك التى تتعلق بأراء السفارة الأمريكية فى العديد من رموز فرنسا وحكام وقادة فرنسا السابقين منهم والحاليين . وتناولوا هنا نقرا بعض ماكتبه الدبلوماسيون الأمريكيون عن الفرنسيين :

* فى ١٣ ديسمبر ١٩٥٤ وبعد أن تناول السفير الأمريكى - دوجلاس ديلون - طعام الغداء مع السياسى الاشتراكى الكبير فرانسوا ميتران - وكان وقتها يشغل منصب وزير الداخلية فى حكومة بيير مئلفيس فرانس - عاد السفير الى مكتبه ليكتب رسالة سرية الى وزارة الخارجية الأمريكية فى واشنطن تتضمن انطباعاته عن هذا السياسى الفرنسى الذى أصبح - فيما بعد - رئيسا لجمهورية فرنسا لثنتين متواصلتين . قال السفير الأمريكى عن ميتران : إنه فوجئ به يظهر ما يبطن ولا اعتقد أنه يؤمن بأى فلسفة اشتراكية ، ولا يميل الى أى فكر سياسى معين ! إن كل ما يؤمن به فرانسوا ميتران ، وكل ما يخطط له هو كيف يحقق طموحاته السياسية وأنه على استعداد لعمل أى شىء مقابل هذا الهدف . ولم يكتف السفير الأمريكى بذلك وإنما اختتم تقريره عن ميتران بوصفه بأنه شديد الخطورة ، وطالما بقي فى منصبه وزيرا لداخلية فرنسا ، فائتى - أى السفير الأمريكى - لن أكون مطمئنا ومرتاحا وماقاله السفير الأمريكى عن ميتران قال أكثر منه عن الجنرال ديغول . فالمعروف أن الولايات المتحدة لم تكن تحب هذا " الجنرال " الذى أراد أن يعيد الزعامة الفرنسية إلى سابق مجدها لتصبح فرنسا المنافسة الأولى لأمريكا !

جميع سفراء الولايات المتحدة فى فرنسا - الواحد بعد الآخر - لم يتركوا مناسبة - فى تقاريرهم السرية عن الجنرال ديغول - إلا انتهزوها لإبداء أملمهم والإعراب عن أحر أمانيتهم فى اعتماد ديغول عن الحكم باعتباره عدو أمريكا الأول فى أوروبا !

هذه الأمنية تراها واضحة فى التقرير الذى أرسله السفير الأمريكى دوجلاس ديلون - فى ٢١ أبريل

١٩٥٥ - عن استقبال دييجول له في منزله في مسقط رأسه ولم يستطع السفير أن يكتف عواطفه فمير عن سعادته الفائقة لمجرد أن وجد دييجول في " أسوأ حالته ، وبدأ عجزاً . وضعيفاً ويائساً " .
* وفي العام التالي بعث السفير الأمريكي رسالة سرية أخرى عن انطباعاته في أعقاب الزيارة التي قام بها لدييجول جاء فيها " بعد أن استمعت لحديث دييجول الذي استغرق عشرين دقيقة ، فهمت أن الجنرال لا يزال غير مهتم بما يجري في الحياة السياسية داخل بلاده ! " .

وخابت أحلام السفير الأمريكي بعد شهر قليلة عندما فوجيء بأن الجنرال دييجول بدأ يهتم بالسياسة ، ويبحث عن دور في حكم بلاده . ففى لقاء جديد معه فوجيء السفير بدييجول يهاجم الولايات المتحدة ويتهمها بأنها تبذل كل ما في وسعها من أجل الإبقاء على النظام الحاكم الحالي في فرنسا ، لأن الإدارة الأمريكية تريد - كما قال دييجول - أن تتعامل مع حكومة فرنسية ضعيفة ، بدلاً من التعامل مع نظام حاكم قوى - يقصد نفسه - وأضاف دييجول محذراً : على العموم فإن استثمار أمريكا في مساندة الجمهورية الحاكمة الحالية في فرنسا لن يحقق لها النجاح في المستقبل القريب .

وبالفعل تحققت تحليلات دييجول ، وسقطت الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وهبت فرنسا كلها تنادي بالجنرال الذي سارع وأعلن في ١٥ مايو ١٩٥٨ قبوله الدعوة ، والمرافقة على حكم البلاد ، مما أحنز السفير الأمريكي وكتب يحزى وزارة الخارجية الأمريكية ويحزى الإدارة والشعب الأمريكيين بقرب وصول عدو أمريكا إلى مقعد الحكم في فرنسا !

* أما تقرير السفير الأمريكي في باريس - بوهلين - عن جاك شيراك الذي كان يشغل في سنة ١٩٦٧ منصب وزير دولة لشئون العمل فكان طريفاً ، ومن المؤكد أن نشره اليوم لن يوجب الكثير من الفرنسيين فمن رأى السفير الأمريكي - وقتذاك - أن هذا الشاب - شيراك - يتميز بالذكاء والديناميكية ، وبالصرامة ويعتبر من أشد المؤيدين للولايات المتحدة ، ليس هذا فقط بل إنه - بهيئته وافكاره ونصرواته السياسية - أقرب من الأمريكيين منه إلى الفرنسيين أو الأوروبيين إنه - أي شيراك

الذي أصبح الآن رئيساً لفرنسا - يجب أن ننظر إليه نظرتنا إلى أي مواطن أمريكي ! ولم ينس السفير الأمريكي أن يذكر في نهاية تقريره أنه ليس صحيحاً أن شيراك يسير على خطى وهدي الجنرال دييجول بدليل أن شيراك لم يذكر اسم دييجول مرة واحدة خلال اللقاء الطويل معه !

* وإعجاب الأمريكيين بشيراك لم يتوقف ، ففي سنة ١٩٦٨ أرسلت السفارة الأمريكية تقريراً سرى إلى دهن رسك - وزير خارجية أمريكا حينذاك - بقائمة تتضمن أهم المرشحين لقيادة فرنسا مستقبلاً

، بعد ديجول ، وجاء اسم شيراك على رأسها . حقيقة أن هذا الترشيع لم يتحقق إلا بعد أكثر من
عشرين سنة ، ولكن حقيقة أنها أن شيراك أصبح - كما كان السفير الأمريكى الأسبق يتمنى - رئيسا
لفرنسا !

* وهناك قصص أخرى كثيرة أرسلها سفراء أمريكا فى فرنسا عن العديد من السياسيين الفرنسيين
الذين تشبهم هذه القصص وتهز صورتهم كثيرا امام الرأى العام المخلوع فى بعضهم ، فمثلا قال أحد
سفراء أمريكا : إن الزعيم الفرنسى السابق - جى مولىه - طلب من السفارة الأمريكية مساعدة مالية
قدرها ٨٠٠ ألف فرنك ، وعلق السفير بقوله : انه من المعتاد أن تطلب بعض الأحزاب السياسية
الفرنسية مساعدات مالية من السفارة ! وكشفت التقارير السرية أن شارل هيرنو - وزير الدفاع الفرنسى
الأسبق - لم يكن عميلا للاتحاد السوفيتى فقط وإنما كان عميلا - أيضا - للولايات المتحدة الأمريكية ،
كما أكد أكثر من سفير لأمريكا فى باريس !

ترى .. ماذا كتب السفراء والدبلوماسيون الأمريكيون الذين عملوا فى القاهرة - قبل ٢٥ سنة عن مصر
وقادة مصر ، والمصريين الذين التقوا بأعضاء السفارة الأمريكية فى المناسبات والأعياد ؟

* * * * *

ونكتفى بهذا القدر من نماذج الأعمدة الصحفية .. وننتقل بعد ذلك الى الحديث عن نوع
آخر من أنواع المقال الصحفى وهو قريب جداً من العمود الصحفى .. وهذا النوع يتعلق
باليوميات الصحفية .. وهو موضوع المبحث التالى ..

* * * * *

المبحث الثالث اليوميّات الصحفيّة (١)

اليوميّات الصحفيّة : هي في حقيقة الأمر مجموعة من الأعمدة الصحفيّة ، يكتبها كاتب واحد ، مرة واحدة في الأسبوع ، فالموضوعات التي تضمها اليوميّات إذا فصلت كل واحدة منها على حدة لما اختلفت كل منها عن العمود الصحفي في شيء ، سواء في مضمونها أو لغتها ، أو بنائها الفني القائم على الهرم المعتدل .

فموضوعات اليوميّات الصحفيّة يمكن أن تستوعب السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع وقضايا الفكر والثقافة والفن والادب ، وكذلك مشكلات الناس وهمهم وغير ذلك .. ولغة اليوميّات تجمع - شأنها شأن العمود الصحفي - بين بساطة اللغة الصحفيّة وجمال اللغة الأدبيّة ، كما تقوم على التجربة الذاتية للكاتب .

وقد انتشرت اليوميّات الصحفيّة في الصحافة العالميّة والعربيّة في النصف الأول من القرن العشرين ، وخاصة في أوقات ازدهار صحافة الرأي .. ولكن كثيراً من الصحف بدأت تخلّي صفحاتها من هذا الفن الصحفي مع بداية الربع قرن الأخير ، حيث أصبح من النادر أن تفرد صحيفة مساحة من صفحاتها لهذا الفن ، وبعد أن كان فن اليوميّات باباً رئيساً من أبواب الصحف والمجلات العربيّة - وغالباً ما تفسح له صفحاتها الأخيرة - أصبح من النادر أن تجد جريدة أو مجلة عربيّة مازالت تحتفظ بهذا اللون من الألوان الصحفيّة . وعلى سبيل المثال فإن الجريدة اليوميّة الوحيدة في مصر التي مازال تحتفظ بنشر اليوميّات هي جريدة الأخبار القاهريّة ، والتي مازال تفسح له مساحة كبيرة من صفحاتها الأخيرة . ويمكن أن ترجع ظاهرة انحسار فن اليوميّات الى عاملين :

أولهما : أن فن العمود الصحفي ، أصبح يؤدي جميع وظائف اليوميّات ، بالإضافة الى تميزه بصغر المساحة التي يشغلها من الصحيفة .

وثانيهما : تراجع صحافة الرأي وغلبه صحافة الخبر على الصحافة المعاصرة .

وتوجد نماذج لليوميّات الصحفيّة في جميع أعداد جريدة الأخبار المصريّة ، وتنشر في صفحاتها الأخيرة لمن يريد الرجوع اليها ... ثم ننتقل الى تناول المقال التحليلي في المبحث التالي --

(١) راجع في ذلك فن الكتابة الصحفيّة / مرجع سابق ص ٢٠٩ .

المبحث الرابع

المقال التحليلي (١)

قام المقال التحليلي بدور متميز في تاريخ الصحافة العربية ... بل ان تاريخ الصحافة هو في واقع الامر تاريخ كتاب المقال التحليلي منذ رفاعة رافع الطهطاوى ، وأحمد فارس الشدياق في النصف الاول من القرن التاسع عشر وحتى الآن ... وطوال تلك الفترة برزت عشرات الاسماء اللامعة في كتابة المقال التحليلي في الصحافة العربية ، وفي مقدمتهم : الشيخ محمد عبده ، وعبد الله النديم ، وأديب اسحق ، ورشيد رضا ، ومصطفى كامل ، والشيخ على يرسف ، وأحمد لطفى السيد ، وأمين الرافعى ، وعبد القادر حمزه ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسنين هيكل ، وأحمد بهاء الدين ، وفهمى هويدى ، وإبراهيم سعده . وغيرهم ..

مفهوم المقال التحليلي :

والمقال التحليلي من اكثر فنون المقال الصحفى تأثيراً ... ويقوم على التحليل العميق للأحداث ، والقضايا ، والظواهر وغيرها من الشئون التي تشغل الرأى العام ... ويتناول الرقائع بالتفصيل ، ويربط الكاتب بينها وبين غيرها من الرقائع التي تتصل ببعضها البعض من قريب أو بعيد ، ثم يستنبط منها ما يراه من آراء واتجاهات ولا يقتصر المقال التحليلي فقط على تفسير احداث الماضى ، أو شرح الرقائع الحاضرة وإنما يربط الكاتب بين الاثنين ليستنتج احداث المستقبل ... وحيث أن المقال التحليلي يقوم فى أساسه على التحليل العميق والمدرّس للأحداث ، فهو غالباً ما يكون اسبروعياً ، حتى وان كان ينشر فى جريدة يومية ...

وليس هناك حجم معين للمقال التحليلي ، ولكنه قد يشغل مساحة صفحة كاملة من الجريدة ، أو عدة صفحات من المجلة .

وهناك فارق جوهري بين المقال التحليلي وبين المقال الافتتاحي - غير الفارق فى الحجم والمساحة والمكان الثابت - وهو أن المقال التحليلي قد لا يعبر عن سياسة الصحيفة ، وان

(١) راجع فى ذلك المرجع السابق من ٢٢٩ - ٢٣٢ .

كان يشترط ألا يختلف معها ... فهناك مساحة كبيرة من الحرية قنح لكاتب المقال التحليلي تسمح له بالتميز عن رأى الصحيفة .

وظائف المقال التحليلي :

- للمقال التحليلي عدة وظائف هامة ، فى مقدمتها الوظائف الثلاثة التالية :
- ١ - عرض الأحداث الجارية ، وتحليلها ، والكشف عن أبعادها ، ودلالاتها .
 - ٢ - مناقشة وطرح القضايا والظواهر التى تشغل الرأى العام المحلى أو الدولى ، ومساعدة القراء على فهمها ومتابعتها .
 - ٣ - التعبير عن السياسات ، والاتجاهات السائدة فى المجتمع ، وطرح وجهات نظر القوى السياسية والاجتماعية فى البلد الذى تصدر به الصحيفة .

موضوعات المقال التحليلي :

يتسع المجال أمام كتاب المقال التحليلي - شأنهم شأن كتاب العمود الصحفى - للخوض فى مختلف مجالات النشاط الانسانى من سياسة ، واقتصاد ، واجتماع ، وثقافة ، وفكر ... الخ ولكن ينفرد النشاط السياسى بالاستحواذ على غالبية مايكتب من مقالات تحليلية ، بينما تغلب المسائل الاجتماعية على مايكتب فى العمود الصحفى .

كذلك يغلب على المقال الافتتاحي طابع (التعليق السريع) على الأحداث الجارية ، فى حين يغلب على المقال التحليلي طابع (التعليق العميق) على نفس الأحداث . لذلك كان فى امكان الكاتب ان يكتب المقال الافتتاحي كل يوم ، فى حين لا يستطيع غالباً ان يكتب المقال التحليلي إلا كل اسبوع .

كتابة المقال التحليلي:

يكتب المقال التحليلي - شأنه في ذلك شأن جميع أنواع المقال الصحفي - على هيئة قالب الهرم المعتدل . . . أى يتكون من : مقدمة ، و صلب ، وخاتمة . . . ولكن المقال التحليلي يتميز عن كل من المقال الافتتاحي ، والعمود الصحفي - كما سبق ذكره - بكبر حجم مساحته في الصحيفة . مما يسمح لكاتبه بأن يحشد فى جسم المقال أكبر قدر من التفاصيل ، والحجج المنطقية ، والأدلة ، والشواهد التى تشرح موضوع المقال وتؤيد رأى الكاتب ، هذا بالإضافة الى حشد قدر كبير من المعلومات الخلفية التى تتصل بموضوع المقال .

(أ) المقدمة : يمكن أن تحتوى على العناصر التالية :

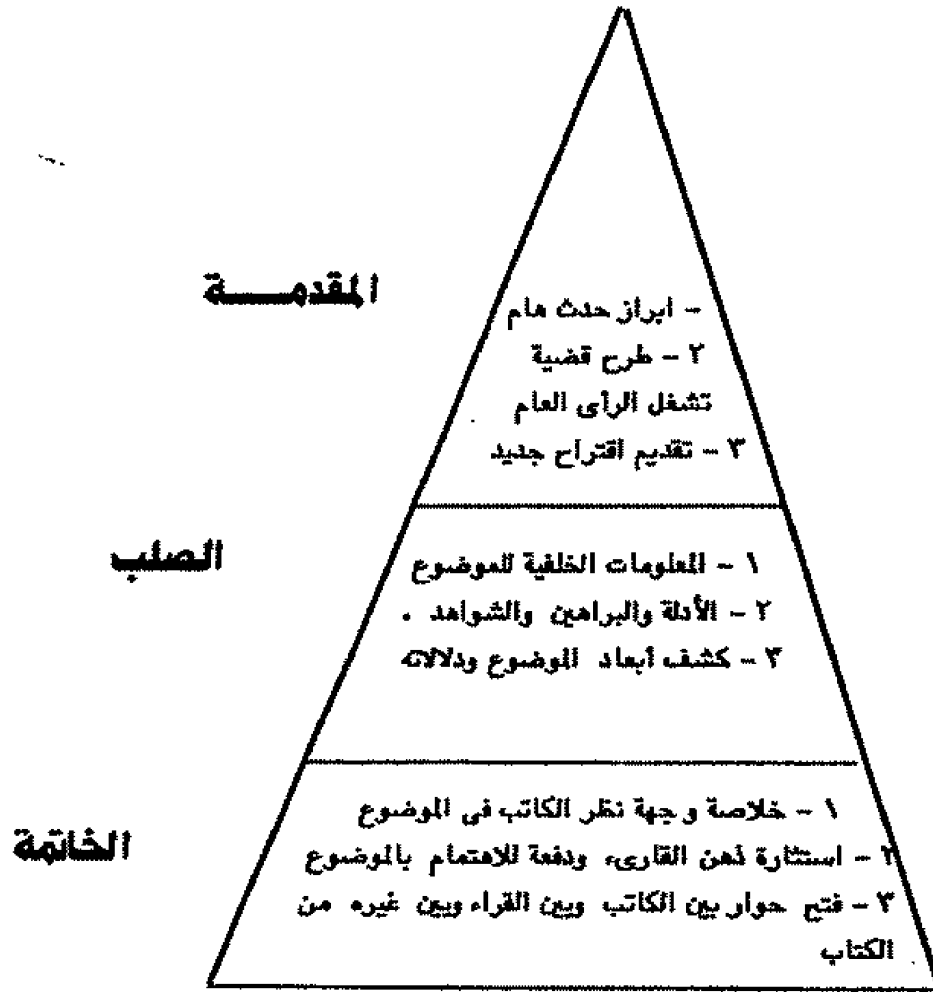
- (١) إبراز حدث من الأحداث الهامة الجارية .
- (٢) طرح قضية تشغل الرأى العام وتمس مصالح الجمهور .
- (٣) تقديم اقتراح جديد يثير اهتمام القراء .

(ب) الصلب : يتضمن العناصر التالية :

- (١) المعلومات الخلفية للموضوع الذى يناقشه المقال .
- (٢) حشد الأدلة ، والشواهد ، والحجج التى تؤكد وجهة نظر الكاتب
- (٣) كشف أبعاد الموضوع ودلالاته المختلفة .
- (٤) عرض الآراء المؤيدة أو المعارضة لوجهة نظر كاتب المقال والرد عليها .

(ج) الخاتمة : تحتوى على العناصر التالية :

- (١) خلاصة وجهة نظر الكاتب فى الموضوع .
 - (٢) استثارة ذهن القارئ ، ودفعه للاهتمام بالقضية التى يطرحها الكاتب .
 - (٣) فتح حوار بين الكاتب والقراء من ناحية ، وبينه وبين غيره من الكتاب من ناحية ثانية حول موضوع المقال .
- ويوضح الشكل التالى طريقة كتابة المقال التحليلي المبني على قالب الهرم المعتدل .



شكل رقم (٣) يوضح البناء الفني للمقال التحليلي المبني على قالب الهرم المعتدل .

فضيحة العلمانية في تركيا :

وفيما يلي نقدم نموذجاً تطبيقياً لمقال تحليلي ، بقلم الكاتب الصحفي (فهمي هويدي) بجريدة الاهرام تحت عنوان (فضيحة العلمانية في تركيا ، (١) .. وقد تناول الكاتب تلك القضية بالتحليل التفصيلي العميق ، في محاولة منه لمساعدة القراء على فهم حقيقة تلك الأوضاع المقلوبة ، القائمة

(١) الأهرام العدد (٤٠٣٧) بتاريخ ١١ مارس ١٩٩٧ ص ١١

فى دولة تزيد نسبة المسلمين فيها على ٩٥ فى المائة من سكانها . وقد ربط الكاتب فى مقاله التحليلى بين الوقائع القديمة والوقائع الحاضرة التى تتصل بتلك القضية من قريب أو بعيد الأهرام ، وأن كانت لا تختلف معها ، وذلك انطلاقاً من أن كاتب المقال التحليلى " يعطى دائماً مساحة كبيرة من الحرية ، مما يسمح له بالتميز عن رأى الصحيفة التى يكتب فيها وقد رأى التقييد بالقالب الفنى لكتابة المقال التحليلى القائم على الهرم المعتدل ، والذي يتكون من مقدمة : أبرز فيها مشكلة قائمة فى تركيا وتهم الرأى العام التركى بصفة خاصة والرأى العام الاسلامى بصفة عامة .. ثم قدم فى صلب المقال المعلومات الخلفية للموضوع الذى يناقشه فى مقاله ، وحشد قدراً كبيراً من الأدلة والشواهد والبراهين والحجج المنطقية التى تؤكد وجهة نظره ، وعرض لوجهات النظر المعارضة وناقشها وكشف زيفها بالحجة والمنطق ، وفضح تهافتها ويطاؤها .. وفى آخر المقال جاءت الخاتمة متضمنة وجهة نظر الكاتب فى الموضوع الذى عالجه ، واستثار ذهن القارئ ، ودفعه للاهتمام بالقضية التى طرحها ..

وفىما يلى نص المقال التحليلى بقلم الكاتب الصحفى فهمى هويدى ..
ربما كان مبكراً الحديث الآن عن أهم الفضائح السياسية فى عام ٩٧ ، لكنى أجازف بترشيح المشهد العلمانى فى تركيا للفوز بذلك اللقب ، مطمئناً الى أنه يعكس رصيدا من المقومات والنقاط تمكنه من " اكتساح " أى منافس آخر يظهر الى نهاية العام ، إلا إذا شاء ربك أن يرينا ما هو اقبح واتعس !

فالأحزاب السياسية اقامت الدنيا ولم تقعدوها منذ أربعة أسابيع ، بدعوى ان العلمانية مهددة ، وأن مواريتها وتقاليدها أصبحت فى خطر داهم . أما ابواقها الاعلامية من صحف واذاعة وتليفزيون فقد ملأت الدنيا صياحا ، ولرقت انهارا من الدموع وهى تتياكى على العلمانية والديمقراطية ، الأمر الذى استنفر قيادة الجيش ومجلس الأمن القومى ، وسط شائعات كثيرة ترددت حول احتمالات وقوع انقلاب عسكري من جانب الجيش الذى فعلها ثلاث مرات من قبل ، انقلاب يرد للعلمانية اعتبارها ويصوب " الاتحراف " البادى من مسارها . غير أن الانقلاب لم يقع ، حتى الآن ، وتتابعت البيانات والتصريحات السياسية والعسكرية محذرة من خطورة

التحديات الناشئة عن تصاعد " الاصولية " فى تركيا ، وتنامى مظاهر " التشدد " الدينى ، فى الوقت ذاته خرجت مظاهرات لبعض النسوة حاملة صور كمال اتاتورك ، مؤسس الدولة العلمانية التركية ومنندة بالاصولية والرجعية ، وداعية الى انقاذ العلمانية من المخاطر التى أصبحت تحقيق بها .

اللحظة المثيرة فى المشهد تمثلت فى اجتماع مجلس الأمن القومى التركى الذى يضم رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، والوزراء المسئولين عن الأمن والدفاع ، غير قادة الجيش والمخابرات ، هذا الحشد الكبير والهييب اجتمع لمدة تسع ساعات متصله ، لأول مرة فى تاريخه بعدها أعلن أن الجيش قدم عشرين مطلباً الى رئيس الوزراء نجم الدين اريكان ، زعيم حزب الرفاه الاسلامى ، انطلاقاً من موقفه التقليدى كحارس للعلمانية فى تركيا وحسبما ذكرت صحيفة " الحياة " اللندنية فى ٣ / ٣ فان ابرز مطالب الجيش تمثلت فيما يلى : عدم السماح بالزى الاسلامى الذى اعتبر متعارضاً مع المبادئ العلمانية . تحويل المدارس الدينية المتخصصة فى تخريج ائمة المساجد الى مدارس مهنية . اغلاق مدارس تحفيظ القرآن الكريم الأهلية ، منع اقامة المسجد المقترح فى حى " تقسيم " الذى يعد احد معاقل العلمانية فى مدينة اسطنبول . هذه الطلبات سربت الى الصحافة التركية من جانب الجيش ، ولم يذكرها البيان الصادر عن مجلس الأمن القومى ، الذى اكتفى باعلان اشارات تحذيرية لنجم الدين اريكان ، كان منها مثلاً : ان المجلس درس كل الملفات الخاصة بالحركات الرجعية التى تستهدف النظام الديمقراطى العلمانى ، واسس النظام الاجتماعى القائم على الأفكار الكمالية والوطنية التى أقرها الدستور ، مدركاً ان تلك الحركات الرجعية تحاول تهينة الجو لاقامة نظام خارج افكار العصر .

قوبل بيان مجلس الأمن القومى بارتياح كبير فى الأوساط العلمانية كما ذكرت " الشرق الأوسط " ، فى اليوم التالى اعتبرت تلك الاوساط أن الديمقراطية هى التى ربحت فى هذا الاجتماع " . وأضاف مراسل الصحيفة فى اسطنبول ان المراقبين يتوقعون تراجع اريكان عن مطالباته السابقة حول الحجاب وجلود الاضاحى ومسجد " تقسيم " والسفر برا الى المملكة السعودية .

وكانت هذه المطالبات بالغة التواضع ، هى التى فجرت المشكلة فى تركيا ، واثارت قلق الاحزاب العلمانية والجيش واعتبرت اصولية وتشدداً وتطرفاً ، وخطراً يهدد العلمانية والديمقراطية فى البلاد .

الحجاب ممنوع والبغاء مشروع ليست هذه كذبة ولا مزحة ، ولكنه كلام جاد

يردده سياسيون كبار وجنرالات صارمون منتفخو الأوداج ، ظهوروا على شاشات التلفزيون ليؤكدوا ان عرش العلمانية سوف يسقط من عليائه وأن شعلة الديمقراطية ستنطفئ وان شمس الحرية ستغيب ، وان المشروع الكمالى القابض على السلطة منذ ٧٥ عاما سينهار وتطوى صفحته الى الأبد ، اذا ما حلت تلك " الكوارث " بالمجتمع التركى ، وفى مقدمتها السماح للمسلمات بارتداء الحجاب فى دواوين الحكومة !

وكانت هذه القضية بالذات اكثر ما زعج النخبة العلمانية التركية ، التى لا يمل رموزها من الحديث عن الحرية والديمقراطية ، وياسمها تم تقنين مهنة البغاء فى تركيا . وهى المهنة التى لاتستطيع حكومة اريكان فتح ملفها او الحديث عن مشروعيتها فى بلد تزيد نسبة المسلمين فيه على ٩٥ فى المائة . ولكن حين فكر بعض نواب حزب " الرفاه " الاسلامى فى التقدم بمشروع قانون يرفع الحظر المفروض على ارتداء الحجاب فى مؤسسات الدولة ، قامت القيامة وثار العلمانيون ، واستتفر الجميع من عسكريين ومدنيين حتى جرى ما جرى ، نفس الشيء بالنسبة لمسجد حى تقسيم ، حيث لم يحتمل العلمانيون ان يقام مسجد فى أحد ميادين ذلك الحى الكبير ، الذى يخلو من المساجد بينما يعد من أهم مناطق مدينة اسطنبول ، واعتبروا ذلك " تطرفا " ينبغى أن يقاوم ، وان يعرض أمره على مجلس الأمن القومى لاتخاذ ما يراه مناسبا لدرء خطره !

حكاية جلود الإضاحى خلاصتها ان الخطوط الجوية التركية المملوكة للدولة اعطيت حق احتكار هذه الجلود وجمعها من الناس الذين تصر اغليبيتهم الساحقة على تقديم الاضحيات فى كل عام ، ولان تعداد تركيا ستون مليوناً ، فلك أن تتصور حجم الثروة التى تعظمها جلود اضاحى مسلميها ، حين تجمع من الناس ثم تستثمر على نحو أو آخر وحين فكرت حكومة اريكان فى كسر ذلك الاحتكار ، والسماح للجمعيات الخيرية الاهلية بتلقى تلك الجلود من الناس والاستفادة منها ، اعتبرت هذه " جريمة " فجرت غضب العلمانيين الذين رأوا فى تلك الخطوة محاولة من حكومة حزب الرفاه لتقوية الجمعيات الخيرية الاسلامية (لا تنس ان الاحزاب العلمانية ترفع شعار الدفاع عن المجتمع المدنى الذى تعد تلك الجمعيات من أهم مقوماته فى تركيا) .

أما مسألة استخدام الطريق البرى للسفر الى السعودية ، الذى حظرت السلطات التركية بحجة انه ليس آمناً لمروءه فى مناطق التمرد الكردى أو بسبب توتر العلاقات مع سوريا ، فهناك من يقول ان الدافع الحقيقى للحظر هو ان النخبة العلمانية لاتريد تيسير الحج والعمرة

على المسلمين الأتراك الأمر الذى يؤدي فى نظرهم - الى توسيع نطاق الرجعية ، وزيادة مؤشرات التطرف الأصولية .

لقد رفعت النخبة العلمانية التركية شعار " الاستئصال هو الحل " وكانت المطالب العشرين التى قدمها الجيش تطبيقاً أميناً لذلك الشعار ، ولذا فإنها قوبلت فى اوساط تلك النخبة بمختلف مشاعر الحفاوة والانتشراح ؟ وهذه هى الفضيحة الحقيقية ! مايرح العلمانيون يدعون إلى عدم تدخل الدين فى السياسة ، ولكنهم يقدمون نموذجا فاحشا لتدخل السياسة فى الدين ، ويعلنون أنهم يدافعون عن الديمقراطية والحرية ، لكنهم يمارسون قهرا لاحتود له للمسلمين ، ويرفضون التسامح مع أبسط شعائهم . حتى غطاء الرأس يمنعونه على العاملات فى مؤسسات الدولة فيصادرون الحد الأدنى من حقوقهن فى بلد اغلييته الساحقة من المسلمين . ويهللون لليبرالية والتعددية ، بينما يفرضون على الأغلبية المسلمة نموذجهما الخاص التفريرى والمعادى للدين متمسكين بديكتاتورية الاقلية بل لا يتورعون عند الضرورة عن التلويح بالاحكام العرفية وانقلاب الجيش لتحقيق مرائهم - ويوهمون الجميع بأن تعدديتهم احتملت حزب الرفاه الاسلامى بينما يضرون على أن يصبح الرفاه علمانيا ، ويتبنى مطالبهم فى حظر الحجاب ومنع اقامة مسجد " تقسيم " وتصفية معاهد الائمة والمدارس القرآنية .

طالبان على الطريقة العلمانية : هذه التجليات كلها ليست جديدة ، ولاهى مفاجئة ، فسجل العلمانية التركية حافل بالعداء للاسلام والمسلمين ، فمنذ سطر كمال أتاتورك أولى صفحاته بعد توليه السلطة فى عشرينات القرن الحالى واتخذ سلسلة من القرارات التى استهدفت محو الاسلام فى مقر الخلافة الاسلامية ، حتى اغلق العديد من المساجد واوقف الحج وشنق العلماء واهينو ، والى الحرف العربى ، ولجبر المسلمين على ارتداء القبعات الخ .

وحيثما تجرأ رئيس الوزراء الاسبق عدنان مندريس فى الخمسينات ، وسمح بإعادة فتح المدارس الدينية ، ويرفع الاذان باللغة العربية بدلا من التركية ، انتفض الجيش وقام بانقلابه الذى ادى الى محاكمة الرجل وأعدامه . مع اثنين من الوزراء .

طوال التجربة العلمانية ظل التدين موصوما بمختلف التهم التى ترددت خلال العقود الأخيرة ، من الرجعية ، والسلفية ، الى التطرف ، والأصولية والارهاب ، حتى فشلت فى العام الماضى محاولات اعطاء الموظفين المسلمين الحق فى اداء صلاة الجمعة بالمساجد ، وفى بعض المواقع اعتبر الانتظام فى الصلاة تهمة تشكك فى جدارة الشخص بتولى وظيفته ، وكان ارتداء زوجة الحجاب دليلا على تطرفه ، يبرر احواله الى الاستيذاء ! وحين فاز حزب الرفاه بالاغلبية النسبية فى عام ٩٥ م ، فان النخبة العلمانية اصيبت بالفرح والهلل ، رغم أن ذلك كان خيار الجماهير فى انتخابات ديمقراطية نزيهة ، ورغم أن حزب الرفاه سعى لتشكيل الائتلاف الوزارى قابلا بالمشاركة مع الآخر العلمانى ، الا ان المشكلة ان النخبة العلمانية كانت ومازالت رافضة الاعتراف بالآخر ذى الاتجاه الاسلامى . والائتلاف الهش أو زواج المصلحة الذى تم مع

حزب الطريق المستقيم ، تم على كرامة ، وهو معرض للانهايار فى أى لحظة .
ان شئت الدقة فقل ان العلمانية فى تركيا " دين " يرفض اى منافسة ، ليس هذا فحسب
وانما هي ايضا تعد العقبة الاكبر التى تحول دون اقامة ديمقراطية حقيقية فى البلاد . تقوم على
التسامح والاعتراف بالآخر واحترام ارادة الجماهير وسجل انتهاكاتها المتواصلة لحقوق الاغلبية
المسلمة شاهد على ذلك .

ان التجربة التركية تقدم لنا نموذجا حيا للتطرف العلماني تتحدد منطلقاته فيما يلى :
التغريب المطلق - العداء للإسلام حتى فى شعائره البسيطة .
- استخدام الديمقراطية لفرض ديكتاتورية الاقلية .

ونحن اذا ما دققنا فى المشهد العربى ، فسوف نجد ان تلك سمات التطرف العلماني فى كل
مكان . وهذا الذى حدث ويحدث فى تركيا تكرر بدرجة أو أخرى فى بعض اقطار المغرب
العربى حتى انه فى احد تلك الأقطار تم اغلاق ١٥٠٠ مسجد بحجة الفصل بين اماكن العبادة
واماكن العمل على اعتبار أن ذلك الفصل من مقتضيات الالتزام العلماني !

اذا دقت اكثر فى المشهد فسوف تجد ان ثمة تشابها مدهشا بين مسلك جماعات التطرف
العلماني وبين ما تفعله حركة طالبان فى افغانستان فلا فرق مثلا بين الذين يكرهون النساء على
خلع حجابهن فى دواوين الحكومة ويغلقون المساجد أو يمنعون اقامتها فى النموذج العلماني ،
وبين الذين يكرهون النساء على البقاء فى البيوت وارتداء النقاب فى الخروج ، كما يكرهون الرجال
على اطلاق لحاهم ، ويجبرونهم على الصلاة فى المساجد حين يرفع الاذان . ولا فرق بين من
يحاول استئصال الآخر الاسلامي أو انحيانا الى النموذج الغربى احيازا مطلقا ، وبين من
يحاول استئصال الآخر العلماني ، ويرفض كل ما هو غربى رفضا مطلقا الخ .

عداؤهم للديمقراطية ضرورى

ان ملة التطرف واحدة ، غير ان هناك فرقا مهما بين الموقفين الاسلامي والعلماني ازاء نقد
هذا التطرف وعلان البراعة منه . فالمعتدلون الاسلاميون ودعاة الوسطية يدينون التطرف
الاسلامي ويشهرون تلك الادانة على الملأ بينما لم يستطع لطرف العلماني ان يجرى مثل هذا
الفرز ، وعجزت رموزه حتى الآن عن إعلان موقف شجاع وصريح يدين ممارسات المتطرفين
العلمانيين .

افرى أن هناك علمانيين معتدلين لهم موقفهم النزيه الذى يحترم القيم الايمانية والوطنية
ويدافع باخلاص عن الحرية والديمقراطية لكن صوتهم غير مسموع للأسف الشديد . وازاء
تصاعد اصوات الغلاة من شيعتهم فانهم يتحولون بعضى الوقت الى اقلية مهمشة ، تعد استثناء
على القاعدة العلمانية ثمة مؤشرات مهمة تدلنا عليها التجربة التركية فى مقدمتها ما يلى :
* ان مصطلح العلمانية لايعنى شيئا واحدا كما يروج البعض ، ولكنه مسكون بمواقف
وتصورات عدة لامور الدين والدنيا (لاتنس ان النازية كانت نموذجا علمانيا قحاً) ، الأمر

الذى يفرض علينا ان نتعامل بحذر مع المصطلح وان نطالب الذين يسوقونه بان يحددوا لنا بالضبط أية علمانية يقصدون .

* ان النخب العلمانية التى تقبض على السلطة فى المجتمعات الاسلامية تدرك انها تفرض على الامة نمولجا غريباً مناهضاً ومتحدياً لنمولجها الحضارى . ومن ثم فإن لجوءها الى القهر قد يعد وسيلة وحيدة لاستمرار هيمنتها .

* ان الربط التلقائى بين العلمانية والديمقراطية ليس سوى اكذوبة كبرى ، كما ان الزعم بان العلمانية هى " فريضة العلم والحرية " كما هتف احدثهم مرة ، لا يعدوان يكون نوعاً من التهريج والتدليس . وفى احسن احواله فانه يظل نوعاً من التمنى لم يصدق حتى الان فيما نعرف من تجارب محيطة بنا . اذ كما ان هناك علمانية مخاصمة للدين واخرى متصالحة معه ، فثمة علمانية مخاصمة معها للديمقراطية واخرى متصالحة معها والعلمانية المفروضة على المجتمعات ذات الاغلبية المسلمة لا خيار لها فى مخاصمة الديمقراطية لذا لزم التنويه والتنبيه .

الموقف السياسى :

وضمن هذا الباب فى جريدة (اخبار اليوم) ينشر الكاتب الصحفى ابراهيم سعده رئيس مجلس الادارة ورئيس تحرير اخبار اليوم مقالا تحليلياً سياسياً تحت عنوان (مرحباً بأولبرايت . . . ولكن) (١) تعرض فيه لحدث سياسى هام يشغل رأى العام المصرى والعربى ، وتناول فيه بالشرح والتحليل العميق ، والكشف عن الأبعاد والدلالات ، لموقف السيدة مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية غير المحايد ، بالنسبة للصراع العربى الاسرائيلى ، وتعاطفها التام مع كل ماتقبله إسرائيل أو ترفضه ، بصرف النظر عما اذا كان هذا القبول أو الرفض ، يتعارضان مع القانون الدولى ، ومع أبسط حقوق الشعوب .

وبعد المقدمة التى أوضح فيها الكاتب الانطباع السلبي لدى رأى العام العربى ، حول موقف السيدة أولبرايت وذلك بمناسبة زيارتها لمنطقة الشرق الأوسط . . . انتقل الكاتب الى صلب المقال حيث حشد فيه قدراً كبيراً من

(١) اخبار اليوم العدد (٢٧٥٨) بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٩٧ ص ١ و ٨ .

المعلومات الخلفية في هذا الصدد ، الى جانب الكثير من الأدلة والشواهد والبراهين التي تؤكد وجهة نظره وتشرح موضوع المقال ، وذلك يهدف مساعدة القارئ على فهم تلك القضية التي تعرض لها ، واقناع القراء بوجهة النظر المعارضة التي ذهب اليها .. كما قدم العديد من آراء ووجهات النظر وناقشها وفندها وكشف زيفها وتهافتها ، مما يزيد من اقتناع القارئ بوجهة نظره ، واستثارة ذهنه ، ودفعه للاهتمام بما طرحه الكاتب في مقاله .. وجاءت خاتمة المقال متضمنة خلاصة وجهة نظر الكاتب في هذا الموضوع الذي طرحه ومؤكداً أن " أزمة الثقة في الدور الأمريكي أصبحت حقيقة ، وتزداد وضوحاً يوماً بعد يوم . وكم نتمنى لو نجحت السيدة مادلين أولبرايت - اليوم أو غداً - في تغيير - أو حتى تعديل - هذا الموقف المؤسف " .

وفيما يلي نص هذا المقال التحليلي بقلم الكاتب الصحفي ابراهيم سعده .
" اكتسبت زيارة السيدة مادلين أولبرايت لمنطقة الشرق الأوسط أهمية خاصة ، لأسباب عديدة أهمها : هناك انطباع متزايد وسط الرأي العام العربي بأن أولبرايت غير محايدة بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي ، كما أن معظم ما قيل على لسانها ، ومعظم ما نسبت أجهزة الإعلام العالمية إليها - بالحق أو بالباطل - أظهر أولبرايت في صورة المتعاطفة تماماً مع كل ماتقبله ، وكل ماترفضه ، إسرائيل .. يصرف النظر عما إذا كان هذا القبول أو الرفض يتعارضان مع القانون الدولي ، ومع أبسط حقوق الشعوب .
وزاد من هذا الانطباع السلبي - لدى الرأي العام العربي - أن وزيرة الخارجية الأمريكية الجديدة لم تبد أي اهتمام - على عكس من سبقوها في هذا المنصب المهم - بزيارة المنطقة ومحاولة التعرف على حقائق مايجري فيها ، ومايصدر عنها .. وكأنها تكتفي - فقط - بما تتلقاه عن مصادرها الإسرائيلية "

لهذه الأسباب كلها - وغيرها - فإننا نرحب بقدوم السيدة مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية إلى المنطقة ، لنسمع منها ونتعرف على أفكارها وآرائها بالنسبة للقضية المهمة التي لاهم لنا - خلال نصف القرن الماضي - غير البحث عن حل أو حلول لها

لقد كنا في مقدمة المطالبين بأن تلعب الولايات المتحدة دوراً نشطاً لمساعدة الأطراف المعنية على التوصل إلى تسوية ، لأن أمريكا مؤهلة - ربما أكثر من أي طرف آخر - للعب هذا الدور ولو بالمشاركة مع الآخرين ، فهناك - كما يعرف الجميع - علاقه بالغة الخصوصية بين واشنطن وتل أبيب . وهناك الإغداق الأمريكي - بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية - على إسرائيل بغير حساب ، كما أن الشرق الأوسط يمثل للولايات المتحدة

أهمية بالغة جعلتها تضع المنطقة على رأس أولويات مصالحها الاستراتيجية ولسنا وحدنا الذين نشق كل الثقة في أن الدور الأمريكي للمشاركة في إيجاد الحل للصراع العربي الإسرائيلي ، هو المؤثر وهو القاطع ، وهو الحازم . فهناك من بين الإسرائيليين - في مقدمتهم الرئيس الإسرائيلي عازرا فايتسمان - من يعطى لهذا الدور الأهمية القصوى بدليل أنه طلب من مادلين أولبرايت - في الكلمة التي ألقاها خلال إفطار العمل الذي دعا إليه في صباح اليوم التالي لوصول وزيرة خارجية أمريكا إلى إسرائيل - أن تمارس الضغط المكثف على حكومة نتانياهو وعلى حكومة ياسر عرفات - معا - من أجل تحريك عملية السلام ، مادام لم ينجح أحد منهما في اقناع الآخر بأهمية تنفيذ ما سبق الاتفاق عليه في أوسلو .

وتتوالى الأحداث ...

حقيقة أن مادلين أولبرايت أوضحت - فور وصولها إلى إسرائيل - أنها تعتزم أن تركز في زيارتها الأولى للمنطقة على المسائل الأمنية ، التي تهم إسرائيل في المقام الأول - على حساب النواحي السياسية والاقتصادية وتحريك عملية السلام - وهي القضايا التي تهم الفلسطينيين والعرب في المقام الأول - ولكن حقيقة - أيضا - أن وزيرة الخارجية الأمريكية حرصت - في الوقت نفسه - على تأكيد العلاقة الوثيقة بين الأمن والسلام ، وذلك عندما قالت - في المؤتمر الصحفي الذي عقده في إسرائيل - : إنه لا يمكن الفصل بين الأمن الحقيقي والسلام الحقيقي فلا يمكن أن يتحقق واحد منهما دون الآخر . ولم تكتف وزيرة الخارجية بذلك وإنما خطت خطوة أكبر عندما أعلنت أنها طلبت من نتانياهو أن تفي إسرائيل بالتزاماتها ، لأن القلق على الأمن لا يعني التخلي عن الالتزامات ، وأضافت أولبرايت قائلة أنها طالبت إسرائيل بالامتناع عن القيام بأي إجراءات أحادية الجانب تؤثر على مفاوضات التسوية الدائمة مع الفلسطينيين ، وبذلك تكون أولبرايت قد تبنت - على الأقل في تصريحاتها العلنية - الخط الذي اتخذته مصر طوال الأشهر الماضية .

ولم يكن مقالته مادلين أولبرايت - في المؤتمر الصحفي - مجرد تصريحات أو كلمات تتبدد في الهواء ، فلقد علمت أنها كررت نفس هذه الالتزامات أمام الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات والوفد المرافق له في المباحثات ، وأنها تقدمت - أيضا - بعبارة أمريكية تستهدف تحريك عملية السلام المجمدة من خلال إقتراح محدد يتكون من بندين اثنين يحققان - في حالة موافقة الفلسطينيين والإسرائيليين عليهما - تقدما ملموسا ومطلوبا في عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية .

البند الأول : يتعلق بما يمكن للولايات المتحدة والسلطة الفلسطينية القيام والمشاركة به في مواجهة الإرهاب الذي تعتبره إسرائيل العائق الأول والأخير لتحريك عملية السلام .
البند الثاني : يختص بالدور الذي يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تلعبه في القضايا المعقدة وأهمها قضية : المعتقلين الفلسطينيين ومبررات الإفراج عنهم وضمان عدم إنتمائهم للمنظمات الإرهابية الراضية لعملية السلام .

ولا أظننى الخيع سرا إذا قلت : إن الإدارة الفلسطينية - برعامة الرئيس ياسر عرفات - قد وافقت على الاقتراح الأمريكى الذى طرحته مادلين أولبرايت خلال جلسة المباحثات التى تمت بين الجانبين الأمريكى والفلسطينى والمهم - الآن - أن نسمع رأى حكومة بنيامين نتانياهو فى هذين البندين المحددين اللذين تقدمت بهما وزيرة خارجية الولايات المتحدة خلال جلسة مباحثاتها الأخيرة مع السلطة الفلسطينية برئاسة أبو عمار وما فعلته وما قالت السيدة مادلين أولبرايت - حتى الآن - لابد أن يشجعنا على أن ننظر إليها- ونعامل معها - بشكل مغاير ، ومخالف لما كنا نتوقعة ونتنتظره وهذا مايشجعنا على أن نطالبها ببعض المواقف والمبادرات منها على سبيل المثال لا الحصر :

* أن تتمسك وزيرة خارجية الولايات المتحدة بهذا الخط فى مواجهة إصرار إسرائيل على التركيز على أمنها هى فقط كما لو كان أمن الأطراف العربية هو أمر لا قيمة له ولا يستحق الاهتمام لهذا السبب فإننا ننتظر من وزيرة الخارجية الأمريكية أن تترجم ما أعلنته ، وما طرحته - نظريا - إلى خط واقعى تلتزم به السياسة الأمريكية خلال زيارتها للمنطقة ، ويعددها ، عندما تفعل وزيرة الخارجية ذلك فمن المؤكد أن يكون فى إستطاعة واشنطن أن تؤثر على إسرائيل وأن تمارس الدور المطلوب منها .

* لست من هؤلاء الذين يجرون تقييمهم لسياسة أمريكا - أو غيرها - من زاوية الانتماء الدينى أو الأيديولوجى للأشخاص الذين يلعبون دورا أساسيا فى تشكيل سياسة بلادهم لأن من تبسيط الأمور الحكم على هذه المواقف من زاوية شخصية ، ولذلك فإننى لن اتوقف طويلا أمام " المسرحية " التى أعدتها إسرائيل للوزيرة الأمريكية اثناء زيارتها لنصب ضحايا الهولوكوست - فادياشيم - ولا لإصرار المستوليين الاسرائيليين على " تثقيف " أولبرايت بشأن تاريخها العائلى مع التركيز على أن عددا من اقاربها اليهود قد لقوا حتفهم على أيدى النازيين العنصريين .

* لن نقول لمادلين أولبرايت أن كل فصول هذه " المسرحية " يعتبر خارج الموضوع الأسمى ، فاليهود من الإسرائيليين - وغيرهم - ليسوا عرضة لأى اضطهاد فى المنطقة العربية ولم يكونوا مضطهدين فيها فى أى يوم . والقضية - الآن - ليست قضية اليهود ، وغيرهم وإنما هى قضية إرساء العلاقة بين الطرفين اللذين نشب بينهما نزاع سياسى - لأسباب لا أجد حاجة للتطرق إليها - على أساس من العدل والتكافؤ ، وليس على أساس مجاملة إسرائيل على حساب العرب ، ولا على قاعدة الحديث عن تفوق إسرائيل على العرب - يستوى فى هذا التفوق العسكرى أو الاقتصادى - أو الزعم بأنه التفوق الحضارى والإيحاء بأنه يعنى " التفوق الإسرائيلى و " المطلب الإسرائيلى " على " الحق العربى و " المطلب العربى " لأن هذا الطرح كفىل ينسف عملية السلام من أساسها ، والإخلال بالتوازن الذى يفترض أننا جميعا نعمل على تحقيقه حتى نضمن استمرار حالة السلام فى المستقبل القريب والبعيد معا .

لقد جاء تخوفى من هذا الخلط بعد أن سمعت عن حرص السيدة مادلين أولبرايت على

أن تؤكد - خلال زيارتها الأخيرة لإسرائيل - عن التزام بلادها بمساعدة الدولة العبرية على تحقيق تفوقها العسكرى فهل يراود بالمنطقة أن تعود إلى مناخ الحرب ومنطقها ، وأن ينطلق الأطراف فى سياستهم من مفاهيم " التفوق " و " السيطرة " بدلا من " التعايش " و " التكافؤ " وكيف تلمعن الشعوب إلى المستقبل وتقنع بالمرأنة عليه ضد المنادين بحتمية الصراع وأبديته ، إلى أن ينتصر طرف على الآخر كلية ويفرض عليه شروطه ؟

* إن الوزن الذى تعطيه وزيرة الخارجية الأمريكية لموضوع الأمن - أثناء زيارتها - على حساب قضية السلام والحفاظ على مسيرته ، كان مبالغا فيه إلى درجة كبيرة ، فقد اهتمت بأن تصرح بعد لقائها برئيس الوزراء الاسرائيلى بأن موضوع الأمن هو لب جدول أعمالها ، وأنها سوف تتحدث مع الرئيس عرفات حوله وتطالبه بالدخول فى تعاون فعال مع إسرائيل بشأنه ، ويأن يتخذ خطوات صارمة لاقتلاع الإرهاب وينته الأساسية من جذورها ، وأضافت : " إننا إذا ما أردنا أن نستأنف المفاوضات السلمية ونسرع فى المسيرة فليس أمامنا طريقة أخرى " ولم تنس وزيرة الخارجية الأمريكية أن تعلن تأييدها لما يطرحه نتانياهو حول مبدأ المعاملة بالمثل أو التبادلية - reciprocity - رغم أنها تعلم جيدا أن رئيس الوزراء الإسرائيلى يستخدم هذه العبارة بطريقة غير متوازنة تخرجها عن السياق السليم - فهو - أى نتانياهو - لا يخفى مطالبته للفلسطينيين بالقيام بتنفيذ جميع التزاماتهم أولا قبل أن تبدأ إسرائيل فى تنفيذ تعهداتها ، ليس هذا فقط بل أن إسرائيل تعطى نفسها الحق فى تعريف التزامات الفلسطينيين وتحاول أن تولى عليهم أسلوب الوفاء بها بالتفصيل ، وإلا اعتبرت مخالفة للاتفاقيات التى تم توقيعها ، وأوضح مثال على هذا أن مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى أصدر بيانا يوم ٩ سبتمبر الجارى عدد فيه الخطوات التى تطلب إسرائيل من السلطة الفلسطينية اتخاذها فى مجال الأمن على النحو التالى :

- ١ - التعاون الأمنى الكامل وغير المشروط مع إسرائيل .
- ٢ - ردع الإرهابيين ومعاقتهم .
- ٣ - إبعاد المخربين عن صفوف الشرطة الفلسطينية .
- ٤ - الوفاء بالالتزامات الأمنية فى الخليل .
- ٥ - مصادرة الأسلحة غير المرخصة .
- ٦ - وقف التحريض على العنف .
- ٧ - الالتزام بالقيود المفروضة على أسلحة قوات الأمن الفلسطينى .
- ٨ - تقليص عدد أفراد الشرطة الفلسطينية الى أربعة وعشرين - ألفاً ، وهو العدد المنصوص عليه فى الاتفاق المرحلى .
- ٩ - تسليم المشتبه فيهم بالتورط فى أعمال إرهابية .

١٠ - القضاء على البنية التحتية للمنظمات الإرهابية .

والسؤال الآن هو : هل يعقل أن يبيع طرف لنفسه أن يملى على الطرف الآخر ما هو مطلوب منه بهذا التفصيل وهذه المبالغة في الوقت الذي يعلن فيه - صراحة - أنه لا ينوي الوفاء باهم التزام يتحمله وهو تنفيذ المراحل المتفق عليها لإعادة الانتشار الأوسع في المواعيد المحددة ، والتي اكدتها الولايات المتحدة نفسها في الخطاب الموجه من كريستوفر - وزير الخارجية الأمريكي السابق - للرئيس الفلسطيني عرفات ؟

* ولاشك أن الخريطة السياسية في أمريكا بالغة التعقيد والصعوبة ، بحيث لا يمكن التعميم وإصدار الأحكام ببساطة على القرارات التي تتخذها الإدارة الأمريكية في قضايا داخلية أو خارجية ، ولكن يمكن أن نقول - في الحدود التي يجوز فيها التعميم - أن أهم الملامح التي يتميز بها المسرح السياسي في أمريكا يتلخص في النفوذ الكاسح لجماعات الضغط - أو ما يسمى هناك " باللوبى " لدرجة أن هذه الجماعات - التي وإن كانت تمثل فئات قليلة لكنها منظمة وتتمتع بقدرة هائلة على الاتفاق - تتمكن في النهاية من فرض اهتماماتها وأولوياتها على الشعب وممثليه في السلطتين التشريعية والتنفيذية عند معالجة أى قضية ، وذلك على حساب المصلحة العامة . ولست في حاجة إلى إبراز مدى سطوة اللوبى الصهيونى وقدرته على دفع الإدارات الأمريكية المتعاقبة لاتخاذ هذه السياسة المتطرفة وغير المنسجمة مع الأصول القانونية واعتبارات العدالة بل ومهما كانت متعارضة مع رؤية الحكومة الأمريكية ومع المصالح الحيوية لهذه الدولة الكبرى ، باختصار شديد يمكن القول بكل اطمئنان : إن اللوبى المالى لإسرائيل أصبح قادرا - منذ وقت طويل - على توجيه السياسة الأمريكية كيفما يشاء دون حسيب أو رقيب .

* ليس المقام هنا ملائما للاستطراد في الحديث عن هذه الظاهرة التي تنفرد الولايات المتحدة بوجودها فيها بصورة صارخة ، وقد يكفي أن أقارن هنا بين " وثيقتين " - أن جان هذا التعبير - أولهما الخطاب الذى وجهته دول المجموعة الأوربية لوزيرة الخارجية الأمريكية أولبرايت منذ أيام وبالتحديد يوم ٥ سبتمبر الجارى - قبيل مغادرتها لواشنطن ، ونصحتها فيه باتخاذ موقف متوازن اثناء زيارتها لمنطقة الشرق الأوسط واقترحت المجموعة الأوربية أن يقوم هذا الموقف على المرتكزات الآتية :

أولا : تأكيد التزام إسرائيل بتنفيذ المرحلة المقبلة من إعادة الانتشار ، لأن هذا الالتزام كان من الأركان التي قامت عليها الاتفاقية المرحلية .

ثانيا :حث الفلسطينيين على استمرار التعاون مع إسرائيل في مجال الأمن .

ثالثا : تشكيل لجنة دائمة للأمن من ممثلين للطرفين ، تحقق التعاون في مجال الأمن تحت جميع الظروف ، ويمكن أن يشارك في أعمال هذه اللجنة ممثلون للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى .

رابعا : إبراز أن أى استئناف للمفاوضات الخاصة بالوضع النهائى يجب أن يصحبه ويتوازى معه التنفيذ الكامل للاتفاقية المرحلية والبروتوكولات التي وقعت على أساسها .

خامسا : التزام الطرفين بتجنب أى إجراءات أحادية يمكن أن تؤثر على الموضوعات المتفق على معالجتها فى المفاوضات الخاصة بالوضع النهائي وبصفة خاصة فإن على إسرائيل أن تتوقف عن النشاط الاستيطاني .

سادسا : مطالبة الطرفين بالالتزام بميثاق للسلوك Code of conduct سواء فى المفاوضات أو فى تنفيذ ما يتم التوصل إليه من اتفاقيات ، ويجب الحرص على أن يسهم هذا الميثاق السلوكى فى خلق مناخ من " الشراكة " والمصلحة المشتركة بين الطرفين .

سابعا : رفع القيود الموضوعة على الاقتصاد الفلسطينى .

* ولايستطيع المرء أن يقالب إغراء إجراء المقارنات بين هذا الطرح الأودى المتوازن والمتن وبين المفاهيم التى يروجها اللوى المالىء لاسرائيل فى الولايات المتحدة ، وربما كان من اللازم أن اختار - كنموذج لهذا الطرح الصارخ فى تحيزه لإسرائيل - المقال الأفتتاحى الذى كتبه روزنتال فى جريدة نيويورك تايمز يوم ٩ سبتمبر الجارى " أى فى نفس اليوم الذى بدأت فيه أولبرايت رحلتها إلى المنطقة .

كتب روزنتال مقاله تحت عنوان مثير يقول : " حرب الخمسين عاما " يدها بالإشارة إلى أن إسرائيل كانت هى الطرف الذى يسعى للسلام طوال نصف القرن الذى مضى منذ إنشائها ، أما العرب فقد أصروا دائما على الرد على هذه النوايا السلمية بالحرب (٠٠) وأضاف الكاتب الصهيونى المعروف قائلا :

- ورغم هذا الموقف المسالم الإسرائيلى فإنه عندما تنفجر قنبلة فى سوق عمومى فى إحدى المدن الإسرائيلية أو فى سسيارة أتوبيس فإن العالم يطالب إسرائيل بالمضى فى طريق السلام وكان شيئا لم يحدث ، بل إنه يطالبها بتقديم التنازلات للفلسطينيين وبإقناع العرب ويواصل الكاتب مزاعمه فيقول :

" إن العالم يتجاهل - أو يتناسى - الحروب المتعاقبة التى غزت الجيوش العربية فيها إسرائيل المرة تلو الأخرى ، والدعايات المعادية لليهود التى ملأت أجواء العالم العربى ، وإصرار العرب على خنق إسرائيل اقتصاديا --- الخ " .

ثم يخلص روزنتال من سرد هذه الأكاذيب الفجة إلى أنه : " إذا كانت أمريكا حريصة على القيام بدور إيجابى ، فيجب أن تكون نقطة البداية فى تحريكها هى إقناع العرب بوجوب إنهاء حريهم التى استمرت لمدة نصف قرن ضد الدولة العبرية ، وإلا فإن العرب سوف يعاودون - بعد استراحة قصيرة - شن حريهم العدوانية ضد إسرائيل " .

ولاكتفى روزنتال بذلك وإنما يواصل تزويره للأحداث التاريخية - على طريقة - (لاتقربوا الصلاة) فيقول : " إن إسرائيل لم تحاول احتلال الضفة الغربية ولولا غباء العرب الذى دفعهم إلى مهاجمة إسرائيل عام ١٩٦٧ ورغم هزيمتهم فى الحرب ، ظلت إسرائيل تقدم لهم الاقتراح تلو الآخر لإقامة السلام ، وتطرح عليهم إقامة حدود جديدة وتقتصر اقتسام المياه والطاقة الكهربائية وهم يردون على هذه التحركات السلمية بالعمليات الحربية وقذفها بالقنابل ومهاجمتها من على منبر الأمم المتحدة ثم استمرت المذابح بين إيران والعراق ، وقامت سوريا باحتلال لبنان ، وغزا

العراق الكويت ، وانغمس المتطرفون والأصوليون العرب في قتل إخوتهم وابناء دينهم * .
ويختتم روزنتال مقاله بالتأكيد على انه : لا يمكن مطالبة إسرائيل بالتحرك نحو السلام إلا بعد أن يتوافر لها الأمن تماما ويستقر ، والا إذا اتخذ عرفات الخطوات الصارمة العازمة المطلوب منه اتخاذها - وإن كان الكاتب يشك في ثقة لدى الرئيس الفلسطيني للقيام بهذا . ثم انتهى روزنتال إلى انه لا يمكن أن يتحقق سلام بين إسرائيل والفلسطينيين إلا إذا قامت نظم عربية على أسس أخرى غير الحق والكراهية والتسلط .

* * *

ومقاله الكاتب الصهيوني الشهير ليس بالجديد ولا بالغريب ، إنه يكرر - فقط - ما سبق للوبي الصهيوني الأمريكي تأكيد والدفاع عنه والترويج له المرة بعد الأخرى . الجديد في هذا التكرار انه تم بمناسبة الزيارة الأولى - المهمة - التي تقوم بها وزيرة خارجية الولايات المتحدة لانتطقة الشرق الأوسط في وقت يتزايد فيه عدد المتشائمين من جدوى عملية السلام من أساسها .
لقد كانت التصريحات التي أدلت بها أولبرايت - عشية سفرها وفور وصولها إلى إسرائيل وخلال زيارتها لها - غير مشجعة ، وغير مطمئنة ، وهو - بالضبط - ما يريده ، وينتظره ، اللوبي الصهيوني من وراء هذه الزيارة ، لدرجة أن هناك من بين المعلقين والمحللين من تسوع وتنبأ بفشل هذه الزيارة قبل أن تبدأ ، وأثناءها ، وربما - أيضا - بعد انتهائها أزمة الثقة في الدور الأمريكي أصبحت حقيقة وتزداد وضوحا يوما بعد يوم وكم نتمنى لو نجحت السيدة مادلين أولبرايت اليوم أو غدا - في تغيير أو حتى تعديل - هذا الواقع المؤسف * .

وبعد الانتهاء من الحديث عن المقال التحليلي وعرض نماذج تطبيقية له .. يبقى في هذا الباب الحديث عن (الاسمية واللاسمية) أو توقيع المقالات باسماء كتابها من عدمه وهذا هو موضوع الفصل التالي والأخير في هذا الباب الأول .

* * * * *

الفصل الخامس

الاسمية واللاسمية في الصحافة (١)

وفي ختام حديثنا عن فن المقال في هذا الباب الأول نتعرض لنقطة هامة تتعلق بهذا الفن ، فيما يختص بتوقيع كاتبه عليه ، أو عدم توقيعه . وقد لاحظنا فيما سبق أن الصحف تنشر المقال الافتتاحي بغير توقيع كاتبه لأنه يعبر عن رأى الصحيفة وسياستها وليس رأى كاتبه . أما بالنسبة لغيره من مختلف أنواع المقال التى تعرضنا إليها فإن كل الصحف تنشرها موقعة باسماء كتابها لأنها تعبر عن آرائهم وأفكارهم بشرط ألا تتعارض مع سياسة الصحيفة فكيف نشأت الاسمية واللاسمية هذه فى الصحافة فى مختلف أنحاء العالم ؟ أو بتوضيح أكثر ماهى الجوانب التاريخية التى أدت الى اتباع هاتين الحالتين فى الصحافة وهما : توقيع المقال أو عدم توقيعه باسم كاتبه ؟ .

الجواب يتضح عندما نعلم أن الصحافة عند بدء ظهورها ، قد تميزت بأن ماينشر بها كان يخلو من التوقيع عليه باسم كاتبه ، فالصحافة كانت تعنى بالأخبار ، ولم تكن تتميز بطابع فنى انشائى يدعو محرريها الى العناية بابرار أسمائهم . وبعد أن أصبحت الصحافة صحافة رأى الى جانب كونها صحافة خبر . رأى الصحفيون أن عدم التوقيع على مايكتبونه من مقالات يكفل سلامتهم فى زمن كانت فيه الحكومات تعصف بالكتاب الذين يوجهون أى انتقادات إليها ، فاللاسمية (- Anonymity Anonymat) فى الكتابة كانت ضرورية فى معركة الحرية

(١) راجع تفاصيل ذلك فى كتاب الكور جمال الدين المليفى / حرية الصحافة ج ٢ (القاهرة ١٩٧٤) ص ٢٩٧ - ٣٠٠ .

التي خاضتها الصحافة في ذلك الحين .
وقد وقف لويس نابليون في فرنسا لهذه اللاسمية بالمرصاد ،
فأصدر تشريعا عام ١٨٥٠ يوجب توقيع جميع المقالات ذات الطابع
السياسي ، أو الديني ، أو الفلسفي ، ولايجيز نشرها الا موقعا عليها ،
وكان لويس نابليون بعد عدته في ذلك الحين لينصب نفسه امبراطورا على
فرنسا . وكان يعاني من هجوم الصحافة عليه ، فرأى أن يقيد حرية
الصحفيين في الكتابة مستعينا بهذه الوسيلة ، التي تضمن له محاكمة كل
من يجرؤ على انتقاده .

ورغم أن هذا القانون قد ألغى بعد ذلك عام ١٨٨١ حينما صدر
قانون الصحافة ، إلا أن نظام التوقيع على المقالات كان قد استقر في تقاليد
الصحافة الفرنسية بوجه عام والأدبية بوجه خاص . ومع ذلك ظلت إنجلترا
أمانة على نظام اللاسمية ، فأغلب ماينشر بها من مقالات ينسب الى
الجريدة ذاتها . فالمالوف أن يتحدث الناس عما كتبه التيمس أو الديلي
ميل . بينما تتخذ الصحافة في فرنسا طابعا شخصيا هو طابع المحرر
الذي يوقع على المقال .

أما في الولايات المتحدة الأمريكية ، فأننا نجد أسماء لامعة توقع على
كثير من المقالات والتحقيقات والأحاديث الصحفية ، الى جانب المقالات
التي تنشر بغير توقيع ، فكما ينسب الرأي الذي تضمنه المقال الى مجلة
نيوزويك مثلا أو الهيرالد تريبيون ، نجد أنه كثيرا ماينسب الى كاتب
المقال الذي وقع عليه .

أما في الصحف المصرية والصحف العربية بصفة عامة ، فإنها تعرف
النوعين : المقالات التي لاتحمل توقيعها ، وبالأخص في افتتاحيات الصحف ،
كما أنها تتميز بالمقالات والأعمدة الصحفية التي تنسب الى كتاب
يوقعونها باسمائهم كاملة ، أو بأسماء مستعارة ، أو بالأحرف الأولى من
أسمائهم ... الخ .

ولقد انقسم الرأي حول أفضلية كل من النظامين : أيوقع ماينشر في

الجريدة وبالأخص اذا كان مقالا أم لا يوقع ؟

ويبدو أن غالبية الصحفيين يميلون الى تأييد التوقيع على ما ينشرونه من مقالات . فهذا التوقيع هو الذى يحقق لهم ما يحبون من شهرة ، وهو الذى يربط بينهم وبين القراء ، ويقال فى ذلك أن الصحفي حينما يوقع مقاله يستطيع أن يصبح مرموقاً يحظى باهتمام الرأى العام ، بينما أقصى ما يحصل عليه حينما يكتب مقالا لا يوقعه ، هو تقدير رؤسائه فى الجريدة . ثم ان توقيع المقال يدفعه الى الاحساس بالمسئولية وإلى العناية بما يكتبه . أما ما يقال من أن نظام اللاسمية أكثر اتفاقا مع حرية الكاتب فى التعبير عن رأيه ، فانه حجة لم يعد لها وجود بعد أن زال الخطر على حرية الصحافة الى حد كبير .

ويعلل أنصار اللاسمية رأيهم بأن العمل الصحفي ، عمل جماعى والمقال الرئيسى فى أى جريدة لا يعبر عن رأى كاتبه ، بل عن رأى الجريدة وتسبقه عادة مناقشات بين المحررين المسئولين وخاصة فى مجلس التحرير ، وقد يعدل وفقاً لما يبدو منه من رأى فى هذه المناقشات ، ثم أن المقالات التى لاتحمل توقيعاً تكون ذات تأثير أقوى ، لأنها تعبر عن رأى جماعة من الصحفيين ، وليس مجرد رأى شخصى ، فضلا عن أن المناقشات الصحفية تتخذ فى هذه الحالة طابعاً موضوعياً ، فلا يتضمن ما تتضمنه المقالات التى يوقعها كاتبوها من اشارات شخصية أو انطباعات ، ذاتية تبعد المقال عن البحث الهادى .

وأيا كانت حجج كل من الفريقين ، فان الملحوظ فى الوقت الحاضر ، أن الصحف لاتخلو مما ينشر بها بغير توقيع ، فالأخبار بصفه خاصة تنشر أغلبها بغير توقيع ، وكثير من المقالات التى تعبر عن رأى الجريدة تنشر أيضا بغير توقيع ، أما الأعمدة الصحفية والمقالات والتحقيقات والأحاديث الصحفية وماشابه ذلك تنشر بتوقيع أصحابها عليها ومن طريف ما يروى عن الصحافة المصرية - فيما يتعلق بالأسمية

والأسمية - أن (الأهرام^(١)) كانت منذ صدورهما لاتهم كثيراً بنشر أسماء محرريها على مايكتبونه من مادة صحفية ، شأنها في ذلك شأن معظم الصحف التي صاحبها في تاريخها إلى أوائل الخمسينات من هذا القرن فقد كان من الواضح أن (آل تقلا) يريدون أن يكون (الأهرام) وحده هو البطل ، وبالتشابه مع أهمية ضغط المصروفات " الذي كان يصل إلى حد البخل في بعض الأحيان ، فقد بدأت بعض التوقيعات بالاسم الأول أو الآخر تظهر في (الأهرام) خلال الثلاثينيات ، عندما وجد (بشارة تقلا) أن الذين يسافرون إلى الخارج يبعثون ببرقياتهم المذيلة بأسمائهم الثلاثية كاملة أو بالاسم الموجود في جواز السفر ، والذي يعتمد من مكتب التلغراف ، وبعضه رياضي مما يزيد من تكلفة إرسال البرقية . . هنا أعطى (بشارة تقلا) تعليماته إلى هؤلاء : بأن تكون البرقية مختصرة للغاية ، ولا توقع باسم المحرر لأن الأهرام يعرف صاحبها . فإذا كان لابد بسبب نظم الاتصالات ، فهي الكلمة الأولى أو الأخيرة فقط من اسم المراسل .

ويضيف بعض الخبثاء أن (بشارة تقلا) سأل وقتها . ألا يمكن التوقيع بالحرف الواحد ؟ وعندما قيل له أن التوقيع بالحرف يكلف نفس المبلغ الذي يتكلفه التوقيع بالاسم ، ولأن الكلمة وحدة التعامل التلغرافي في العالم كله . أمر بعدم التوقيع إلا في حالة الضرورة ، وباسم واحد فقط ، على أن تكون القاعدة هي عدم التوقيع .

كذلك كان (أنطون الجميل) وهو من رؤساء تحرير الأهرام يتردد كثيراً في نشر اسم محرر من المحررين مهما كانت قيمة عمله . ثم ينشره على استحياء

(١) راجع في ذلك محمود آدم / أسماء على الصفحات (القاهرة ١٩٨٨) من ٤٤ - ٤٧ و ١٠٣ و ١٠٤ .

ويبينط صغير لا يكاد يرى .. يقول مصطفى أمين^(١) : أن أنطون الجميل كان لا يوقع مقالاته . ومن عادته أنه إذا تقدم إليه محرر بمقال كان لا يقرأ عنوانه ، وإنما يقرأ الصفحة الأخيرة منه . فإذا وجدته موقعاً وضعه في درج خشبي مخصص للمقالات المؤجلة ... كان أحمد الصاوي محمد ، يكتب مقالا في الصفحة الأولى من الأهرام بعنوان (ما قبل ودل) وكان أنطون الجميل يضيق بهذا الإمضاء ، كما كان يضيق بكل امضاء . وراح يؤجل مقالات الصاوي ، ويمنعها ، حتى ضاق الصاوي بمنعها وترك الأهرام ، وذهب الى جريدة المصري ينشر صفحة كاملة كل اسبوع ، ثم يجمعها في كتب أصبحت أشهر الكتب العربية أثناء الحرب العالمية الثانية .

وشتان الفارق بين (سليم تقلا) و (أنطون الجميل) وبين (محمد حسنين هيكل) الذي انتقل الى رئاسة تحرير الأهرام في ٣١ يوليو ١٩٥٧ ، فيما يتعلق بالاسمية واللاسمية حيث كانت سنة ١٩٥٧ هي التي اتضح فيها تماماً الفارق الكبير بين مدرسة الأهرام القديمة التي تجعل الأهرام هي البطل ، ومدرسة الأهرام الجديدة (المطعمة) بالدم الصحفي الجديد بعدد من أبناء مدرسة أخبار اليوم التي تركز على نشر أسماء محرريها على مايكتبون . لقد تضاعف اهتمام الأهرام بنشر أسماء المحررين على مايكتبون ... ونجح (محمد حسنين هيكل) في تحويل عدد ليس بالقليل من محرري الأهرام القدامى - وهم على درجة عالية من الكفاءة - الى نجوم مشهورين بين قراء الجريدة . كما نجح في استقطاب عدد من المحررين والكتاب النجوم أصلا ليضاعف من نجوميتهم وشهرة أسمائهم في عالم الصحافة .

* * * * *

وبانتهاء الحديث عن أنواع المقال وعرض نماذج تطبيقية لها وكذلك توقيع المقالات بأسماء كتابها من عدمه .. نكون قد وصلنا الى نهاية الباب الأول بفصوله الخمسة التي اشتملت على تسعة مباحث .. وننتقل بعد ذلك إلى الباب الثاني من هذا الكتاب والذي يدور حول (فن التقرير الصحفي) ...

* * * * *

(١) عمود فكرة تحت عنوان (أنطون الجميل) منشور بجريدة الأخبار بتاريخ ٩ يونيو ١٩٨٧ م .

الباب الثاني

فن التقرير الصحفي وأهم أنواعه

الفصل السادس : مفهوم التقرير الصحفي وكتابته

الفصل السابع : التقرير الإخباري

الفصل الثامن : التقرير التحليلي

الفصل التاسع : تقرير عرض الشخصيات

الفصل السادس

(١) مفهوم التقرير الصحفي وكتابته

أولاً: مفهوم التقرير:

التقرير الصحفي بأنواعه المختلفة فن يقع ما بين الخبر والتحقيق الصحفي ... ويتميز بالحركة والحيوية في مجموعة المعارف والمعلومات التي يتضمنها .. كما أنه لا يقتصر على استيعاب الجوانب الجوهرية أو الرئيسية في الحدث فقط مثل الخبر إنما يستوعب أيضاً وصف الزمان ، المكان ، والأشخاص ، والظروف التي ترتبط بالحدث ... ويسمح كذلك بإبراز الآراء الشخصية ، والتجارب الذاتية للمحرر الذي يكتبه ، ولا يقتصر فقط على الوصف المنطقي والموضوعي للأحداث ، وعلى ذلك فكلما كان المحرر شاهد عيان على الحدث كلما زادت فرصه النجاح أمام التقرير الصحفي ... وبالإضافة إلى ذلك فيفضل أن تظهر شخصية المحرر حيث يكون من حقه أن يعرض انطباعاته الشخصية ، وأرائه ، وأحكامه ، وإستنتاجاته وإن يقدم الأشخاص ويعرض وجهات نظرهم ... بل يمكنه أيضاً أن يقدم معلومات ذات طابع وثائقي ويتميز التقرير الصحفي بتقديم صورة سريعة للحدث ، أو يقوم بالتركيز على جانب واحد منه ، دون أن يفرق ويتعمق في التفاصيل ، المدعمة بالبحث ودراسة الأبعاد المختلفة مثل التحقيق الصحفي ...

وينحصر هدف كاتبه في إثارة اهتمام القارئ بالموضوع الذي يتناوله ، وذلك بتقديم معارف ومعلومات جديدة أو طريفة أو غريبة ، أو مسلية عن حدث من الأحداث الجارية ، وقد لا يزيد هدف التقرير عن مجرد تسلية القارئ وامتناعه بالمعلومات الغريبة ، وهذا يختلف عن التحقيق الصحفي الذي يستهدف اقناع القارئ بأهمية وخطورة القضية أو المشكلة أو الفكرة

(١) راجع في ذلك فن الكتابة الصحفية / مرجع سابق ص ١٣٥ - ١٤٢ .

التي يطرحها التحقيق ، وذلك بهدف كسب الرأي العام لصالح مايطرحه ..
وفيما يتعلق بالأسلوب ، فإن التقرير الصحفي لا يصلح له إلا الأسلوب
البسيط الواضح ، والجمل القصيرة ، وجمع أكبر قدر من الحقائق
والمعلومات في أقل قدر ممكن من الكلمات ، وهو في ذلك لايعنيه أن
يسجل كل الحقائق بالأرقام ، أو يدعمها بالبيانات والاحصاءات والرسوم ،
وذلك على العكس من التحقيق الذي يحتاج الى أسلوب بسيط ولكن عميق ،
ويعتمد على الدراسات والأبحاث ، ويستعين بالأرقام والاحصاءات والرسوم
الأيضاحية وغيرها ..

وأخيراً ، فإن التقرير الصحفي غالباً مايكتفى بزاوية واحدة ، أو اثنتين
من زوايا الخبر أو الفكرة أو القضية التي يتناولها .. وقد تكون الزاوية
الانسانية ، أو السياسية ، أو الفكرية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية دون أن
يتطرق لباقي الجوانب التي هي مهمة التحقيق الصحفي .. ولكن مع ذلك
فإن التقرير الصحفي يتفق مع التحقيق الصحفي ، في أنه قد يشتمل على
بقية الفنون الصحفية الأخرى كالخبر والتعليق والحديث ، والصور والرسوم
ويكتفى بالاجابة عن سؤال لماذا ؟ ويكشف عن شخصية كاتبه ، وليس مطالباً
بالتعبير عن سياسة الجريدة وإن كان مطالباً بالاي تناقض معها ويرسم صورة
واقعية للحياة ولايقوم على الخيال .

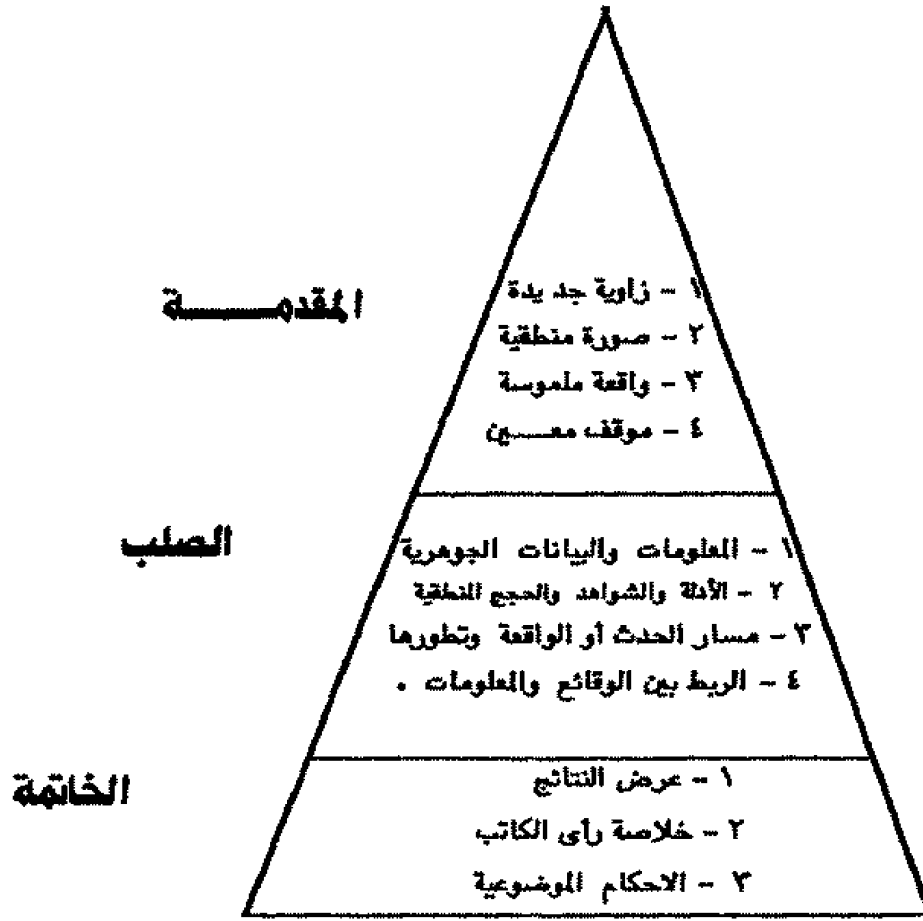
ثانياً : كتابة التقرير :

يكتب التقرير الصحفي بطريقة الهرم المعتدل ... ويحتوى على ثلاثة
أجزاء هي : مقدمة التقرير ... وجسم التقرير وخاتمة التقرير .
(١) : المقدمة ، عبارة عن مدخل أو مطلع يهدف لموضوع التقرير ، ويهيئ
لنمن القارئ للقراءة ... ويتناول زاوية معينة من زوايا الموضوع
المطروح يختارها الكاتب بعناية .. وهذا المدخل أو التمهيد لا يضم
خلاصة الموضوع أو أهم حقائقه ، وإنما يضم واقعة ملموسة أو
موقفاً معيناً ، أو صورة منطقية ، أو زاوية جديدة لموضوع غير جديد .
وتتحدد قيمة هذه المقدمة في مقدرتها على جذب اهتمام القارئ
للموضوع الذي يعالجه التقرير الصحفي ، ودفع القارئ الى متابعة قراءة
بقية حتى النهاية .

(٢) : جسم التقرير ، وهو الجزء الذى يضم المعلومات والبيانات الجوهرية فى موضوع التقرير كما يضم الأدلة والشواهد والحج المنطقية التى تدعم الموضوع الذى يتناوله التقرير ، ومن الضرورى أن يحرص كاتبه على الربط بين الوقائع التى يتضمنها التقرير ، وأن يكشف عن العلاقات بينها ، ويظهر ماوراءها أو مايكتنفها من غموض

(٣) : خاتمة التقرير ، وهى آخر جزء فى التقرير والتى يكشف فيها الكاتب عن نتائج أو خلاصة ماتوصل اليه ، أو يقدم أهم نتيجة أو حقيقة وصل اليها خلال بحثه فى موضوع التقرير ... ومن الضرورى أن يراعى الكاتب فى خاتمة التقرير أن تثير فى ذهن القارئ حواراً حول موضوع التقرير ، وتدفعه الى التفكير فى الموضوع ومتابعته فيما يعد ان كان الموضوع يستحق المتابعة ... وان تترك الخاتمة أيضاً صدى عن موضوع التقرير لدى القارئ ، وتدفعه - فى بعض الأحيان الى اتخاذ موقف ، أو تكوين رأى معين تجاه الموضوع ، أو المشكلة التى يثيرها التقرير .

والشكل التالى يوضح طريقة كتابة التقرير الصحفى المبني على قالب الهرم المعتدل .



شكل رقم (٤) يوضح البناء الفنى للتقرير الصحفى المبني على قالب الهرم المعتدل .

إن بناء التقرير الصحفى من مقدمة وجسم وخاتمة ، وقيام هذا البناء على تسلسل منطقى ، يجعل من أجزاء التقرير وحدة عضوية مترابطة ليس من السهل قطع أو حذف أى جزء منها دون أن يتأثر بذلك بناء التقرير نفسه وغالباً مايؤدى حذف أى جزء ولهم صغير منه إلى صعوبة فهم هدف التقرير ونتيجته ، واهتزاز فكرته الأساسية وتسلسله المنطقى ... وهذا بعكس الخبر الصحفى الذى يتكون من مقدمة وجسم فقط واحتواء هذا الجسم على الحقائق الأقل أهمية مما ورد فى المقدمة ، مما يتيح للصحيفة أن تحذف من جسم الخبر أية أجزاء دون أن يؤثر ذلك فى سياق الخبر ..

وهناك عدة أنواع من التقرير الصحفي تختلف باختلاف المجالات التي تطرقها ... وأهم هذه الأنواع ثلاثة هي : التقرير الأخباري .. والتقرير الحى .. وتقرير عرض الشخصيات .. ونتناول كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة فى فصل مستقل من الفصول التالية ، مع مراعاة التأكيد على انه لا يوجد فصل تام بين أنواع التقرير الصحفي الثلاثة ، حيث توجد تقارير قد تجمع بين صفات التقرير الاخبارى ، وفى نفس الوقت تحمل بعضا من صفات التقرير الحى ، فالصحافة مهنة لاتعرف الحدود الصارمة القاطعة بين الفنون الصحفية ، ولا القوالب الجامدة التى يصيب فيها كل فن ، والعبرة فقط فى التسمية هى تغلب صفات نوع معين منها على تلك الأنواع الأخرى ، فتطلق التسمية عليه على أساس تلك الصفات الغالبة .

* * * * *

الفصل السابع

التقرير الاخبارى^(١)

يهتم التقرير الاخبارى فى المقام الأول بعرض ، وشرح وتفسير بعض زوايا أو جوانب ، أو الأحداث ، أو الوقائع اليومية الجارية ... وهو لذلك يسمى فى بعض الأحيان بتقرير المعلومات أو التقرير الموضوعى . ويؤدى هذا النوع مهمة تقديم بيانات ومعلومات جديدة عن خبر أو حدث لا يستطيع الخبر الصحفى أن يوفيه حقه فى النشر وإبراز زوايا أو جوانب جديدة عن حدث معروف أو قديم ... وتقديم الخلفية التاريخية ، أو الخلفية الوثائقية للخبر أو الحدث الذى يتناوله التقرير بهدف توضيح الجوانب الغامضة أو غير المفهومة فى الحدث ... وكذلك تقديم تقييم موضوعى لهذه البيانات سواء كانت عن طريق الأحكام والاستنتاجات التى تدلى بها الشخصيات التى يستشهد بها كاتب التقرير أو تلك التى يتوصل إليها بنفسه .

ولابد أن يتصف التقرير الاخبارى بصفتين بارزتين : الصفة الأولى هى الالتزام بالأسلوب الموضوعى فى عرض المعلومات والبيانات والآراء ، وعدم التحيز لأى جانب أثناء سرد المعلومات أو تقييمها وتعميم نتائجها .. ولذلك يفضل أن يميز كاتب التقرير تمييزا واضحا بين ماهو أخبار أو معلومات أو بيانات بحتة ، وبين ماهو رأى كاتب التقرير نفسه أو رأى أى من الشخصيات التى يستشهد بها ..

والصفة الثانية : انه بنفس القدر الذى يجب أن يهتم فيه كاتب التقرير بتقديم المعلومات والبيانات الجديدة ، لابد أن يهتم أيضا بتقديم

(١) انظر فى ذلك المرجع السابق ص ١٥١ و ١٥٢ .

الخلفية التاريخية لموضوع التقرير ، خاصة تلك الخلفية ذات الطابع الوثائقي والتقرير الاخبارى هو الذى يلبي اليوم الاحتياجات الاعلامية للقارئ المعاصر ، وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الحيوية فى المجتمع الحديث ... لذلك يندرج تحت هذا النوع العديد من التقارير مثل : التقرير السياسى ، والتقرير الاقتصادى ، والتقارير التى تعرض للحروب ، والأزمات ، والكوارث ، والزلازل ، وشئون التعليم ، والصحة ، والعلوم .. أى أن أكثر مجالات التقرير تنصرف الى تغطية (الأخبار الجادة Hard News) وهى الأخبار التى تحيط القراء علما بالأحوال والمواقف الهامة التى من شأنها التأثير فى حياتهم ومستقبلهم ان عاجلا أو آجلا .. والقليل من التقارير الاخبارية يتصرف الى تغطية (الأخبار الخفيفة Soft News) وهى الأخبار التى تثير انتباه القراء وتسليهم .. والتقرير الاخبارى شأنه شأن بقية أنواع التقارير الصحفية يكتب بقلب الهرم المعتدل الذى سبق ايضاحه ..

نموذج تقرير اخبارى :

وفيما يلى نقدم نموذجا تطبيقيا لتقرير اخبارى كتبه (محمد خلف مصطفى) تحت عنوان (اثيوبيا تسعى الى تغليب المياه)^(١) وهو يدور حول مآتشيعه اثيوبيا حول حقها فى الانفراد بمواردها من المياه . مما يعنى حرمان دولتى المصب مصر والسودان من نسبة كبيرة من المياه ويهددهما بجوع مائى لايدرى غوائله إلا الله ... وفيما يلى نص هذا التقرير الاخبارى .

إثيوبيا تسعى إلى تغليب المياه

دأب الجانب الاثيوبى خلال السنوات القليلة الماضية على اطلاق سيل من التصريحات المتتالية حول حق اثيوبيا فى الانفراد بمواردها الطبيعية ، وأهمها المياه ، وهو أمر يستحيل تنفيذه عملياً حتى مع التسليم بقدرتها على تنفيذ جميع مشروعات السدود والخزانات المزمع إقامتها على النيل داخل حدودها . ومن ثم تقليل الموارد المائية خلال موسم الفيضان المرتفع بمقدار ٦ مليارات متر مكعب ، إلا أن يتم تحويل مجرى النهر فى اتجاه البحر الأحمر ، كما يشاع حالياً ، مما يعنى حرمان دول حوض النيل ، وخاصة دولتى المصب ، أى مصر والسودان ، من نسبة ٨٥ ٪ من اجمالى المياه الواردة عبر المجرى

وحيثذ يصبح الأمر جد خطير بل ومصرياً .

(١) جريدة (الأسبوع) القاهرية العدد (١٢) بتاريخ ٥ مايو ١٩٩٧ ص ٦ .

قصة مكررة

وما اثاره وفد اثيوبيا خلال المؤتمر الدولي للمياه بمراكش مؤخرا حول زيادة حصة مصر من مياه النيل على حاجتها ، مدللا على ذلك بمشروع مد المياه الى سيناء عبر ترعة السلام ، ودلتا جنوب الوادي الجديد عبر مفيض توشكى ، ومن ثم ضرورة تقليص حصص المياه لدولتي المصب ، باعتبار مشروعات التنمية المائية والزراعية المخططة لاثيوبيا من قبل دول محددة ، ليست بالحدث الجديد ، فقد اتصلت من التزاماتها الدولية خلال السبعينيات متعللة بعدم توقيع حكومتها على أية اتفاقية للمياه مع مصر ، ومتناسية حق دول المصب في مجرى دولي طبقا للمواثيق الدولية ، وما استقر على ضفاقة من حضارات كبرى منذ الالف السنين .

وقد تصدت القيادة المصرية لهذا الادعاء الاثيوبي وقتذاك بصرامة وصلت الى حد التهديد بالمواجهة العسكرية لتحول دون المساس بنسيج الحياة الأوحد والشریان للشعب المصرى بجميع قطاعاته مدركة تماما انها مجرد "نواطع" جليدية تحرك خيوطها اياك تفيض احكام الخناق حول مصر ، لتتسنى لها الهيمنة على دول الحوض الفقيرة ، او كما يشاع حاليا لارغام مصر على مد المياه الى اسرائيل فى اطار اتفاقية مشتركة بين هذه الدول . واجتمع الرأى على عجز اثيوبيا تماما عن اقامة تلك المشروعات لعدة اسباب من اهمها افتقارها للموارد المالية المطلوبة لتنفيذها ، واحجام الجهات المانحة عن امدادها بالقروض اللازمة لغياب مشروعات التنمية المأمونة التى تضمن حق الجهات المانحة فى سداد تلك القروض ، وافتقارها الى مساحات التوسع الزراعى المستفيدة من تلك المشروعات ، الا من يقع متناثرة أعلى الهضاب ، واعتماد الزراعة فى معظمها على مياه الامطار الغزيرة التى يتسرب ٨٠ ٪ منها الى باطن الارض .

وخلال تولي الراحل الدكتور عبد الهادى راضى مسئولية وزارة الرى ، امكن تشكيل لجان مشتركة غير معلنه لسياسية الجانب الاخر من الاعلام ، امكنها الاتفاق على مشروعات ثنائية ومتعددة الاطراف لتنمية موارد النهر لصالح البلدين .

ولكن فى مؤتمر مراكش يختلف الامر ، فقد هدمت اثيوبيا اخر ركيزة كنا نعتد عليها ، وكشفت عن استعداد بعض الدول لتمويلها ، وان لم تحدها بالاسم ، لكنها معلومة ، فهما الدولتان اللتان تغجران يؤر النزاع فى المنطقة لتتقاسما خبراتها ، وتتوغلا فيها بهدف السيطرة - فى ظل النزاع الاقليمى بين دول القارة السوداء - على المياه وعلى مخزون الموارد العديدة التى تزخر

بها ، وتطبيق المبدأ الذي يتناوبان به خلال السنوات الأخيرة بأعادة تقسيم الموارد بين دول المنطقة دون حدود فاصلة ، وأيضا حق كل دولة لديها فائض مائى فى إقامة مايسمى ببنوك المياه ، فتعرضها كايه سلعة للبيع لأيه دولة ، وبأية وسيلة ممكنه . وهو ما يؤكد مايشاع حاليا من رغبة اثيوبيا فى تحويل مجرى النهر فى اتجاه البحر الاحمر لنقلها بواسطة ناقلات ضخمة الى الدول المشترية وما اكثرها فى المنطقة بدلية من عدن وحتى الكويت بالإضافة الى اسرائيل .

البيسدايسية

وجميع تحركات اثيوبيا واستفزازاتها تعتمد على تقرير وضعه المكتب الأمريكى لاستصلاح الاراضى عام ١٩٦٤ حول الموارد الارضية والمائية بحوض النيل الأزرق ، يقترح اقامه ٢٢ سدا وخزاناً ، بهدف رئيسى هو توليد ٢٨٥ مليار كيلو وات / ساعة من الكهرباء ، إذ يصل إجمالى سعة تخزينها الى ٤٢٨١١٨ مليار متر مكعب ، ثم رى ٤١ - ١٠ مليون فدان أعلى الهضاب المحيطة فقط بعد مدها باحتياجاتها المائية التى تقدر بحوالى ٦ مليارات متر مكعب سنويا ، لعدم وجود اراضى بحوض النيل الأزرق يمكن زراعتها .

وقد اقترح التقرير بناء اربعة سدود كبيرة فى الجزء الاخير من المجرى ، أكبرها سد كاراديسى ، ثم ماييل ومنديا والحدود الاثيوبية - السودانية بإجمالى سعة تخزينية ٥٠ مليار متر مكعب ، بما يعادل جملة تصريف النيل الأزرق ، وأجمالى طاقة كهربائية مولدة ٢٥ مليار كيلو وات / ساعة ، لم يبن حتى الآن سوى سد قنشا عام ١٩٧٢ بعد موافقة البنك الدولى على تمويله عام ١٩٦٩ ، لجزء ٤٠٠ مليون متر مكعب من المياه .

ويلاحظ انه فى حالة استكمال جميع المشروعات المقترحة يصبح يوسع اثيوبيا اقتطاع حوالى ٦ مليار متر مكعب من مياه النيل الأزرق ٥ ر ١ مليارات م ٣ من السوياط ونصف مليار م ٣ من نهر عطبرة ، وعلى الرغم من اقتراض البعض انه عند التنسيق مع دول نهاية الحوض تصبح تلك المشروعات مفيدة للجميع ، الا أن تلك الافتراضات نظرية ، ولانستبعد وجود نية مبيتة للعبث بمجرى النيل او تحويله ، وهو ما يهدد دول المصب بجوع مائى لا يدرى غوائله الا الله .

تحليل التقرير

وواضح أن هذا التقرير الاخبارى قد اهتم بحدث من الأحداث الجارية ، يتعلق بقضية اقتصادية حيوية ومصيرية بالنسبة لدولتى مصب نهر النيل (مصر والسودان) وشعبيهما فى آن واحد ، حيث عرض المحرر فى مقدمة التقرير خلاصة وافيه للحدث الذى يتناوله التقرير .. وبعد ذلك تدخل المحرر الى صلب التقرير فقام بشرح وتفسير بعض زوايا ذلك الحدث ، وقدم معلومات وبيانات جديدة لحدث لا يستطيع الخبر الصحفى أن يوفيه حقه فى النشر ، كما أبرز جوانب وزوايا جديدة لهذا الحدث المعروف

وقدم أدلة وشواهد وحججا منطقية وتقييما موضوعيا لها ، وخرج باستنتاجات وأحكام تدعم وجهة نظره ، وتقنع القراء وتجذبهم الى صفه بالاضافة الى اهتمام المحرر بتقديم الخلفية التاريخية للحدث ، بهدف توضيح بعض الجوانب الغامضة أو غير المفهومة فى الحدث حيث أكد أن هذه المشكلة التى يعرضها * تحرك خيوطها أيا تبغى أحكام الخناق حول مصر ، لتسنى لها الهيمنة على دول الحوض الفقيرة ، أو كما يشاع حاليا لارغام مصر على مد المياه إلى اسرائيل فى اطار اتفاقية مشتركة بين هذه الدول * .

وأوضح التقرير بطريقة غير مباشرة أن هذه الأيادي تتمثل فى أمريكا واسرائيل * فهما الدولتان اللتان تفجران بؤر النزاع فى المنطقة لتتقاسما خيراتها ، وتتوغلا فيها بهدف السيطرة - فى ظل النزاع الاقليمى بين دول القارة السوداء - على المياه ، وعلى مخزون الموارد العديدة التى تزخر بها * ... كما اعتمد المحرر على الخلفية ذات الطابع الوثائقى لتحقيق الهدف نفسه بقوله : " وجميع تحركات اثيوبيا واستفزازاتها تعتمد على تقرير وضعه المكتب الأمريكى لاستصلاح الأراضي فى عام ١٩٦٤ حول الموارد الأرضية والمائية بحوض النيل الأزرق * ...

وفى ختام التقرير لخص الكاتب تقييما للحدث الذى تعرض له ، معتمدا فى هذا التقييم على ما سبق وقدمه فى صلب التقرير من معلومات وشواهد وبيانات ومعلومات خلفية ووثائقية ، وطرح استنتاجه الخاص وضمن كل ذلك الفقرتين الأخيرتين من التقرير

* * * * *

ونكتفى بهذا القدر حول التقرير الاخبارى ... وننتقل الى الفصل التالى للحديث عن التقرير الحى

* * * * *

الفصل الثامن

التقرير الحى (١)

يركز (التقرير الحى) على التصوير الحى للوقائع والأحداث ، حيث يهتم برسم صورة الوقائع أو الأحداث أكثر مما يهتم بشرحها أو تحليلها أو تفسيرها ... ويشترك (التقرير الحى) مع (التقرير الاخبارى) فى أنهما يتناولان الوقائع والأحداث الجارية ... ولكن فى حين يركز التقرير الاخبارى على سرد البيانات والمعلومات حول الواقعة وتحليلها وتقييمها ، نجد أن التقرير الحى يركز على وصف الحدث نفسه أو الواقعة ذاتها ...

وظائف التقرير الحى :

ويقوم التقرير الحى بأداء الوظائف التالية :

(١) وصف الحدث ، والظروف المحيطة به ، والمناخ الذى تم فيه ، والناس الذين ارتبطوا به .

(٢) عرض وتصوير وتسجيل التجارب الذاتية ، سواء تجارب المحرر كاتب التقرير نفسه مع الحدث ، أو تجارب الأشخاص الذين يعسهم الحدث أو الذين لهم علاقة به .. وهو كثيرا ما يدع الناس يتكلمون بأنفسهم ويرسمون بتعبيراتهم الخاصة صورة الحدث كما وقع أو كما تصوره وهو يقع .

(٣) التعبير عن الأفكار والمشاعر الشخصية لكاتب التقرير، أو الأشخاص الذين يدور حولهم الحدث ويعكس رؤيتهم الخاصة له

(٤) أن يجعل القارئ يعيش فى الحدث نفسه ، وكأنه شارك فى رؤيته . ويستعين (التقرير الحى) فى كثير من الأحوال ، بالعديد من الأدوات والأشكال التى يستعين بها التحقيق الصحفى ، ولكن الفرق بينهما — أن (التقرير الحى) يكتفى بالتركيز على زاوية واحدة فقط من زوايا الموضوع

(١) راجع فى ذلك فن الكتابة الصحفية / مرجع سابق ص ١٥٩ و ١٦٠

أو القضية أو الحدث ، فى حين يهتم التحقيق الصحفى بموضوع القضية ككل أو بالعناصر الجوهرية فى القضية لا يعنصر واحد منها فقط كما فى التقرير ، ثم ان التقرير الحى يقوم على التركيز الشديد ، فى حين يفسح المجال أمام التحقيق الصحفى للأسهاب فى عرض القضية أو المشكلة بجميع جوانبها .

وينصرف الجانب الأكبر من التقارير الحية الى تغطية (الأخبار الخفيفة .. soft News) مع وجود جانب آخر يغطى (الأخبار الجادة Hard News) والتقرير الحى يكتب أيضا بطريقة قالب الهرم المعتدل ...

نموذج للتقرير الحى :

وفيما يلى نموذج للتقرير الحى نشرته جريدة (أخبار اليوم) تحت عنوان (عاصفة ترابية لم تشهدها مصر من قبل) بتاريخ ٣ / ٥ / ١٩٩٧

عاصفة ترابية لم تشهدها مصر من قبل

كانت الساعة قد جاوزت الثالثة بعد الظهر والقاهرة تعيش " يوم جمعة عانى " عندما احمرت السماء فجأة رياح مفاجئة محملة بالرمال الصفراء غطت شوارع وبيوت القاهرة . عاصفة ترابية عنيفة لم تشهدها مصر من قبل . رياح مجنونة وصلت سرعتها - كما صرح شريف حماد نائب رئيس هيئة الأرصاد الجوية - الى ١١٠ كيلومترات فى الساعة أخذت تعبث فى قسوة بالاشجار وتوافد البيوت وتحطم الزجاج هنا وهناك وزاد عنف العاصفة الترابية التى وصفها نائب رئيس هيئة الأرصاد بأنها موجة خماسينية شديدة نتيجة تكون منخفض جوى حرارى فى الصحراء الغربية أدى الى تأثر البلاد برياح جنوبية غربية نشطة وانعدم مجال الرؤية فى الشوارع الى امتار قليلة حتى توقفت حركة المرور فى الشوارع الرئيسية خوفا من وقوع حوادث تصادم . وخلال دقائق وبسبب انعدام الرؤية صدر " اعلان طيارين " لجميع الطائرات القادمة الى مطار القاهرة .. باغلاق المجال الجوى للمطار امام حركة الملاحة الجوية بعد أن انعدم مستوى الرؤية تماما فوق المطار وصرح اللواء رؤوف المناوى مساعد وزير الداخلية للعلاقات العامة أن اللواء حسن الالفى وزير الداخلية طلب فور هبوب العاصفة عمل غرفة عمليات طوارئ بالمركز الاعلامى للاتصال بكل المحافظات لتلقى بلاغات الخسائر من العاصفة كما أصدر توجيهاته لادارات " النجدة والدفاع المدنى والاطفاء بالانتشار فى الحال فور تلقى أية بلاغات وصرح اللواء المناوى أن وزارة الداخلية لم تطلق أى بلاغات خطيرة عن حدوث خسائر فى الساعة الاولى للعاصفة وانه تم اغلاق الطرق الصحراوية مؤقتا لتفادى وقوع أية حوادث بسبب انعدام الرؤية .. وأكد عبد المنعم عبد الرحمن رئيس الهيئة العامة للأرصاد الجوية أن هذه الظاهرة لم تحدث فى القاهرة منذ ٣٠ سنة وإن كانت متوقعة فى مثل هذه الأيام حيث فصل الربيع الملىء بالتقلبات الجوية .. لكنه قال إنه حدثت مقدمات يوم الخميس الماضى حيث ارتفعت درجة الحرارة فى القاهرة الى ٣٧ درجة ، وقال إن الاحوال

الجوية سوف تتحسن اليوم ومتوقع أن يحدث انخفاض فى درجة الحرارة من ١٠ الى ١٥ درجة مع تكاثر السحب المنخفضة وسقوط الأمطار .

وخلال العاصفة اختفت شوارع القاهرة أوكادت من المارة الذين هرعوا الى بيوتهم .

القيامة قامت

اطاحت الرياح بشار الاتاناس من على عربة يائح الفاكهة المتجول على محفوظ وأسرع يجرها فى نهول . وقال عليه العوض ومنه العوض .. فغضب ربنا على الناس باين القيامة هاتقوم .

بينما اخذ سيد جلال يعدو الى بيته تاركا الورشة التى يعمل بها بجوار مصلحة السجون فى الفلكي . وهو يصرخ لا اله الا الله القيامة قامت ياناس !

وفى شارع الجلاء اخذ السائح الفرنسى " جونيه " يعدو بالملابس الرياضية فى اتجاه فندقه بعد أن هاجمته العاصفة فى يومه الثالث والاخير بالقاهرة . وقال لم أشهد فى حياتى شيئا مثل ذلك .. وعندما " اصفرت " السماء اعتقد انفجار قبله نوبه .. شىء عجيب بالفعل .. لكنى مدهول من بساطة وجراة الناس فى التعامل مع الذى حدث !

ووقف العجوز شيبوب سعد حائرا لايعرف كيف يعبر الطريق وقد انعدمت الرؤية امام عينيه يالطيف يارب .. انا ماشفتش كده الا من حوالى ٤٠ سنة !

اغلاق المطار

واخذت الطائرات القادمة الى القاهرة تحلق فى المجال الجوى حائرة لدقائق بعد أن انعدمت الرؤية واصبح الهبوط فى المطار مسألة محقوفة بالمخاطر ، لكن سرعان ما صدر " اعلان طيارين " لجميع الطائرات واعلن برج المراقبة الرئيسى بالمطار حالة الطوارئ لتفادى حدوث أية مخاطر قد تتجم عن سوء الرؤية ، وتم تحويل مسارات عدد كبير من الطائرات القادمة من نيويورك ويودابست وكراتشى ولارناكا الى مطارات الفرقة والاسكندرية واسوان على التوالى ، كما تم تحويل مسار الرحلة ٦٦٨ المصرية القادمة من جدة والرحلة ٢٢٤ المصرية القادمة من اسوان الى مطار الفرقة لكن الرياح اطاحت بعدد من الالافات الاعلانية امام المطار ، واصيب عدد من العاملين والمتربدين على المطار ، من بينهم سائق سيارة اجرة واصيب بجرح قطعى فى صدره ونقل الى عيادة الحجر المصحى لاسعافه .

وكانت الاشجار اولى ضحايا العاصفة التى اقتلعت عددا منها فى عنف فقد تلقى قسم شرطه الدقى ٤ بلاغات سقوط اشجار على سيارات ملاكى واجره بشارع عبد الرحيم صبرى كما سقطت شجرة عملاقة فوق ٦ سيارات فهشمتها وسقطت بعض الاشجار امام مسرح نجم بالدقى .

وفى منيل شيخه لقى المواطن رجب احمد ابو هنيدي ٦٠ سنة مزارع مصرعة عندما سقطت شجرة على رأسه بالقرب من منطقة طموه بعنيل شيحة ولفظ انقاسه فى الحال ، ولقيت الطفلة أميرة احمد جمال سالم مصرعها نتيجة سقوط سور منزل عليها فى منشية ابو العباس بالعايط .

وامام فندق الواحة سقطت شجرة ضخمة اعاققت المرور على طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوى فانتقلت قوة من ادارة المرور بقيادة العقيد مصطفى عبد الفتاح وتم ازالة الشجرة وتحقيق سيولة المرور ، بعد ان صدر قرار باغلاق الطريق تفاديا لأخطار العاصفة وانعدام الرؤية .

وفى حديقة الحيوانات سقطت عدة اشجار داخل الحديقة وتناثرت على السور الخارجى وتم رفع الاشجار دون حدوث خسائر بين رواد الحديقة الذين غادروها فور وقوع العاصفة .

وفي شارع حشمت اطاحت الرياح بجزء من سقف شقة لكن لم يصب احد من السكان لكن في المرج اطاحت العاصفة بالمواطن صلاح سعد فراج (٤٢ سنة - جزائر) من الدور الثالث ونقل الى مستشفى المطرية مصابا بكسور .

وعندما حاول جمال عطيه يحيى (٢٥ سنة) الاختباء بجوار كشك كهرباء هربا من العاصفة انفجر كابل كهرباء واصيب بحروق في اثناء جسه بنسبة ٨٠ % .

وايضا عندما حاول عبد الناصر حامد محمود (٢٢ سنة سائق) بعين شمس الغربية الاختباء خلف سور احد المنازل انهار السور فوق راسه فاصيب ونقل الى مستشفى المطرية . كما استقبل المستشفى ايضا يحيى محمد طه (٢٢ سنة) بعد ان سقط برميلان فوق راسه وتلقت شرطة النجدة بلاغا بسقوط لوحات اعلانية على امتداد كيلو متر بشارع صلاح سالم عند منحني باب الوزير حتى الدراسة ادت الى توقف حركة المرور تماما بالشارع حتى تم رفع اللوحات بعد ساعة وعادت حركة المرور الى طبيعتها وفي ميدان الأوبرا بالعتبة سقط عدد من الأشجار على أعمدة الانارة فتوقفت الحركة تماما بالميدان وقام رجال الانتقاذ المركزي برفع الاشجار من الميدان .

الكهرباء لم تتأثر

على ان اهم ما لم يحدث ' هو ان العاصفة لم تؤثر على التليفونات او شبكة الكهرباء واكد المهندس ماهر اباطة وزير الكهرباء والطاقة ان كافة الأبراج وشبكات النقل والتوزيع للطاقة الكهربائية على الجهود المتوسطة والفائقة تعمل بكامل كفاءتها وطاقاتها وان العاصفة الترابية لم تؤثر على تشغيل الشبكة .

وقال الوزير ان جميع معدات ومهمات الشبكة الناقلة لكهرباء محطة السد العالي ومحطتي اسوان المائيتين ، وكذلك الشبكة الممتدة بالصحراء الغربية من الاسكندرية حتى السلوم تعمل كالمعتاد وان الشبكة على مستوى الجمهورية مصممة لمواجهة الزلازل والعواصف الترابية وان غرفة عمليات الوزارة لم تنلق اية بلاغات حول اية اعطال تعرضت لها الشبكة .

وواصلت الاشجار تساقطها امام هذه العاصفة ، فسقطت شجرة فوق بيت مواجه لكوبرى الازهر كما سقطت شجرة ضخمة في طريق المحكمة بمصر الجديدة ، كما سقطت شجرة منعت المرور عند تقاطع كورنيش النيل وجزيرة بدران ، وسقط عمود انارة في شارع النصر بالقرب من نادى الزهور .

وسقطت اشجار اخرى في شارع رمسيس وامام مبنى وزارة الخارجية القديم وفي شارع الاستاذ البحرى وفي شارع طوبمان باى .

واعلنت الطوارئ في ادارة مرور القاهرة التي حاولت السيطرة على المرور بقيادة اللواء حسن الناصر واللواء مجدى عبد الملاك والرائد هشام فاروق بغرفة عمليات المرور .

ولم تكن الاشجار وحدها من ضحايا العاصفة بل الدجاج ايضا ، فقد تلقى قسم شرطة امبابه بلاغا بان الرياح اطاحت بعشة فراخ من فوق بيت بمنطقة الخيرة الغربية فاصيبت الدواجن باصابات بالغة ، كما سقطت نخلة فوق عوامه بمنطقة الكيت كات ادت الى حدوث تلفيات بها .

امين العاصفة ؟

على ان احداث العاصفة المثيرة لم تستمر اكثر من ساعة ثم بدأت الاحوال الجوية في التحسن الطفيف وان بقيت الاتربة عالقة في الهواء .

وكما يقولون فان لكل شيء وجهين ، فان العاصفة التي لكرت الناس بيوم القيامة كان لها ذكرى طيبة عند البعض ، ومنهم الام سحر احمد التي كانت قد دخلت غرفة العمليات بمستشفى الجلاء لتنجب مولودها الاول وهبت العاصفة وهي تلد فاخذت تصرخ واربتك الاطباء *

* وتسأل الاطباء ، ماذا حدث للدنيا ؟
* ردت عليهم بعفوية : اصرى تعبانه ا وفى قلب العاصفة وضعت مولودها الذى لم تكن قد اختارت له اسما حتى انتهاء العاصفة .
* وقالت ضاحكة : يمكن اسميه عفره ا .

تحليل النموذج :

بدأ المحرر هذا التقرير بمقدمة رسم فيها صورة للحدث الذى دار حوله التقرير ، وهو تلك العاصفة الترابية العنيفة التي لم تشهدها مصر من قبل .. رياح مجنونه وصلت سرعتها الى ١١٠ كيلو مترات فى الساعة ، وأخذت تعيث فى قسوة بالأشجار ونوافذ البيوت وتحطيم الزجاج هنا وهناك ... ثم انتقل المحرر الى (صلب التقرير الحى) فقام بوصف الحدث والظروف المحيطة به والمناخ الذى تم فيه ، والناس الذين ارتبطوا به ، وعرض تجاربهم ، وأفكارهم ، ومشاعرهم ، ورؤيتهم الخاصة له .. وجعل الناس يتكلمون بأنفسهم ويرسمون بتعبيراتهم الخاصة صورة الحدث كما وقع وكما تصوروا وقوعه : أطاحت الرياح بشمار الأناناس من على عربة بائع الفاكهة المتجول على محفوظ ، وأسرع يجرها فى زهول وقال : عليه العوض ومنه العوض ... ده غضب ربنا على الناس .. باين القيامة هاتقوم كما وصف الكاتب بعض المشاهد التي رآها بنفسه بوصفه شاهد عيان عاش الحدث وكذلك التي تضمنتها البلاغات الى الجهات المختصة ، ومن أشخاص لهم صلة بالحدث .. ولم ينس الكاتب أن يقدم وصفا لحالة الجو بعد انتهاء العاصفة المثيرة التي لم تستمر أكثر من ساعة ، ثم بدأت الأحوال الجوية فى التحسن الطفيف وان بقيت الأتربة عالقة فى الهواء وكل ذلك جعل القارئ الذى لم يشهد كل جوانب الحدث ، وكأنه قد عاش الحدث بكل تفاصيله وكأنه شارك فى رؤيته بنفسه .. ويصفة عامة يمكن القول ان هذا النموذج للتقرير الحى ، قد تحققت فيه كل مواصفات (التقرير الحى) الناجح .. حيث انطبق عليه تمام الانطباق المفهوم الدقيق للتقرير الحى .. وقد أدى الوظائف التي يقوم التقرير الحى بأدائها ، والتي عرضناها فيما سبق .. كما تم كتابته بطريقة قالب الهرم المعتدل الذى يتكون من مقدمة ... وصلب .. وخاتمة واعتمد فيها جمعيا على التصوير الحى للوقائع والأحداث .

* * * * *

وبعد ذلك ننتقل الى الحديث عن النوع الثالث من أنواع التقرير الصحفى .. وهو (تقرير عرض الشخصيات) وذلك فى الفصل التالى :

* * * *

الفصل التاسع

(١) تقرير عرض الشخصيات

يهتم (تقرير عرض الشخصيات) بالتعرض لشخصية من الشخصيات المرتبطة بالأحداث ، أو التي تقوم بدور بارز في المجتمع المحلي ، أو المجتمع الدولي وقد تكون تلك الشخصيات طبيعية ... وقد تكون اعتبارية أو معنوية مثل الهيئات والمنظمات وغيرها ، فمثل هذه الشخصيات قد لا يكتفى الصحفي بكتابة تقرير إخباري عن تلك الأحداث المرتبطة بها ، ودلالاتها ، ونتائجها ... الخ وإنما يتجه الصحفي لكتابه تقرير صحفي يعرض ويحلل تلك الشخصية المرتبطة بالحدث ، وتاريخها السياسي ، وملامح شخصيتها وفكرها السياسي والاجتماعي ومدى طموحاتها للمستقبل الخ .

وقد يبدو للناظر من الوهلة الأولى وجود تشابه وتطابق بين الحديث الصحفي وبين تقرير عرض الشخصيات ... ولكن في الحقيقة توجد فوارق جوهرية بين النوعين .. فالحديث الصحفي يقوم على لقاء يتم بين الصحفي وبين شخصية عامة في المجتمع المحلي أو العالمي ... وهو لقاء قد يستهدف الحصول على أخبار ومعلومات وحقائق جديدة أو شرح وجهات نظر معينة ، أو تصوير جوانب طريفة ، أو مسلية في حياة هذه الشخصية .. الخ . أما التقرير الصحفي الذي يعرض الأشخاص ، فهو لايهتم بالدرجة الأولى في إجراء لقاء مع الشخصية كما هو الشأن في الحديث الصحفي وإنما يهتم بالدرجة الأولى بالرسم المتقن لملامح هذه الشخصية والتعبير الصادق عن فكرها ، ومدى طموحاتها المستقبلية .. الخ .

(١) راجع في ذلك المرجع السابق من ١٦٦ - ١٦٩) ويقصد بذلك الشخص الطبيعي (Natural Person) وهو فرد إنسان طبيعي ... والشخص الاعتباري أو المعنوي Artificial Person وهو عبارة عن مجموعة من الأفراد أعطاهم القانون حقوق الشخص الطبيعي ومنها التمتع والهيئات والشركات .

وقد يجرى كاتب تقرير عرض الشخصيات لقاء مع الشخصية موضوع التقرير ، ولكن اللقاء يجرى في المرتبة الثانية أو الثالثة في الأهمية .. لأن الصحفي في هذه المقابلة يركز على أخذ فكرة عن ملامح هذه الشخصية ، وطريقة تفكيرها ، وأسلوب حياتها وغير ذلك ، وإن كان هذا لا يمنع الصحفي من الاستفادة بأقوال أو تصريحات هذه الشخصية ، إذا كان مضمونها يخدم موضوع التقرير .

وظائف تقرير عرض الشخصيات :

ويقوم تقرير عرض الشخصيات بأداء الوظائف التالية :

١ - الرسم المتقن للشخصيات المشتركة في الأحداث اليومية الجارية سواء منها المحلية أو الدولية ، والتعبير الصادق عن أفكارها ، وأسلوب حياتها .

٢ - تصوير عملية الصراع التي يخوضها الإنسان من أجل الشهرة أو المجد أو المال ... الخ .

ويكتب هذا النوع بطريقة الهرم المعتدل مثل التقرير الاخباري ، والتقرير الحى ...

نموذج لتقرير عرض الشخصيات الطبيعية :

ونقدم فيما يلي نموذجاً لتقرير عرض الشخصية الطبيعية وهو يدور حول " مسيرة هيكل في بلاط صاحبة الجلالة " نشرته جريدة (الأسبوع) بمناسبة لكرى ميلاد الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل بعنوان (بدا طموحاً ثم صنع من الأهرام نموذجاً) (١) وفيما يلي نص هذا التقرير بقلم محمد عبد الله الذى عرض فيه ملامح شخصية (هيكل) وطموحاته كما أهتم بالرسم المتقن لتفكيره الصحفي وأسلوب حياته الصحفية ...

عندما تتداخل الكلمات وترخص المعانى وتصبح الحقيقة مسخاً باهتاً وتفقد الألفاظ مصداقيتها ويضيع الهاضم الرفيع بين الصدق والزيف يكون الصمت هو أبلغ الرسائل وعندما يصمت " الأستاذ " يجب على الجميع أن يعلم أن هناك شيئاً ما فى الأفق .. فصعته غير كل صمت وسكوته عن الكلام هو بمثابة " نقطة نظام " تعيد التاريخ إلى صحيح حركته . هيكل .. نجم من طراز مختلف .. فإذا كانت النجوم نبهت بمرور السنين فإن نجمه يزداد لمعاناً وبريقاً مع تقدمه

(١) جريدة الأسبوع العدد (٢٢) بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٩٧ ص ١٢ وقد نشر هذا التقرير ضمن (ملف خاص) بمناسبة لكرى ميلاد محمد حسنين هيكل الذى يوافق ٢٣ سبتمبر ١٩٩٧ .

في العمر. أما محاولة الاقتراب من تاريخه فتبدو أمرا أشبه بمحاولة احتضان الأهرامات أو الاعتقاد بإمكانية اغتراف مياه النيل في رشفة واحدة .. ومع كل هذا سنحاول .

البداية

كان قلم هيكل - ولا يزال - دائما وزيره المفوض ورسوله الذي لا يخطيء هدفه .. يسلب الناس تركيزهم إذا تحدث .. ملامحه مشحونة بالانفعال متقدة بكم هائل من الاطلاع وشغف المعرفة حديثة سريع ناعم .. مستعر ومتدفق .. ولأن هذا التدفق هو سمة أساسية لحياة " هيكل " فقد جاء دخوله بلاط صاحبة الجلالة وهو في سن الثامنة عشرة في توقيت تحيطه أحداث متلاطمة ومتدفقة كافكاره التي اعتاد ان يزلزل بها سكون عجلات التاريخ . بدأ هيكل حياته الصحفية محررا بجريدة " الاجيبيشيان جازيت " التي كانت مملوكة لعائلة " فيني " وتعلم وتأثر باثنين من اكبر محرريها وهما " سكوت واطسون " و " هارولد ايرل " وعمل لمدة سنة كمساعد محرر بقسم الحوادث ثم انتقل ليعمل مراسلا حريا بعد أن اقترح عليه " هارولد ايرل " أن يذهب الى الطمع لتغطية أخبار الحرب . ويقبل هيكل هذه المخاطرة .. يشجعه على قبولها اعجابه بواطسون وتجربته في الحرب الاسبانية وبعد فترة يتلأأ في مكتب هارولد ايرل تجمان من نجوم الصحافة المصرية هما محمد حسنين هيكل وأستاذ الرواد محمد التابعي ويقترب التابعي من هيكل ويسأله عن مستقبله وكيف يراه .. ورغم أن هيكل يتصور أن مستقبله في الصحافة الأجنبية وفي الجازيت .. إلا أن التابعي بعين الصقر والتي لا تخطيء هدفها يرى أن مستقبل هذا الصحفي الشاب في مجلة " آخر ساعة " التي كانت وفدية التوجه .

لذلك كانت معظم مصادر هيكل من الوفديين .. وبعد خروج الوفد من الحكم بإقالة ٨ أكتوبر ١٩٤٤ تحولت " آخر ساعة " الى مجلة معارضة لائتلاف أحزاب الأقلية الذي شكله أحمد ماهر . وتعضي المشهور وتلمع في الأفق مدرسة جديدة للصحافة هي مدرسة " أخبار اليوم " التي أثرت على توزيع جميع المطبوعات .. ويبيع التابعي " آخر ساعة " لال أمين " بعد أن تعثرت بسبب مشروع التطوير ، ووقع الاختيار على هيكل ليصبح سكرتير تحرير " آخر ساعة " بعدما سافر لحافظة الشرقية لتغطية ولاء الكوليرا الذي انتشر هناك ويفوز بجائزة الملك فاروق للصحافة العربية وكانت جائزة لها قدرها في ذلك الوقت خاصة بعن الصحفيين الشبان وفاز بها ثلاث مرات بعد رحلاته الخارجية وفي ١٩٥٢ عين رئيسا لتحرير " آخر ساعة " ويعود هيكل للمخاطرة عام ١٩٥١ ليفضي أخبار المقاومة ضد الاحتلال في القناة .

المشاركة

لم يكن هيكل بعيدا عن دوائر صنع القرار طوال مشواره الصحفي إلا أن أول موقف شارك فيه في صنع حدث ملموس كان مع نجيب الهلالي باشا بعد تكليفه بتشكيل الوزارة عام ١٩٥٢ وكان هيكل قريبا منه . وعندما استشاره الهلالي باشا في اختيار وزير الحربية اختار هيكل محمد نجيب إلا أن نجيب لم يلق قبول الملك فاروق وشهدت الأشهر الستة التي سبقت ٢٣ يوليو

فترة قلق سياسي شديد انعكس في تغيير خمس وزارات ولم تكن هذه هي المرة الأخيرة التي يشارك فيها هيكل في اتخاذ قرار أو اختيار فلقد لقي تحطيه لامكانية وقوف الانجليز بجانب الملك في حالة قيام الجيش بحركة تطهير - صدى واسعا في عقل " البكباشي " جمال عبد الناصر وكانت كلماته بمثابة صك الضمان الذي كان يبحث عنه عقل الثورة . ومنذ اللحظات الأولى للثورة كان هيكل بجانب رجالها لحظة بلحظة يشارك في صنع قراراتها وتكون له بصماته الواضحة في تغيير وجه التاريخ في المنطقة كلها .

الاهرام

وتستمر مسيرة هيكل الصحفية ونجاحاته تفرى الكثيرين بمحاولة استقطابه لها .. ففي ١٩٥١ يعرض عليه على الشمسي باشا رئيس البنك الأهلي ورئيس مجلس ادارة الأهرام أن يكون مساعدا لرئيس تحرير الأهرام إلا أنه يعتذر . ثم يكرر اعتذاره عن رئاسة تحرير نفس الجريدة في عام ١٩٥٥ وفي العام التالي يرى على الشمسي أن دار الأهرام شاخنة وتحتاج لشاب مثل هيكل يطورها وينقذها من خسائرها وكان هيكل يرتبط وجدانيا بالأخبار التي كان رئيسا لتحريرها منذ ابريل ١٩٥٦ بعد أن دخلها أول مرة في عام ١٩٤٦ ويعتذر هيكل للمرة الثالثة بعد عاصفة من المشاورات بينه وبين على أمين وفي ٦ من ابريل ١٩٥٧ وبعد جلسة طويلة مع على الشمسي عرض هيكل هذه المرة أن يكون رئيسا لتحرير الأهرام وانتهى مساء هذا اليوم بتوقيع عقد رئاسته لها ولتغيير بعدها صورة الاهرام ومعها صورة الصحافة العربية وتبدأ رئاسة هيكل لتحرير الاهرام في أول أغسطس ١٩٥٧ ليحل إسمه محل احمد الصاوي محمد وعزيز ميرزا ، وتمضي السنوات والنجاحات في الأهرام تتوالى ويتم تعيينه رئيسا لمجلس ادارة الاهرام في ٨ من أغسطس ١٩٦١ ثم رئيسا لمجلس ادارة مؤسسة الصحافة العربية التي كانت تضم الاهرام واخبار اليوم في ١٧ من اكتوبر ١٩٦٥ .

مواقف

لم يكن هيكل صحفيا او سياسيا فذا فقط ولكنه كان دائما مع قضية الديمقراطية واستقلال الصحافة والصحفيين وتسبب ذلك في تآثر علاقته برجل كان بمثابة الشمعة التي التفت حولها الجماهير تستلهم منها بشائر القد ... إنه جمال عبد الناصر .. ومع ذلك كان رجلا صلبا يقف مع رفاق الدرب يساندتهم ويشد من أزهم حتى يتجاوزوا المحن .. وبعد أن تمت اعادة تشكيل مجالس ادارات المؤسسات الصحفية عام ١٩٦٠ وقف بجانب على ومصطفى أمين بكل قوة حتى أن ذلك اثار عليه صديقه جمال عبد الناصر وفي عام ١٩٦٥ تثبت الأيام ان هيكل هو الصحفي الذي أرسى قواعد الأصالة والانسانية ففي لفظة انسانية يستجيب ويلا تردد لنقل على أمين الى مؤسسة " الاهرام " بعد أن ضاق ذرعا بما كان يحدث في " اخبار اليوم " ويعمل على أمين مراسلا لـ " الاهرام " في أوروبا ومركزه لندن وفي نفس العام تظهر أزمة جديدة لال أمين فيتم اتهام مصطفى أمين بالتجسس لصالح

الولايات المتحدة ويبدأ الكشف عن قصته المشهورة مع بروس تايلور أوفيل مستشار السفارة الأمريكية . ويثبت هيكل أنه رجل المواقف الصعبة فيرفض طلبا باستدراج على أمين من لندن لسم محاكمته مع شقيقة مصطفى .

ومثلما كان موقفه مع الرجال كان موقفه مع المهنة ذاتها فعند دخوله " الأهرام " أحدث داخلها ثورة صحفية وعلمية، فمن مبنى صغير إلى مبنى ضخم يضم عددا من المطابع وأنشأ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ومركز الحاسب الآلي ومركز التنظيم والميكرو فيلم وتحتل " الأهرام " في عام ١٩٧٠ المرتبة التاسعة على مستوى الصحف العربية والعالمية ، وتحتفظ مكتبة الكونجرس بأعداد ميكرو فيلمية لـ " الأهرام " بفضل شخصية هيكل ولموحه غير المحدود في خلق صحافة متقدمة .

وكما أدخل التطوير على المباني كان هناك تطوير في الجانب المهني ، فقد استطاع استقطاب المحررين والصحفيين للعمل والكتابة لـ " الأهرام " التي أصبحت مثل البستان يحتوى زهورا أصبحت فيما بعد أعمدة الصحافة المصرية والعربية .

هيكل والوزارة

ومثلما كانت مواقفه صلبة كانت رؤيته للصحافة أصلب فقد عارض قرار تأميم الصحف وكان موقفه خلاف مع جمال عبد الناصر وكان هيكل يطرح بديل الملكية التعاونية كبديل للملكية الفردية التي كان يرفضها عبد الناصر وفي مارس ١٩٧٠ رأى عبد الناصر أن يكون هيكل وزيرا للأرشاد القومي وأبدى هيكل اعتذاره ، إن المنصب الوزاري مع استمراره كرئيس لمجلس إدارة " الأهرام " يجعل في يد فرد واحد من أسباب القوة السياسية ما يمكن أن يحوله إلى مركز قوة ، وهو يرى أنها أسامة للنظام .. لكنه يخرج من أصرار عبد الناصر ويقبل المنصب ويبقى فيه حتى يرحل الزعيم ... ويشارك هيكل في اختيار رئيس مصر ويشارك في ضبط أيقاع الحركة السياسية في مصر بعد رحيل عبد الناصر وفي يوم ٣ من أكتوبر ١٩٧٠ قدم هيكل استقالته من وزارة الإرشاد مفضلا موقعه في " الأهرام " ليكون بعيدا عن الصراعات ويشارك أيضا في اختيار وزراء السادات وفي ٢١ يناير ١٩٧٤ يختار السادات هيكل مستشارا له ولكنه يقيله من رئاسة مجلس إدارة " الأهرام " ويكتب هيكل آخر مقال له في الأهرام " بعنوان " ظلال وبريق " في أول فبراير ١٩٧٤ ليختتم ٧٢٤ مقالا وتحقيقا صحفيا بالاضافة إلى ٢٦٢ محضرا رسميا لجلسات محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر والعراق وسوريا .

وبعد أن ترك " الأهرام " توالى اسهم الهجوم عليه حتى بلغت مساحة الهجوم عليه في الصحف خاصة عام ١٩٧٧ في جريدة " الأهرام " ١١٦٤ ستيغترا وبلغت ١٤٧٣ ستيغترا في الجرائد الأخرى من العام نفسه وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

ومع بداية ١٩٧٥ بدأ هيكل يكتب سلسلة مقالات تنشر في عدة صحف عربية خارج مصر ،
وآلف عددا من الكتب اعتبرها السادات أكبر مصدر لنزع شرعيته فزاد من حملته ضد هيكل عن
طريق استكتاب العديد من حملة المباخر وتلفيق اتهامات وأهية له وتنتهي هذه الصدامات باعتقاله
في ٥ من سبتمبر ١٩٨١ ويخرج عنه بعد ثلاثة أشهر .

نموذج لتقرير عرض الشخصيات المعنوية :

وفيما يلي نقدم تقريراً عن عرض شخصية معنوية أو اعتبارية عن حركة
المقاومة الإسلامية الفلسطينية (حماس) والتقرير بقلم خالد محمد علي
تحت عنوان (فيش وتشبيه حماس)^(١)
.. وفيما يلي نص التقرير الذي حرص فيه الكاتب على التركيز على
تصوير ملامح شخصية (حماس) ومدى تأثيرها في مجال الصراع
الفلسطيني مع اليهود .

فيش وتشبيه حماس

تقول قراءة البصمة الأولى لحماس إن الشيخ المريض أحمد ياسين حاول أن يملأ فراغ المزاج
الوطني الفلسطيني عندما بدأت انتفاضة أطفال الحجارة في عام ٨٧ كان همه تحويل كل طفل
فلسطيني إلى جنرال كبير يقلق مضاجع اليهود المحتلين .. وتعرضت هذه الرؤية لاختيار شديد
القسوة عندما اغتال العدو عقلا مفكرا لكل حلقات النضال الفلسطيني هو ابو جهاد في ابريل
١٩٨٨ .. وكان الأوطان تطويها الأحزان على أبطالها ولكنها لاتموت كمدا عليهم فقد استمرت
الانتفاضة واشتد عودها وحدثت متغيرات جديدة على الساحة .

ذهب أحمد ياسين الى ساحة الشعب الفلسطيني وتحديدًا في غزة ليستخرج شهادة ميلاد لحماس
في ١٤ / ١٢ / ١٩٨٧ وحملت شهادة الميلاد بنودا صاغتها تجربة " العراك " مع اليهود فالجهاد
فقط هو طريق وحيد لعودة احتضان الوطن وممتعة الصلاة بأمان في أولى القبليين وثالث الحرمين
، ولأن العدو كان قاسي المراس ويمثل رأس الحرية لاغنياء الكون في حريمهم .. أن يكونوا
دائما اغنياء ولأن أنظمة العرب لم تعد تؤمن بصوت البندقية ودائه المدفع ولكنها ارتقت الى لغة
الشجب والأدانة فكان أمام أحمد ياسين إما الانضمام إلى جيوش العرب التي تحارب اليهود
باطلاق قبضة الوعيد في الهواء وإما البحث عن جيش من الجن ولكن من الذين آمنوا ، فامتدح إلى
قطاع من الناس يعشقون الموت أكثر مما يعشق اليهود الحياة ، ويعلمون تفاصيل طبقات الأرض

(١) جريدة الأسبوع العدد (٣٢) بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٩٧ ص ٦ .

كثير مما يعلمون عن الطرق والكبارى ولأن عز الدين القسام جمع القومى بالدينى فى مقاومة لاغتيال فلسطين فقد اختار احمد ياسين لجناح الحركة العسكرية اسم " كتائب عز الدين القسام " حتى يعلم اليهود ان الموت لن يقتل المقاومة .

اما حديث البصمة الثانية فى دفتر احوال حماس فقد كشف عملية الهروب الكبرى التى نجحت بها كتائب القسام فى الافلات من خطية ذبح الشقيق أو طعن الصديق ولم تسجل بيانات العملية " روحا " عربية واحدة ازقتها ايدى حماس ولكن الذين اسقط الوطن وثائق انتسابهم إليه عندما ارتضوا احتساء دماء ابنائه على " شرف " العمالة لمشروع الاغتصاب فهؤلاء وهؤلاء فقط لاحقتهم رصاصات حماس ولكن بعد ان رفضوا رسائل التوبة وكان لابد من تنظيف الطريق فى عامى ٨٧ ، ٨٨ قبل تنفيذ عمليات كبرى تدق أجهزة الانتذار فى تل ابيب وواشنطن وربما فى كل عواصم الغرب ، وقد كانت الخطوات وثيقة وكائنها قد عزلت اذانها وأبصارها عن سماع أو رؤية المعلقين والخطرين الذين أقسموا أن نهرا أحمر بلون الدم الفلسطينى سينفجر مع تشريف عرفات وشرطه بيتادقهم الإسرائيلية إلى غزه المعقل الأول وغرفة القيادة الكبرى لـ حماس .

ولكن وصية احمد ياسين الأخيرة قبل اعتقاله فى مايو ٨٩ ظلت دائما جهاز تنبيه فى بيانات الجناح السياسى وفروا كل رصاصاتكم لليهود ولليهود فقط . وعندما دخل عرفات وصحبته غزه كان شيوخ وشباب حماس فى الصفوف الأولى لمستقبلية وكما تمنى شيمون بيريز أن يصحوا من النوم ليجد غزه فى عرض البحر بعد فشل أجهزة فى ملاحقة نشاط ، حماس رهن وتمنى مخطو السياسة الصهيونية أن تحترق ورقة حماس من الشجرة الفلسطينية تحت لهب عرفات المتعشش للسلطة على ارض بعيدة عن المنافى ، ولكن حديث الواقع وتفصيلات البصمة الثالثة تسالت إلى عزيمة عرفات كل أوراق الشجر فى حارات وفضاء الخليل تنتمى لحركة المقاومة وإن وجدت بعض صقور فتح بين أغصانها .

وعندما طلب عرفات منحه فرصة اختبار النوايا اليهودية بعد أوصلو ٩٣ سلمت حماس المزاج القلسى لعرفات طوال العام وعندما كشفت نوايا " تفسير بنود " أوصلو حول الاتسحاب من الأراضي أو من " اراضى " اطلقت حماس قنابلها البشرية الأولى فى ابريل ٩٤ معلنة عن تطبيق سياسة تفتيت اجساد الطهر للعلمة اشلاء الوطن .

وكان الرد الثانى فى ابريل ايضا على مقتل ٢٩ مصليا فى الحرم الابراهيمى وتتوالى بيانات الاجساد الملقومة نقاط ضوء وزهو أعوام ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ وكانت العمليات الأخيرة فى نهاية يوليو هذا العام وبدلية سبتمبر قد أعلنت تحدى أعتى أجهزة الأمن فى العالم عندما فشلت الـ C. L. A والموساد فى التنبؤ أو كشف منفذى العمليات حتى بعد الادعاء الأخير الذى اعلنه نتنياهو ليكون مبررا لعرفات كى ينفذ الطلب اليهودى الأمريكى وضرب المزاج الوطنى للشعب الفلسطينى ، ولكن

رئيس المخابرات اليهودى السابق ذكرنا أن حماس ليست حركة او حزباً سياسياً ولكنها مزاج يهدأ ويلتهب وفقاً للمخاطر التى تحوطه . مع ذلك لم يتوقف الصهاينة عن مؤامراتهم الجبانة لاغتيال القادة سلسلة ثورانية من الأسماء يحاولون زياستها كل يوم : ابو جهاد ... فتحى الشقاقي .. يحيى عياش .. ولأن الحرب الصهيونية القذرة ضد حماس لا حدود لها فقد حاولوا ايضاً اغتيال خالد مشعل فى الأردن عبر عملاء كنديين .. هذه الاغتيالات لاتهن احداً وإنما تتدفق عبرها دماء جديدة تبقى على النضال الوطنى الفلسطينى فتيا لا يقهر .. لو علموا أن كل يحيى عياش يقتلونه ينبت ألف يحيى عياش جديد لتوقفوا عن ممارسة غيائهم .. الحركة الآن تتعرض لاختيار جديد على يد عرفات وسلطته .. عرفات ينفذ مطالب أمريكية لحرق البنى التحتية لـ حماس .. وحماس تلبى نداءات اعلى وأبقى .. الوطن - الانتماء - الله .

* * * * *

قائمة المراجع

أولا : كتب

- * ابراهيم إمام (دكتور)
- دراسات فى الفن الصحفى (القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢)
- الاعلام والاتصال بال جماهير (القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥)
- * ابراهيم عبد القادر المازنى .
- صندوق الدنيا (القاهرة - دار الترقى للطبع والنشر ١٩٢٩)
- * ابراهيم عبده (دكتور) .
- روز اليوسف سيرة وصحيفة (القاهرة مارس ١٩٦١)
- تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضة الفكرية والاجتماعية (القاهرة ١٩٥١)
- * أحمد أمين
- فيض خاطر - الجزء الأول
- * جلال الدين الحمامصى
- المندوب الصحفى (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٣)
- من الخبر الى الموضوع الصحفى (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٥)
- الصحيفة المثالية (القاهرة - دار المعارف ١٩٧٢)
- * جمال الدين العطيفى (دكتور)
- حرية الصحافة - الجزء الثانى (القاهرة ١٩٧٤)
- * حسنين عبد القادر (دكتور)
- الصحافة كمصدر للتاريخ (القاهرة ١٩٥٨)
- * دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .
- الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٧٢)
- * عبدالعزيز البشرى
- فى المرأة (القاهرة - طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٧)
- المختار

- * عبد اللطيف حمزه (دكتور)
- المدخل في فن التحرير الصحفي (القاهرة - دار الفكر العربي - الطبعة الرابعة ١٩٦٧) .
- أدب المقالة الصحفية في مصر / الجزء الثالث
- * فاروق أبو زيد (دكتور)
- فن الكتاب الصحفي (القاهرة ١٩٨١) .
- * الفيكونت فيليب دي طرازي
- تاريخ الصحافة العربية (أربعة أجزاء) بيروت ١٩١٣ - ١٩١٤ - ١٩٣٣ .
- * كارل وارين (ترجمة عبد الحميد سرايا)
- كيف تصبح صحفياً (القاهرة ١٩٦٥) .
- * محمد فريد محمود عزت (دكتور)
- جريدة الكشكول المصور - رسالة ماجستير خطية - مقدمة إلى قسم الصحافة كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧١)
- دراسات في فن التحرير الصحفي / في ضوء معالم قرآنية (جدة - دار الشروق ١٩٨٤)
- قاموس المصطلحات الاعلامية / انجليزي - عربي (جدة - دار الشروق ١٩٨٤) .
- * محمود أدهم (دكتور)
- أسماء على الصفحات (القاهرة ١٩٨٨)
- * محمود فهمي (دكتور)
- الفن الصحفي في العالم (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٤)
- * نعمات أحمد فؤاد (دكتور)
- أدب المازني

ثانياً: جرائد ومجلات

* جريدة أخبار اليوم

- اعداد مختطفة بتاريخ ٦ / ٤ / ١٩٩٧ - ٣ / ٥ / ١٩٩٧ - ١٣ / ٩ / ١٩٩٧ .

* جريدة الأسبوع

- اعداد مختطفة بتاريخ ٥ / ٥ / ١٩٩٧ - ٢٢ / ٩ / ١٩٩٧ - ٢٩ / ٩ / ١٩٩٧ .

* جريدة الأهرام

- اعداد مختطفة بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٩٩٢ - ١١ / ٣ / ١٩٩٧ .

* جريدة المدينة المنورة (السعودية) بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٨٩ .

* مجلة الثقافة

- اعداد مختطفة بتاريخ ١١ / ٤ / ١٩٣٩ - ١٦ / ٥ / ١٩٣٩ .

* مجلة الرابطة الاسلامية بتاريخ أغسطس ١٩٩٠ .

* مجلة روز اليوسف (اعداد مختطفة خلال عام ١٩٢٨) .

* مجلة الشباب (اعداد مختطفة بتاريخ مايو ١٩٩٥ - مارس ١٩٩٦ - يوليو

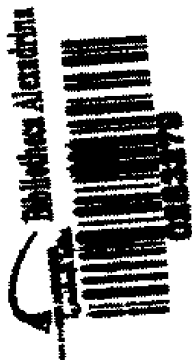
١٩٩٦ - نوفمبر ١٩٩٦ م .

* مجلة الكشكول المصور (اعداد مختطفة اعوام ١٩٢١ و ١٩٢٨)

* مجلة اللطائف المصورة اعداد مختطفة عام ١٩٢١

محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٢
الباب الأول : فن المقال وأهم أنواعه	٤
الفصل الأول : تمهيد حول المقال وأقسامه	٥
الفصل الثاني : المقال الأدبي وأنواعه	١١
المبحث الأول : المقال القصصي	١٢
المبحث الثاني : مقال الاعترافات	٢٢
المبحث الثالث : مقال الخواطر والتأملات	٢٠
المبحث الرابع : المقال الكاريكاتورى	٢٨
المبحث الخامس : المقال النزالي	٤٧
الفصل الثالث : المقال العلمى وأنواعه	٥٨
الفصل الرابع : المقال الصحفى وأنواعه	٦٧
المبحث الأول : المقال الافتتاحى	٧٠
المبحث الثاني : العمود الصحفى	٨٠
المبحث الثالث : اليوميات الصحفية	٩٣
المبحث الرابع : المقال التحليلى	٩٤
الفصل الخامس : الإسمية واللائسمية فى الصحافة	١١١
الباب الثانى : فن التقرير الصحفى وأهم أنواعه	١١٦
الفصل السادس : مفهوم التقرير الصحفى وكتابته	١١٧
الفصل السابع : التقرير الاخبارى	١٢٢
الفصل الثامن : التقرير الحى	١٢٧
الفصل التاسع : تقرير عرض الشخصيات	١٣٢
قائمة المراجع	١٤٠
محتويات الكتاب	١٤٣



To: www.al-mostafa.com